الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها
" دراسة فى الشكل والمغزى "

أ.د . حسن محمد نور عبد النور•

مقدمة:

تقتضى دراسة موضوع الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها أن نشرح مسبقاً مجموعة من القضايا المتعلقة بالموضوع حتى تمهد له وتوضح جوانبه ، وهى مسميات القبور والأضرحة وما يتصل بها ، وموقف الفقه الإسلامى من البناء على القبور ، وتعريف شاهد القبر وتركيبته والعلاقة بينهما ، وتاريخ استخدام شواهد القبور الاسلامية وتراكيبها ، والمناهج العلمية فى دراسة شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، أما عن مسميات القبور والأضرحة وما يتصل بها من مترادفات ومصطلحات فهى من الكثرة لدرجة تزيد على الثلاثين مصطلحاً [١] ، الأمر الذى استوجب عمل ملحق لها بنهاية هذه الدراسة .

موقف الفقه الإسلامى من البناء على القبور:-

سبحان من تفرد بالبقاء بلا نهاية ، سبحان من جعل الأرحام تدفع والمقابر تبلع سبحان الله الباقى الدائم الوارث الذى كتب على كل خلقه الفناء ، فالبشرية كلها توقن تمام اليقين بحتمية الموت ، كما أنها فى معظمها تؤمن بقضية البعث بعد الموت ، ولذلك اهتمت بتكريم الموتى ودفنهم وتخليد ذكراهم ، وموقف الفقه الإسلامى من البناء على القبور تعددت الآراء بشأنه تعدداً كبيراً ، وهى تختلف ما بين التحريم ، والكراهية ، والإباحة ، وذلك على تفصيل فى حكم بناء القبر ذاته وحكم البناء على القبر كالآتى:-

ورد فى القرآن الكريم فى الآية الحادية والعشرين من سورة الكهف ، قوله تعالى :- " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا " صدق الله العظيم ، يدل السياق على أن الآية الكريمة طرحت قول المشركين وقول الموحدين دون استنكار ، فالموحدون قالوا لنتخذن عليهم مسجدا ، ولو كان فى القولين باطل لأشارت له الآية ، وربما قيل بشأن هذه الآية أنها تخص شرع من قبلنا ، فالأمر غير محسوم فى القرآن الكريم بشكل قاطع بشأن البناء على القبور.

• أستاذ الآثار الإسلامية - كلية الآداب - جامعة سوهاج

[١] - انظر ملحق الدراسة .

أما بناء اللحد أو القبر نفسه ودفن المسلم فيه ومواراة بدنه فيه ، فقد أجمع فقهاء المسلمين على فرضية ذلك الأمر لقوله تعالى فى الآيتين (٢٥ ، ٢٦) من سورة المرسلات :- " ألم نجعل الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا " فمواراة الميت حفرة سيعمل على حجب رائحته ، ويمنع السباع والطيور عنه.[٢]
لكنهم اختلفوا فى هيئة القبر أو اللحد، ومادة بنائه ، وما يعلوه من شواهد وتراكيب ، وزخارف وكتابات ، مما تفصله الأحاديث النبوية الآتية:-
ورد فى صحيح مسلم فى باب اللحد ونصب اللبن على الميت ما يلى:- قال سعد بن أبى وقاص فى مرضه الذى هلك فيه:- إلحدوا لى لحداً ، وانصبوا علىّ اللبن ، كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه استحباب اللحد ونصب اللبن ، واتفق الصحابة رضى الله عنهم على ذلك الفعل ، وقد نقلوا أن عدد لبنات قبره صلى الله عليه وسلم تسع .
واللحد هو الدفن الفردى أى يحفر لكل فرد لحد خاص به يدفن فيه بمفرده على العكس من الفسقية وهى حجرة دفن فى باطن الأرض يدفن فيها على فترات متتابعة بحيث تفتح وتغلق فى كل دفنه ، وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:- " اللحد لنا ، والشق لغيرنا " وهو ما يفضل معه اللحد".
وورد فى صحيح البخارى هذا الحديث:- " حدثنا محمد بن مقاتل قال أخبرنا أبو بكر بن عياش عن سفيان التمار أنه حدثه أنه رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما"[٣] فمن السنة أن يرفع القبر عن الأرض قدر شبر ، ليعرف أنه قبر فيصان ولا يهان، ويزار ولا يهجر ، أما الحديث (المنكر) " خير القبور الدوارس " فلا أصل له فى كتب السنة ، لأنه ينبغى أن يظل القبر ظاهراً مرفوعاً عن الأرض قدر شبر ، واختلف الفقهاء فى ارتفاع القبر وتسنيمه وتسطيحه ، فمذهب الشافعى ومن وافقه أن يرفع نحو شبر ويسطح ، لكن الثلاثة (أبو حنيفة ومالك وأحمد) قالوا التسنيم أولى ، لأن التسطيح صار من شعائر الشيعة.
وورد فى صحيح البخارى بشأن البناء على القبور ما يلى:- قال رسول الله صلى عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه :- " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً " [٤]

---

[٢] - عبد الله (د. محمود سيد) :- مدافن حكام مصر الإسلامية بمدينة القاهرة ، دراسة أثرية سياحية، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ص٢٦
[٣] - البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) :- ترجمة جامع صحيح البخاري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، جـ٢ ، ص٢١٢
[٤] - نفس المرجع السابق .

وقال الصحابى فضالة بن عبيد :- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسوية القبور ، وفى حديث آخر عن أبى الهياج الأسدى ، قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه:- ألا أبعثك على ما بعثنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته".

وفى حديث آخر ورد الآتى:- حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا حفص بن غياث، عن ابن جريج ، عن أبى الزبير ، عن جابر، قال:- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه " وزاد (ابن ماجه) فى كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى النهى عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها[٥].

وأجاز العلماء أن يوضع على القبر علامة من حجر أو خشب يعرف بها ، أما إذا قصد بها التفاخر والمباهاه فهو حرام ، وهذا متفق عليه ، حيث قال عبد العزيز بن عمران ، أخبرنى محمد بن قدامة عن أبيه عن جده قال:- " لما دفن النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه ، قال قدامة: فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر ، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون " رضى الله عنه " ، ولا يحل ستر الأضرحة لما فيه من العبث وصرف المال فى غير غرض شرعى وتضليل العامة ، ولقد ذهب أصحاب المذاهب الأربعة إلى كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها نقشاً أو حفراً أو بناء لأن ذلك من المباهاة وزينة الدنيا ، وتلك منازل الآخره ، وليس بموضع المباهاة ، وإنما يزين الميت فى قبره عمله [٦] .

كذلك اتفق الفقهاء على كراهية البناء على القبور ، فقسموا أحكام البنايات فى المدينة الإسلامية إلى أربعة أقسام رئيسية منها قسم البناء المحظور مثل البناء فى أرض الغير أو على المقابر ، لذا جعل موقع المقبره بظاهر المدينة، فمدن الأموات بعيدة عن مدن الأحياء ، أو مسورة ، مما يحفظها من الإمتهان أو البناء عليها ويخصها بالإهتمام والإحترام.

ولكن من ناحية أخرى أجاز بعض العلماء بناء القباب على أولياء الله الصالحين وذلك حفاظاً على قبورهم من الإندثار الذى يفقد معه الانتفاع بزيارتهم والتبرك بهم، بينما ينعقد الإجماع بين المذاهب الأربعة على تحريم اتخاذ المساجد على القبور، لما سبق الإشارة إليه من أحاديث نبوية صحيحة فى ذلك الشأن ، هذا وإن كان بناء القباب والمساجد على القبور خارج عن إطار موضوع الدراسة ، فإن وضع الرخام على القبور أو عمل ستائر

---

[٥] - النووي (الإمام محيى الدين) :- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار المعرفة، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، جـ٧ ، ص٣٧-٤١ .

[٦] - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص٢٧

خشبية حول القبر اعتبره بعض الفقهاء من البدع المكروهه فى الشرع الشريف لما فيه من الفخر والإسراف وإضاعة المال كما سبق القول.[٧]
وهكذا اختلفت آراء الفقهاء وتباينت أفهام العلماء فى القضايا السابقة الخاصة بالقبور وما فوقها، فمنهم من تشدد فى آرائه لدرجة التحريم ، ومنهم من خفف وقال بالكراهة، ومنهم من تساهل وقال بالإباحة ، والذى يعنينا فى هذه الدراسة هو شواهد القبور وتراكيبها ، التى وصلنا منها روائع وبدائع الأدلة المادية الآثرية منذ وقت جد مبكر جداً ، حتى أن أقدم شاهد قبر إسلامى معروف حتى الآن مؤرخ بعام ٢٧هـ/٦٤٧م ، وقد نقشت كتاباته بأرض الحجاز مهد النبوة ،بينما ترجع أقدم تركيبة قبر إسلامية الى القرن٢هـ / ٨م.

تعريف شاهد القبر وتركيبته:-

لقد تعددت معانى المصطلحات الدالة على كلمة " شاهد " ومشتقاتها المختلفة، فالشاهد لغة الحضور ، أى أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد ، وله معانى لغوية أخرى منها:- اللسان ، الملك ، وغير ذلك [٨] واصطلاحاً هى العلامة ذات النقوش التى توضع على القبر لتدل على ماهية المدفون تحتها ، أياً كان شكلها أو مادة صناعتها ، وقد تخلو من النقوش أحياناً ، وقد تؤنث فيقال شاهدة قبر لكن الغالب تذكيره ، والشاهدة هى الأرض ، وشاهد القبر يلامس الأرض فى أغلب الأحيان، وربما اشتق لفظ الشاهد منها، وربما أخذت الكلمة (شاهد) من الشهيد وهو الذى توفى أو قتل فى سبيل الله ومشهود له بالجنة ، أو لأنه عند الله حاضر.
هذا وتختلف مسميات شاهد القبر من مكان لآخر ، ومن زمان لآخر ، ومن لهجة لأخرى فى لغة الضاد ، فى العالم الإسلامى ، فيطلق على شاهد القبر مصطلح (بلاطة ، لوح ، روسية ، جنابية ، تاريخ ، رخامة ، عمود ، قبر ، قبرية أو مقبرية، حجر القبر ، مقابرية ، نصب ، رجم ، تشريفة) .
وبالنظر لمجموعة المصطلحات السابقة يتضح الآتى:-
مصطلحات تدل على المادة الخام المصنوع منها الشاهد (رخامة ، حجر القبر) وهما أكثر المواد الخام استعمالاً فى صناعة شواهد القبور كما سنوضح لاحقاً .
مصطلحات تدل على الهيئة العامة للشاهد (بلاطة ، لوح ، عمود) فالبلاطة واللوح لأنه معد للكتابة عليها ، والعمود كذلك وإن تميز بهيئته العامة كما سيأتى فى التصنيف.

---

[٧] - نفس المرجع السابق ، ص٤٨ .
[٨] - الجوهري (إسماعيل بن حماد) :- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ، جـ٢ ، ص٤٩٤ .

مصطلحات مأخوذة من مضمون الكتابات المنقوشة على الشاهد والتى تؤرخ لوفاة المدفون تحته (تأريخ ، تاريخ) فالأولى بالهمزة وهى المستعملة عند أهل الأندلس [٩] والثانية بدون الهمزة وهى الشائعة فى سلطنة عمان.

مصطلحات تشير إلى موضع الشاهد وطريقة نصبه على القبر

(روسية ، جنابية ، قبرية ، مقابرية ، قبر ، نصب) فالروسية يطلقها أهل الجزائر على الشاهد ، لانتصابه فى الوضع الرأسى المستطيل ، أو لأنه يوضع عند رأس الميت، فهو علامة على اتجاه رأس ووجه الميت ناحية القبلة باتجاه مكة المكرمة قبلته فى صلاته ، فالإجماع الفقهى على دفن الميت المسلم على جنبه الأيمن وصدره ووجهه تجاه مكة المكرمة ، وعليه فالمضاهى – إن وجد – يكون فى هذه الحالة فوق قدمى المتوفى ، وقد يسمى " شاهد قدم " . ويسمى شاهد القبر المنشورى الشكل فى المغرب (مقبرية) وفى الجزائر (جنابية) لأنه استمد أصله من جلوس الكتلة المنشورية الشكل من الرخام أو الخشب بجانبها المتسع فوق الأرض [١٠] ، والنصب هيكل مقام لإحياء ذكرى شخص أو مناسبة ، والرجوم هى مجموعة أحجار توضع فوق القبر بانتظام أو بغير انتظام ، وأخيراً مصطلح تشريفة وهى النصب التذكارى المقام تكريماً لشخص دفن فى موضع آخر ، ولذلك يعرف أيضاً بالقبر الأجوف (cenotaph) . [١١]

ويطلق على شاهد القبر فى اللغة التركية مصطلح باشلق أو نيشان (Basluk – Nisan – Mazar Tasi) وفى اللغة الأوردية يسمى(قبركى تختى أو لوح مزار)وفى اللغة الفارسية(سنك قبر)وفى اللغة الأندونيسية ولغة الملايو (Nisan) وفى اللغة الفرنسية(Steles Funeraires) وفى اللغة الإنجليزية (Headstones- Gravestones- Tombstones) وفى اللغة الألمانية (Grabstein) وهكذا يتغير اسم شاهد القبر من لغة لأخرى حتى نيفت على الستين لغة غير لغة الضاد مما تكلم به المسلمون فى القارات الثلاث القديمة التى نسوق الأمثلة منها.

أما تركيبة القبر فهى تصنع من الرخام أو من الحجر أو من الآجر أو من المعدن أو من الخشب أو غير ذلك ، وهى عبارة عن بناء صغير شيد على

---

[٩] - جمعة (د. إبراهيم) :- دراسة في تطور الكتابات الكوفية علي الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولي للهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع أخري من العالم الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د.ت) ص٨٦-٨٧ .

[١٠] - إسماعيل (د. عثمان عثمان) :- دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية العربية بالمغرب الأقصي ، دار الثقافة ، ١٩٧٧م ، ص١٥٩.

[١١] - الشهابي (د. قتيبة) :- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية ، دمشق، ١٩٩٥م، ص١٢.

سطح الأرض ليدل على وجود مدفن أو ضريح أو مقبره أسفله ، وهى البناء أو السياج الذى يرتفع فوق القبر ليعرف أنه قبر فلا يقعد عليه ولا يمتهن ، وقد تنقش الكتابات الجنائزية على ذلك البناء أو السياج ، وقد يكون شاغراً من الكتابات ، وقد يصاحب التركيبة شاهد القبر فيكون منتصباً بجوارها ، ملتصقاً بها أو مستقلاً عنها ، وقد يستغنى بها عن شاهد القبر بما يشى بتداخل الوظائف مما ستشرحه بعد قليل جزئية العلاقة بين شاهد القبر وتركيبة القبر.

وفى لغة الضاد مجموعة من المصطلحات الدالة على تركيبة القبر ، تختلف من مكان لآخر ، ومن زمان لآخر ، ومن لهجة لأخرى كالآتى:

(مسطبة أو مصطبة، تابوت، تركيبة ، سياج ، مقصورة ، ساجات، ضريح، زارية ، قفص ، تربة ، مرقد ، درابزين ، وغير ذلك) [١٢].

ففى صنعاء باليمن تسمى التركيبة الخشبية متعددة المستويات باسم القفص[١٣] ، وفى البحرين تسمى المسطبة المستطيلة ذات السقف المسطح باسم الساجات [١٤] ، والسياج قد يحيط بالتركيبة أيا كان طرازها ، وقد يطلق عليها ذاتها ، وفى بعض مناطق الهند الإسلامية يطلق على التابوت الموجود داخل الضريح الإسلامى مصطلح زارية [١٥] وعلى الكتابات الجنائزية المنقوشة على التراكيب المبكرة ورد لفظ (ضريح) مثل التابوت الخشبى الخاص بالسيدة رقية بمصر، والمؤرخ بعام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م " هذا ضريح السيده رقية .... " وعلى التابوت الخشبى الخاص بالإمام الشافعى ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م " عمل هذا الضريح المبارك .... " بينما ورد على تابوت خشبى من إيران ، مؤرخ بعام ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م " ..... هذه التربة الشريفة والمرقد المنور ..... " [١٦] وإن كان لمصطلحات تربة ومرقد وضريح مفهوم أوسع كما سنوضح بملحق الدراسة.

ويطلق على تركيبة القبر فى اللغة الإنجليزية عدة كلمات تضاف تجاوزاً لكلمة (Tomb) وهى:-

(installation Tomb – Combination Tomb – Structure Tomb)

---

[١٢] - عن شرح هذه المصطلحات انظر ملحق الدراسة .

[١٣] - خليفة (د. ربيع حامد) :- الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ص١١٢.

[14] - www.iasblog.com

[١٥] - على (د. أحمد رجب محمد) :- تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند ، الدار المصرية اللبنانية ، سلسلة الآثار في شرق العالم الإسلامي – ٢ – القاهرة ، ٢٠٠٥م، ص٢٤٧ .

[١٦] - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٩٧ .

العلاقة بين شاهد القبر وتركيبة القبر:-

تتفق وظيفة شاهد القبر مع نظيرتها وظيفة تركيبة القبر ، فى أن كلا منهما يدل على المدفون تحته ، ويمنع بالتالى الجلوس على القبر أو امتهانه ، لكن الهيئة العامة لكل منهما تختلف تماماً ، فشواهد القبور زادت هيئاتها العامة وسلالاتها على العشرين ، لا تتفق واحدة منها مع الهيئات العامة لتراكيب القبور وسلالاتها ، مع أن وجود الشاهد قد يغنى عن وجود التركيبة ، وقد لا يغنى فقد يجتمعان بلا تنافر فوق قبر واحد ، وقد يستغنى بشاهد القبر عن التركيبة ، وقد يحدث العكس ، وقد يوجد لشاهد القبر مضاهى ، فى حين لا تسمح تركيبة القبر بعمل مضاهى لها.

هذا وتتنوع مواضع شاهد القبر وتركيبة القبر من أرضية القبر والجدران المحيطة بها ، ذلك أن الأمر بدأ بسيطاً ثم تطرق إليه التعقيد مع التطور ، حيث كانت مقابر وجبانات المسلمين فى بادئ الامر عبارة عن مساحات من الفضاء كبيرة أو متوسطة، مسورة أو غير مسورة ، تقع فى ضواحى المدن والقرى فى الغالب ، ودائما ما تكون هذه المساحات مكشوفة وتضم مئات أو آلاف من اللحود والقبور حسب سعتها ، وينتصب فوق هذه اللحود والقبور حجر بسيط أو مجموعة قليلة من الأحجار الموزعة فوق القبر بانتظام أو شاهد قبر بمضاهى أو بدون مضاهى ، أو تركيبة بسيطة أو مركبة ، بحيث بدأت وظيفة الشاهد أو التركيبة بسيطة كما سبق القول ، لتتطور فى شكلها وزخارفها وتذهيبها ومادة صناعتها حتى اتسعت وظيفتها لتشمل التمييز بين جنس المدفون تحتها ذكراً أو أنثى ، بل أنها ميزت أحياناً قبر المرأة الحامل عن الحائل من النساء ، وقبر الطفل عن غيره من الرجال ، وقبور ومدافن ومشاهد آل البيت والصوفية والعلماء والمشاهير والحكام والأمراء ، عن العامة ، فبدأت تظهر مبان فوق القبور تغطى الشاهد أو التركيبة ، وتظهر مكانة أصحابها ، تطورت هذه المبانى فيما بعد فى إطار ظروف سياسية ودينية إلى أنماط ومجموعات جنائزية ضخمة [١٧] من هذه المبانى

(الحوش، المقام ، المشهد ، القبة، الطربال ، المزار ، الميل ، الدكان ، المدفن ، الروضة) وغير ذلك مما سيأتى شرحه بملحق الدراسة ، وشرحها ضرورة استوجبتها علاقة الشاهد بالتركيبة من جهة ، وعلاقة كل منهما بما يحيط بهما أو يرتفع فوقهما من مبانى من جهة أخرى .

فى البداية كان موضع شاهد القبر على سطح الأرض فوق الضريح أو القبر قبالة رأس الميت ، وفى عصور لاحقة تطور الأمر ليصير له مضاهياً قبالة قدم الميت ، وغالبا ما كان يستغنى عن المضاهى.

---

[١٧] - عثمان (د. محمد عبد الستار) :- عمارة المشاهد والقباب في العصر الفاطمي ، الكتاب الثاني ، دار القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص٢٠٤

ثم وصلتنا شواهد قبور لا تزال مثبته فوق مدخل القبة أو الضريح ، وكأنها عتب حجرى أو خشبى مستطيل ، وشواهد قبور مثبته على يمين مدخل القبة الضريحية أو على يساره ، وشواهد قبور مثبته على أحد الجدران الأربعة من الداخل للقبة الضريحية ، كما وصلتنا شواهد قبور مستطيلة أو بهيئة محرابية أو بهيئة عمود تنتصب مجاورة لتركيبة القبر ، ملاصقة لها أو منفصلة عنها ، كذلك وصلتنا شواهد قبور وكتابات جنائزية مثبته بمقدمة التوابيت وتراكيب القبور ، أو مثبته بأحد جوانبها الأربعة ، أو تحيط الكتابات بالجوانب الأربعة ، أو يثبت شاهد القبر فوق تركيبة القبر من أعلى بوسطها تماماً أو أقرب إلى اليمين أو اليسار.

وفى دراسة شواهد القبور الإسلامية – فى القاهرة فحسب – فى العصرين الأيوبى والمملوكى [١٨] ما يغطى معظم ما سبق ذكره عن موقع شاهد القبر وعلاقته بتركيبة القبر ، تلك التركيبة التى كانت عادة ما تقع بمنتصف أرضية القبة الضريحية بمفردها ، ثم صارت تتعدد جاراتها بنفس الموضع لتضم تراكيب أخرى أسرية أو غير أسرية ، كذلك وصلتنا تراكيب لا تتوسط أرضية القبة وإنما تلتصق بأحد جدرانها ، مما أثر على هيئتها العامة وزخارفها.

المناهج العلمية فى دراسة شواهد القبور وتراكيبها:-

وحتى كتابة هذه السطور لم تدرس شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها من ناحية الهيئة العامة لأشكالها وتصميماتها العامة ، وطرزها وسلالاتها ، ورمزية هيئتها العامة ومغزاها ، ونادراً ما أشار باحث إلى التقنية الصناعية فى تنفيذ تلك الهيئات العامة ، والأدوات المستخدمة فى ذلك ، والصناع وأساليبهم فى تشكيل المواد الخام المصنوعة منها تلك الشواهد والتراكيب ، وإنما كان جل اهتمام الباحثين منصبا على ذكر المقاسات إن أمكن ، وموضع الشاهد أو التركيبة من القبر ، وذكر المضاهى إن وجد ، والحالة التى عليها الشاهد أو التركيبة من الحفظ سواء كان بموضعها من الجبانة أو القبر ، أو نقلا إلى متحف أو مخزن ، ثم ذكر رقم سجل حفظهما ، ثم تتمة بقية المناهج العلمية فى دراسة شكل الكتابات ومضامينها ، بذكر ما هية اللغة ، قراءة النصوص ، ترجمتها إلى لغة البحث إن كانت بلغة أخرى ، وصف ما عليها من زخارف أيا كان نوعها ، ذكر الألوان والتذهيب إن وجد، طرق تنفيذ النقوش والكتابات ، عدد الأسطر واتجاهاتها ، أساليب رسم الحروف ، نوع الخط ، أساليب رسم الكلمات وما بها من أخطاء إن وجدت.

---

[١٨] - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- شواهد القبور الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م) دراسة آثارية فنية ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة سوهاج ، ٢٠٠٣م ، ص١٢٠ ، ص٢٦٧-٢٦٨ .

ومن ناحية المضامين تدرس الصياغة نثراً كانت أم شعراً ، تحلل المعلومات الواردة على الشواهد والتراكيب أيا كان نوع المضامين (دينية ، مذهبية ، اجتماعية ، سياسية ، إدارية ، إقتصادية ، فنية) تحلل الألقاب والكنى والوظائف ، يترجم للكتاب والخطاطين الموقعين على الشواهد والتراكيب ، يحلل حساب الجمل والتواريخ والرموز المختصرة ، تقارن المضامين الواردة على الشواهد والتراكيب بنظائرها المعاصرة لها أو السابقة عليها والواردة بالوثائق أو على النصوص التأسيسية أو حتى بما ورد بالمصادر التاريخية وعلى المسكوكات والتحف التطبيقية، وذلك بغرض تأريخ غير المؤرخ ، أو تأصيل وتجذير الظواهر المؤرخة، وربط المعلومات وتأكيدها بأكثر من مصدر.

وهكذا أهملت المناهج العلمية جانباً مهماً فى دراسة شواهد القبور وتراكيبها، يدخل ذلك الجانب المهم ضمن الجماليات بكل ما حوت أنماط الشواهد والتراكيب من هيئات عامة وسلالاتها ، فلكل هيئة عامة جمالياتها ، أو رمزيتها الدينية أو المذهبية، أو مغزاها الإجتماعى.

أيضاً أهملت المناهج العلمية السابقة فى دراسة شواهد القبور وتراكيبها دراسة المواد الخام المصنوعة منها ، وطرق الصناعة وأدواتها ، وطائفة الصناع من الحجارين والنقارين والنقاشين وغيرهم ممن يعمل بتلك المهنة ، وأخيراً أهملت المناهج العلمية السابقة ذكر الإتجاهات الحديثة فى دراسة شواهد القبور وتراكيبها متمثلة فى الجمعيات العلمية العالمية الراعية لهذا التخصص ونشاطاتها فى الحفاظ على ذلك التراث البشرى المهم ، وترميمه ودراسته ونشره والكشف عنه بالوسائل العلمية الحديثة ، وهو ما تعالجه هذه الدراسة بمقدمتها وفصولها الثلاثة وخاتمتها وملحقها ، ولوحاتها وأشكالها التى نيفت على السبعمائة وثمانين لوحة وشكل توضيحى.

تاريخ استخدام شواهد القبور وتراكيبها :-

لقد عرفت الأمم السابقة على الإسلام عادة استخدام شواهد القبور وتراكيبها، وعنيت بها عناية ملحوظة نلمسها فيما تخلف عن الفراعنة واليونان والرومان وغيرهم ، ثم استمرت هذه العادة بعد ظهور الديانات السماوية الثلاث الكبرى (اليهودية ، المسيحية ، الإسلام) واستشهدت هذه الدراسة بأمثلة كثيرة جداً من قبيل التأصيل والتجذير للنظائر غير الإسلامية كما عرف العرب قبل الإسلام تراكيب القبور وشواهدها، واستمروا فى استعمالها بعد الإسلام ، بحيث وصلتنا منها نماذج مبكرة جداً ، فأقدمها من مهد النبوة ومؤرخ بعام ٢٧هـ / ٦٤٧م كما سبق القول ، واستمرت هذه العادة على مر العصور الإسلامية ، وفى كل مكان دخله الإسلام دون

استثناء ، حتى أن الشاعر التركى المشهور " غنائى " ندب إبنته الصغيرة بمرثية تحسر فيها على عدم وضع شاهد على قبرها [١٩] .

ولو استعرضنا خريطة العالم الإسلامى الجغرافية والتاريخية للاحظنا أن هذه العادة كانت معروفة فى كل أرجاء العالم الإسلامى من التركستان الصينية شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ، ومن شمال ووسط أوربا شمالاً إلى جنوب الصحراء الكبرى بأدغال أفريقية جنوباً ، إلا أنها لم توجد فى أى مكان بمثل الكثرة التى وجدت بها فى مصر . كما يلاحظ أن شرق العالم الإسلامى – إيران وما وراءها – أغنى من غرب العالم الإسلامى – غرب مصر حتى الأطلسى – فى هذا النوع من الآثار ، فدولة الموحدين مثلاً (٥٢٥ – ٦٦٨هـ / ١١٣٠ – ١٢٦٩م) فى الغرب الإسلامى أهملت هذه العادة لدرجة أن اللهجة المغربية المراكشية خلت من كلمة " شاهد " [٢٠] ، أهملتها لكن لم تلغها ، لأن شمال أفريقيا عرفت شواهد القبور منذ بداية القرن ٢هـ / ٨م [٢١] ، واستمرت مستعملة فى نطاقها الجغرافى حتى الآن.

يلاحظ أيضا قلة ما وصلنا من شواهد القبور وتراكيبها فى النطاق الجغرافى الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، فى فترات طويلة من تاريخها الإسلامى.

وأخيراً يلاحظ الإنعدام التام لوجود شواهد القبور وتراكيبها فى المملكة العربية السعودية فى القرون الثلاثة الأخيرة ، أى منذ اعتناقها المذهب الوهابى [٢٢] ، على الرغم من أن الجزيرة العربية فى العصور الإسلامية قد وصلتنا منها شواهد قبور فى سلسلة شبه متصلة بحيث تغطى قرابة ألف عام كاملة.

---

[١٩] - المصري (د. حسن مجيب) :- في الأدب العربي التركي ، دراسة في الأدب الإسلامي المقارن، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢م ، ص١٠٤

[٢٠] - لكن هذا لم يمنع من وصول شواهد قبور من العصر الموحدي بالأندلس ، وبعضها مؤرخ بعام ٥٥٦هـ/١١٧١م ، ٥٨٧هـ/١١٩١م . انظر :- بويرتاس (أنتونيو فرنانديز) :- فن الخط العربي في الأندلس ، ص٩٣٩.

[٢١] - بوبطانة (إيناس محمد) :- الخط الكوفي على شواهد القبور في ليبيا بين القرنين ٢-٦هـ/٨-١٢م ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة قار يونس ، ٢٠٠٣م ، ص٢١ .

[٢٢] - زار الباحث مجموعة كبيرة من المقابر والجبانات في المملكة العربية السعودية ، فلم يجد فيها لا شواهد قبور ولا تراكيب ، لا قديمة ولا حديثة ، ومن هذه المقابر :- مقبرة البقيع ، وأحد في المدينة المنورة ، مقبرة الحجون وغيرها بمكة المكرمة ، مقبرة العود ، والفيصلية بالرياض ، مقابر وجبانات مدن كثيرة أخري مثل المجمعة ، وحوطة سدير وغيرها .

الفصل الأول

الهيئة العامة لشواهد القبور

فى هذا الفصل تصنيف للهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية ، وتقسيم لسلالات كل هيئة إن وجدت ، وشروح لجماليات كل هيئة عامة ، وذكر لمغزاها ورمزيتها ودلالاتها ، والبحث عن أصولها وجذورها فى الحضارات السابقة كلما أمكن ، مع تزويد الشروح بعدد كاف من التفريغات اليدوية والصور واللوحات الملونة.

١- الهيئة المستطيلة :-

يمكن تقسيم هذه الهيئة إلى ثلاثة أنواع متمثلة فى الهيئة المستطيلة المنتظمة وغير المنتظمة، هيئة المستطيل المقرنص ، الطراز الإمبراطورى أو قوس النصر.

(أ) المستطيل المنتظم وغير المنتظم :-

كانت الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية المبكرة بسيطة للغاية ، حيث كانت مجرد كتلة من الحجر تترك بكامل سمكها غفلاً دون صقل أو تهذيب ، ولا يهتم الحافر سوى بصقل وتهذيب المساحة التى سينقش فيها الكتابات والزخارف ، عدا ذلك لا يهتم حتى باستقامة جوانب الكتلة الحجرية (لوحة رقم ١) [٢٣] (شكل رقم ٥/١ ، ٦/١) والباحث فى كتاب أحجار المعلاة الشاهدية [٢٤] يجد فيه (٥٨٦) صورة لشواهد قبور ترجع للقرون ما بين ٣ – ١٠ هـ / ٩ – ١٦م ، ينطبق على جلها الوصف السابق ، لكن مع هذا وصلتنا منذ القرن الأولى الهجرى (السابع الميلادى) شواهد قبور ينطبق عليها الوصف الهندسى البحت للشكل المستطيل ، حيث استقامت جوانبها وصقلت وشذبت من جميع أضلاعها (لوحة رقم ٢) [٢٥] إذ يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بأكثر من ثلاثة آلاف شاهد قبر ، تغطى ألف عام تقريباً ، وأقدمها مؤرخ بعام ٣١هـ / ٦٥١م ، نسبة كبيرة جداً منها بالهيئة العامة المستطيلة المنتظمة ، والتى كانت تنتصب شواهدها فى الوضع الرأسى (شكل ١/١ ، ٨/١) والقليل منها بالهيئة العامة المستطيلة الأفقية (شكل رقم ٣/١) دل على ذلك اتجاه رسم النقوش الكتابية لوحة رقم (٣) [٢٦] كما نشرت الألمانية " مادلين شنيدر " مجلدين عن شواهد القبور

---

[٢٣] - حسن الباشا (د. محمود) :- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م ، المجلد الخامس ، ص٤٣٥ (اللوحتان رقما ١٦٦٨ - ١٦٦٩) .

[٢٤] - الراشد (د. سعد بن عبد العزيز) وآخرون :- أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

[25] - Wiet (Gaston) :- Catalogue General Du Musee Arab Du Cairo Steles Funeraires . Tome Sixeme . Le Cairo . 1938 . pl . xvl

[26] - www.Damuseum.org.kwlenglish

الإسلامية بجزيرة دهلك قبالة أرتيريا بالبحر الأحمر ، بالمجلدين حوالى (٢٥٥) شاهد قبر ترجع للفترة ما بين القرن ٢هـ/ ٨م ، ١٠هـ / ١٦م ، معظمها بالهيئة المستطيلة المنتظمة [٢٧]، ليس هذا فحسب وإنما روعيت العوامل الجوية من أمطار ورياح عند صناعة بعض شواهد القبور الإسلامية فى الفترات المتأخرة ، فتم تثبيت كثير منها بالوضع المائل (شكل رقم ١٢/١ ، ١٣/١ ، ١٤/١ ، ١٥/١) حتى تنزلق عنها مياة الأمطار (لوحة رقم ٤) [٢٨] وفى الصحارى الجافة كان من الممكن تثبيت شاهد القبر المستطيل بالوضعية الأرضية المنبطحة (شكل رقم ٧/١) (لوحة رقم ٥)[٢٩] وخشية سقوط الشاهد من شدة الرياح التى أكثر إصطداماً بالهيئة المستطيلة ، زودها الصانع بثقب كبير فى ثلث المستطيل العلوى ، وإن كانت نماذجه نادرة (شكل رقم ١١/١) كما يوضح (شكل رقم ١٠/١) جذر الشاهد المستطيل الأفقى الذى يختفى تحت سطح الأرض ، وقد لا يوجد هذا الجذر – وهو الغالب – فيثبت الشاهد المستطيل بالوضع الأفقى منتصباً على " سيفه " أى سمك الضلع الطويل ، ومن أمثلة ذلك شاهد قبر من " الآجر" محفوظ بمتحف طليطلة [٣٠] وقد تزود قمة المستطيل الرأسى بزائدتين سميكتين للحفاظ على الطرفين من التأكل(شكل رقم ٩/١) (لوحة رقم ٦)[٣١]
وبالنسبة لمقاسات الطراز المستطيل وما بها من جماليات فليس لدينا مقاسات لكل ما هو منشور من ذلك الطراز ، ومع هذا يمكننا الإستئناس ببعض المقاسات المنشورة من قبل ، من ذلك أربعمائة شاهد قبر محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرون الثلاثة الأولى من الهجرة [٣٢] ، ٩٩% منها من الطراز المستطيل تتراوح مقاساتها بالنسبة للطول أقل من متر واحد حيث أن أطول مقاس فيها بلغ ٩١ سم ، وأقل عرض ١٩ سم ، وإن كان بعض الشواهد متكسر وغير مكتمل ، إلا أن المدقق فى النسبة بين الأطوال والعروض سيجد أن أقل القليل منها هو ما تحققت فيه النسبة الذهبية للمستطيل ، وهى أن العرض تلثى الطول ، وحتى هذه ربما جاءت بشكل عفوى غير مقصود .

---

27 - Schneider (Madelein) :- Steles Funeraires Des iles Dahlak (mer Rouge) Le Cairo . 1982.

28 - www.loneyplanetimages.com

29 - www.Superstock.com

٣٠ - مورينو (مانويل جوميث) :- الفن الإسلامي في أسبانيا ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفي عبد البديع ، راجعه د. جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د. ت) ص٢٥٨ شكل ٢٧٤ .

31- www.christies.com

32 - Hawary (Hassan) et Hussen Rached :- Catalogue General Musee Arabe Du Cairo Steles Funeraires . Tome Premier . Le Cairo . 1932 .

ووردت المقاسات بدقة فى المجلدات العشرة لجاستون فيت عن مجموعة شواهد القبور المحفوظة بنفس المتحف السابق ، وكان معظمها بالهيئة المستطيلة المنتظمة.

ولنفس المجموعة بنفس المتحف نشر المعهد الفرنسى بالقاهرة للأستاذ عبد الرحمن عبد التواب ثلاثة مجلدات [٣٣] ضمت (٤٥٠) شاهد قبر ، مقاساتها دقيقة للطول والعرض والسمك ، وهى فى معظمها بالهيئة المستطيلة المنتظمة.

وعلى الرغم من الكثرة النسبية العددية لمجموعة المتحف المذكور إلا أنها لا تغطى سوى مساحة جغرافية ضئيلة من العالم الإسلامى ، علاوة على كل ما سبق فإن النسبة الذهبية لم تتحقق بكثرة فى مستطيلاتها ، ومع هذا يمكن حصرها – على قلتها – فى جدول للاستفادة منه.

ومن خلال تسعين شاهد قبر من جبانه صنعاء باليمن [٣٤] ، متأخرة نسبياً فهى ترجع للقرون من ٨هـ/١٤م حتى ١١هـ/١٧م ، ٩٠% منها من الطراز المستطيل ، تراوحت مقاساتها ما بين ٤٠سم × ٣٠سم ، ومن ٤٠سم حتى ٦٠سم للطول × ٤٠سم للعرض ، وما بين ٨٠سم حتى ١٠٠سم للطول × ما بين ٥٠سم حتى ٦٠سم للعرض ، أى تحققت النسبة الذهبية فى القليل منها ، ويبدو ذلك أيضاً بشكل عفوى.

إن الاستئناس بموضوع النسب تمت الإشارة إليه فى هذا الموضع بمجرد نماذج من القرون الهجرية المبكرة ، وبنماذج أخرى من القرون الهجرية المتأخرة ، وهى غير كافية لعدم توفر مقاسات منشورة نستخلص من خلالها القطاع الذهبى للهيئة المستطيلة ، حتى نتذوق جمالياتها ، ذلك أن هناك استهجاناً للمستطيلات المسرفة فى الطول ، ويكاد الإجماع ينعقد على تفضيل شكل المستطيل الذى تكون فيه نسبة الضلع الصغير إلى الكبير تساوى النسبة بين طول الضلع الكبير إلى مجموع طول الضلعين معاً ، وهى النسبة التى تعرف باسم " القطاع الذهبى " [٣٥] وسواء تحققت هذه النسبه أم لا فإن الملاحظ هو شيوع الهيئة المستطيلة الهندسية البحتة – أى مستقيمة الأضلاع فى شواهد القبور الإسلامية فى تتابع زمنى متصل غير منقطع ، وفى كل النطاقات الجغرافية الإسلامية دون استثناء ، فهى الهيئة المفضلة للغاية إذا

---

[33] - Abd Al – Tawab (AbdAr – rahman . M) :- Steles islamiques de la necropole D' Assouan . (ifAo) Du Cairo . Tome . I . 1977 , Tome . II 1982 , Tome . III . 1986 .

[٣٤] - شيحة (د. مصطفي عبد الله) :- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٨٨م ، الجزء الأول ، ص١٣ .

[٣٥] - رياض (د. عبد الفتاح) :- التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص١٣٨ .

مـا قورنـت مـثلاً بالهيئـة المربعـة غيـر المفضـلة لأن أضـلاعها تتسـاوى دون تباين بين طول ضلع وآخر ، فهو شكل ممل.

أمـا عـن تـاريخ اسـتخدام شـواهد القبـور مـن طـراز الهيئـة العامـة المسـتطيلة فهـو معـروف بالـدليل المـادى قبـل ظهـور الـديانات السـماوية الـثلاث الكبـرى ، حيـث اسـتخدمه الفراعنـة والإغريـق والرومـان وغيـرهم مـن الأمـم ، كـالعرب قبـل الإسـلام ، والـذين نكتفـى بمجـرد لنمـاذج مـن حضـاراتهم المتعاقبـة فـى الجزيـرة العربيـة ، فثمـة مجموعـة مـن المجلـدات منشـورة عـن شـواهد قبـور بعـض ممـالكهم بـاليمن ، وتـؤرخ مـا بـين القـرنين ٨ ق.م حتـى ق١ م ، يضـم المجلـد الثـانى مـن هـذه المجلـدات (١٤٣) شـاهد قبـر ، وفـى المجلـد الثالـث (٤٣٧) شـاهد قبـر ، كلهـا محفوظـة بمتحـف صـنعاء ، وتجمعهـا سـمات مشـتركة أهمهـا أنهـا عبـارة عـن بلاطـة منحوتـة لتصـبح شـاهد قبـر يثبـت فـى جـدران القبـر ، وهـى مـن الحجـر ومطليـة بـاللون الأحمـر ، ونقوشـها بـالخط المسـند ، وهيئتهـا العامـة تقسـم إلـى سـت مجموعـات [٣٦] يهمنـا منهـا فـى هـذا الموضـع الهيئـة العامة المستطيلة

(لوحـة رقـم ٧) ومـن العصـر الرومـانى نكتفـى بنمـوذج واحـد ممـثلاً فـى شـاهد قبر يرجع للقرن الأول الميلادى (لوحة رقم ٨) [٣٧] .

إذن هـذا الطـراز لـيس ابتكـاراً إسـلامياً ، وإنمـا هـو طـراز فنـى مـوروث ، يـدرج ضمن الطرز المسماة بالكلاسيكية ، والتى نفضل تسميتها بالطرز التقليدية.

أيضـاً مـن المنطقـى أن يتطـور الشـكل المسـتطيل المنـتظم عـن الشـكل المسـتطيل غيـر المنـتظم ، لبسـاطة وعفويـة الثـانى ، ولكـن يتعـارض مـع هـذه المنطقيـة وجود الهيئة الأولى (المنتظمة) فى حضارات ما قبل الإسلام.

(ب) المستطيل المقرنص :-

المقرنصـات (Stalactite) هـى ابتكـار إسـلامى ، عثـر علـى نمـوذج منهـا فـى إيـران يرجـع إلـى القـرن ٢هـ / ٨م ، بينمـا ظهـر أقـدم مثـل عربـى فـى تـاريخ

---

[٣٦] - بقيـة المجموعـات منهـا المربـع فـي شـكله العـام ، ومنهـا مخروطـي الشـكل ، وغيـر ذلـك ، أنظـر :- عـربش (منيـر) وآخـرون :- مجموعـة الشـواهد القبوريـة مـن وادي الجـوف ، المتحـف الـوطني بصـنعاء، منظمـة الأمـم المتحـدة للتربيـة والعلـم والثقافـة ، الجـزء الثـاني ، صنعاء ، ٢٠٠٦م ، الجزء الثالث ، صنعاء ، ٢٠٠٨م .

[37] - www.Spainisculture.com

ومـن النـوادر الشـاذة للهيئـة العامـة المسـتطيلة شـاهد قبـر حجـري مقاسـه ٨٢×٤٨سـم ، مـؤرخ بعـام ٥٧٤هـ/١١٧٨م ، محفـوظ بمتحـف الآثـار بواحـة الخارجـة بمصـر ، يأخـذ الشـاهد شـكل أشـبه بـالحوض المسـتطيل ذي الحـواف البـارزة ، ويبـدو أنـه اسـتخدم لغـرض سـابق قبـل إعـادة استخدامه كشاهد قبر تنقش كتاباته بالمنطقة الوسطي من الحوض انظر :- عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، ص١٣٣ لوحة ١٩-٢٠

مؤكد مع بناء مدينة سامراء عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م [٣٨] وهى فى المصطلح الأثرى المعمارى عنصر إنشائى وزخرفى يعمل عادة من أحجار تنحت وتجمع فى أشكال ذات نتوءات بارزة تؤلف حليات معمارية تتكون من صواعد وهوابط تشبه خلايا النحل تتدلى فى طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض فى أماكن مختلفة من العمائر الإسلامية مثل مناطق الانتقال فى القباب، وشرفات المآذن ، والواجهات والنوافذ والعقود والأعمدة والمداخل وغيرها ، تقوم المقرنصات بوظيفتين إحداهما إنشائية والأخرى تزينية حين بدت منحوتة بارزة غائرة مقعرة محدبة مسطحة متدلية متعالية فى وقت واحد حتى أخذت قيمتها التشكيلية من الخطوط والكتل ، وسارت فى طريق التطور الطبيعى حتى تولدت عنها أشكال وأنواع عدة تنحصر فى المقرنص البلدى أو المصرى ، ويتكون من طاقات مربعة مضلعة ذات زوايا حادة تشبه العقد المكسور، والمقرنص الشامى أو الحلبى ، ويتكون من طاقات مقعرة أو مجوفة ذات عقود مستديرة ، والمقرنص ذو الدوالى الذى تنزل منه دلايات هابطة وسط الطاقات مباشرة ، والمقرنص المخرم الذى تكون بعض أجزاء واجهته مثقبة (شكل رقم ٢ – ٢/١ ، ٢/٢ ، ٢/٣ ، ٢/٤).

وتتكون أجزاء كل مقرنص من هذه المقرنصات من الحطة أو الطاقة والقاووق والذيل والأخاديد والكهوف مما استخدم فيه الخشب والرخام والحجر والجص (شكل رقم ٢ – ٢/٦).

وعلاوة على وظيفة المقرنصات الإنشائية والزخرفية ، فهى ترتبط بوظيفة دينية – أغلب الظن تفلسف الظاهر والباطن ، فإمعان التغلغل فى باطنها – يخرج الناظر لها من مشاغله المادية اليومية إلى نوع من الاستشفاء النفسى الذى يهيئه للتأمل الدينى العميق من خلال متابعة هذه المقرنصات داخل المنشأه المعمارية بحيث يظل المسلم فى حالة من الخشوع الدائم والمستمر [٣٩].

وقيل فى رمزيتها أيضاً أن المقرنص الواحد هو تجويف له ثلاثة أبعاد ، يأخذ سبيله إلى سبعة أجزاء هندسية مرتبطة ببعضها البعض ، هذا التفرد الجمع أو الجمع المفرد يكون الوحدة المتكاملة للمقرنصات ، ومن ثم فإن

---

[٣٨] - شافعي (د. فريد) :- العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ص١٤٣ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ .

[٣٩] - رزق (د. عاصم محمد) :- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ص ٢٩٣-٢٩٧ .

الشكل فى صميمه يذهب نحو النظرية الأساسية فى الفن الإسلامى القائمة على الوحدانية المطلقة[٤٠].

انتقلت كل المعانى السابقة فى وظيفة المقرنصات الزخرفية ورمزيتها الفلسفية الى شواهد القبور من النمط المستطيل المقرنص ، وليس صدفة أن يكون أقدم نموذج للمقرنصات المعمارية فى إيران وأن أقدم نماذج شواهد القبور المستطيلة المقرنصة لا زالت منتصبة بمدينة أهلت (Ahlat) فى أقليم تبليس شرقى الأناضول ، فى ست جبانات تؤرخ شواهد قبورها ما بين القرنين ٦ -٩ هـ / ١٢ -١٥م ، غاية الإبداع فى زخارفها ومضامين كتاباتها الإسلامية التى تضمنت – ضمن ما تضمنت – بعض توقيعات الصناع بما يؤكد محلية صناعتها ، نصبت هذه الشواهد بوضعية رأسية ، بنمط مستطيل مقرنص فى جزئه العلوى ببروز أمامى مكون من ثلاث حطات – صفوف – أو أربع أو خمس من المقرنصات

(اللوحات أرقام ٩ ، ١٠، ١١) [٤١].وتأكيداً للمعانى الدينية والرمزية للمقرنصات التزينية بشواهد الجبانات الست من النمط المستطيل المقرنص ، حفر على كثير منها سواء بظاهره أو بوجهه أشكال محاريب مجوفة يتدلى من بعضها أشكال مشكاوات (اللوحتان رقما ١٢ ، ١٣) [٤٢]

بما للمحراب من معنى ومغزى فى حياة المسلم وفى قبره مما سيأتى تفصيله فى حينه، كذلك رمزية المشكاة لفكرة النور الإلهى ولقلب المؤمن الملئ بالأنوار.

ويبدو أن هذا النمط من شواهد القبور لم يكتب له الإنتشار فى العالم الإسلامى كله على مر العصور مثل سابقه ، وإنما يكاد يقتصر وجوده على منطقة آسيا الصغرى وما جاورها فى أرمينية وأذربيجان وبعض مناطق جنوب غرب القوقاز وشمال غرب إيران ، فى فترة الحكم السلجوقى وبداية الحكم العثمانى وإن ظهر على استحياء بنفس المنطقة فى فترات متأخرة على التفصيل التالى:-

بدأت إرهاصات استخدام المقرنصات فى ذلك النمط بشاهد قبر السلطان السلجوقى ألب إرسلان رابع حكام السلاجقة ، والمتوفى عام ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م ، والمدفون فى ميرف بتركستان (لوحة رقم ١٤) [٤٣] .

واستمر حتى وجدت له نماذج من أرمينية ترجع للقرنين ١١-١٢هـ / ١٧ - ١٨م (لوحة رقم ١٣).

---

[٤٠] - ياسين (د. عبد الناصر حسن) :- الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية " دراسة في ميتافيزيقا الفن الإسلامي " مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص٢٣٧ .

[41] - www.dreamstime.com

[42] - www.Turkishclass.com

[43] - http://10,1,6,10,1587,cgi-bin/blockpage.cgi

واستمرت بقايا ذكراه تتردد فى قليل من شواهد القبور المسيحية بجبانة بحيرة سيواس بأرمينية ، وجبانة جلفا(Julfa) بأرمينية فى بداية القرن ١٤هـ/٢٠م.[٤٤] والإجماع بين مؤرخى الفن على أن المقرنصات إبتكار إسلامى محض ، وكذلك نمط شواهد القبور المستطيلة المقرنصة ، وإن كان الرومان قد توصلوا إلى فكرة بروز
(فرنتون Faranton) بأعلى مقدم بعض أنماط شواهد قبورهم لحماية النصوص والنقوش من الأمطار (لوحة رقم ١٥) [٤٥] فإن المفارقة كبيرة جداً بين المقرنصات هيئة ومغزى وبين الفرنتون الرومانى المشار إليه.

(ت) الطراز الإمبراطورى (قوس النصر) :-

أسس الإمبراطور ظهير الدين بابر (٨٨٨ – ٩٣٧هـ / ١٤٨٣ – ١٥٣٠م) الدولة المغولية بالهند ، والتى استمرت تحكم لفترة طويلة (٩٣٣ – ١٢٧٤هـ /١٥٢٦ – ١٨٥٧م) وانفرد دون غيره بشاهد قبر مميز ، عبارة عن هيئة مستطيلة متوجة بحليات مفرغة تشبة الشرافات ، ويؤطرها قوس نصف دائرى يرتكز على دعامتين قويتين ويعلوه عتب ضخم ، كل ما سبق وصفه يرتفع فوق مصطبة مستطيلة ، يستقر ذلك الشاهد فى حدائق بابر بمدينة كابل فى أفغانستان اللوحتان رقما (١٦ ، ١٧) [٤٦] والشاهد بوصفه السابق حقق عدة أهداف هى:-

١- الفخامة والضخامة والهيبة فى الاستطالة المفرطة التى تحققت من وضع الشاهد المرتفع فوق مصطبة مرتفعة ثم تأطيره بقوس ودعامتين وعتب ، وكأن الصانع أراد بهيئة الشاهد الإمبراطورى هنا تأصيل الطراز الإمبراطورى فى العمارة الدينية الخاصة بالأضرحة وبعض المساجد المتأخرة زمنياً ، مثل مسجد نصرتيه فى إستانبول ، الذى بناه السلطان العثمانى محمود الثانى عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦م، ومجموعة أخرى من مساجد إستانبول تبعت ذلك الطراز الإمبراطورى ، ثم انتشر خارج تركيا خاصة فى المدن الأوربية بحيث فرض نفسه فى النصف الأول من القرن ١٣هـ / ١٩م.

٢- النعومة والليونة والانسيابية فى التتويجة المفرغة كالشرافات وفى القوس الذى يحتضنها كالمتعبد فى محراب الخشوع والاستسلام لقضاء الله ، بما فى هيئة المحراب والشرافات من معانى ورموز سيأتى ذكرها فى حينه.

والجدير بالذكر أن أضرحة أباطرة المغول بالهند وزوجاتهم لم تتخذ من ذلك الطراز أنموذجاً ، واكتفى كل من الإمبراطور أكبر وهمايون وجها نجير

---

44 - www.Superstock.com/headstone
45 - http://ar.wikipedia.org/org/wiki
46 - www.Superstock.com/preview-www.mumbai/in/somniac/wordr

وغيرهم بتوابيت ومصاطب رخامية [٤٧] سيشار لها فى الفصل الثانى من هذه الدراسة ، ولم يكتب لذلك الطراز الانتشار بأى من الجبانات الإسلامية فى أى عصر من العصور، ويبدو أنه تأثير مباشر عن نظائره المسيحية فى بعض الجبانات الأوربية، فمنذ أن وصل البرتغاليين للهند من ناحية البحر زاد الاتصال المباشر بين أوربا والهند بغرض التجارة ونشر المسيحية ، كما عمل كثير من المصورين الايطاليين والإنجليز مع الفنانيين الهنود فى المراسم الملكية الهندية ، فكان جها نجير مثل والده مولعاً بالفنون الأوربية لدرجة أنه لم يعمل على استيراد النماذج الأوربية المصورة فحسب بل عمل على نسخ نماذج منها ، والثابت فى الآثار أن أوربا استعملت شواهد قبور من هذا النمط لبعض مشاهيرها من رجالات العلم والحرب ، واستمرت على هذه العادة حتى وقت متأخر من القرن العشرين ، من أمثلة ذلك شاهد قبر إمبراطورى (لوحة رقم ١٨) يرمز قوسه (عقده) فى عقيدتهم للمرور عبر السماء ، وشاهد قبر مسيحى آخر من نفس الطراز بجبانة وسط فينا بالنمسا [٤٨] ومن النماذج المتأخرة شاهد قبر المعمارى الشهير جوزيف (hoechl) (١١٩١ – ١٢٥٤هـ/ ١٧٧٧ – ١٨٣٨م) بجبانة ميونيخ فى ألمانيا (لوحة رقم١٩)[٤٩].

ولعل الفكرة برمتها مستمدة من أقواس النصر فى العصر الرومانى ، وقوس النصر هو شكل بناء مؤلف من قوس أو أكثر منحنى أو مستقيم ليشكل ما يعرف ببوابة النصر ، مرفوع على مجموعة أعمدة ، وقد يختلف التصميم والشكل لكنه ثابت من حيث المبدأ (لوحة رقم ٢٠) [٥٠] أى أنه مبنى صرح يرمز لنصر فى حرب أو معركة ، وأحياناً يرفع من أجل حاكم أو ملك.

٢- الهيئة المحرابية :-

قيل بشأن تسمية المحراب أنه مأخوذ عن المحاربة لأن المصلى يحارب كلا من الشيطان ونفسه بإحضار قلبه وجوارحه للصلاة ، وقيل غير ذلك ، ويفيد المحراب فى تعيين اتجاه القبلة فى المنشأة الدينية الإسلامية ، وله فوائد أخرى مثل تحديد مكان الإمام عند الصلاة ، وتوسيع طاقة المسجد بكسب صف للمصلين بحنية المحراب.[٥١]

---

[٤٧] - علي (د. أحمد رجب محمد) :- المرجع السابق ، ص٣٥ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٢٦، ١٤٧، ١٥٥ ، ٢١٠ .

[48] - www.Soperstock.com

[49] - www.Soperstock.com

[50] - http://ar.wikipedia.org

[٥١] - محمد (نجاة يونس الحاج) :- المحاريب العراقية منذ بداية العصر الإسلامي إلي نهاية العصر العباسي ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص٢١ ، ص٢٢٢ .

لم تأت فكرة المحراب من حنية الكنيس اليهودى أو من شرقية الكنيسة المسيحية أو من طيقان تماثيل الآلهة فى الحضارات الوثنية ، وإنما كان إنجازاً إسلامياً فرضته ضرورة دينية عملية ، وأنه تميز فى أنماطه التى عرفتها العمارة الإسلامية بتقليد لم يكن له وجود فى حنايا العمائر السابقة على الإسلام ، قل أن يخرج عنه محراب منها، وهو وجود ركن غائر فى كل جانب من جانبى تجويفه نتجت منه حافتا ناصيتين استخدمتا لوضع عمودين يحملان عقد طاقية المحراب.

هذا وقد عرفت العمارة الإسلامية نوعين من المحاريب ، أولهما محاريب مسطحة تميزت بها الأضرحة وبعض المساجد ، وغالباً ما أخذت هذه المحاريب المسطحة شكل الحنية دهاناً بالألوان أو حفراً فى الحجر أو نقشاً على الخشب أو تنزيلاً فى الرخام ، وثانيهما محاريب مجوفة فى معظم العمائر الدينية ، وكانت ولا تزال تشبه الطاقة الصماء غوراً فى حائط القبلة، ثم تنوعت أنماط المحاريب المجوفة وتطورت كثيراً بحيث بدأت بحنية بسيطة غير مزخرفة ، ثم غطيت بأشرطة رخامية أو بفصوص من الخردة الدقيقة الملونة ، وأحاط قممها بعقود مزودة من الرخام ، ونقش تواشيحها وكوشاتها بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية مع المقرنصات والعقود المتداخلة والمزررات والإطارات والحليات ، وتنوع مادة صناعتها بين الحجر والرخام والجص والخزف والفسيفساء والخشب والصدف والتذهيب[٥٢]

وتأكيداً لما سبق نورد سته نماذج متنوعة (اللوحات من رقم ٢١ حتى رقم ٢٦) من المحاريب المعمارية المجوفة من مناطق مختلفة ، وتواريخ متباينة، ومواد صناعية متعددة ، وبطرز عقود وزخارف كثيرة.

وتنتقل فكرة المحراب من كونه عنصراً معمارياً ذى وظائف معينة ، إلى الفكرة الزخرفية التزينية التى لا تخلو أيضاً من الوظيفية والمعانى الرمزية ، فظهر المحراب على الفنون التطبيقة الإسلامية كالرخام والحجر والآجر والخشب والزجاج والمعادن والنسيج والكليم والسجاد ، بل حتى المخطوطات الإسلامية المبكرة رسم فى بعض تصاويرها شكل المحراب مثل مقامات الحريرى ، بحيث جذبت هيئة المحراب رجال الفن المسلمين فاتخذوه على فنونهم التطبيقية منذ أقدم العصور الإسلامية وحتى وقتنا هذا ، وذلك للتأكيد على الصفة الدينية للتحفة الفنية المنفذ عليها شكل المحراب من جهة ، ولجمال مظهره كعنصر زخرفى من جهه أخرى.

ولا يتسع المجال هنا لحصر أشكال وطرز المحاريب على الفنون التطبيقية الإسلامية من فرط كثرتها ، ومن ثم نكتفى بنماذج من فن واحد ألا وهو فن

[٥٢] - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٢٦٤ .

السجاد لنرى بالصورة نوعاً واحداً من طرز السجاد الإسلامى يرتبط ارتباطاً مباشراً بموضوع الدراسة ، وهو سجاجيد الصلاة ، التى تميزت برسم محراب فى ساحة السجادة يشير إلى اتجاه القبلة ، أو برسم عدة محاريب متجاورة " سجاجيد الصف " لتأدية الصلاة فى جماعة ، بحيث نقرر فى اطمئنان أنه لا يوجد بلد إسلامى واحد إلا ووصلتنا منه نماذج من سجاجيد الصلاة ذات المحراب الذى تتنوع رسومه وأشكاله تنوعاً كبيراً ، فمنها محاريب بعقد أو بعقدين أو أكثر ، وبطرز كثيرة لأنواع العقود التى تحاكى نظائرها المعمارية التى بلغت قرابة خمسة عشر نوعاً من العقود كما سيأتى بعد قليل، ومنها المحاريب التى ترتكز عقودها على أعمدة بصفة معمارية ، وأخرى فقدت صفتها المعمارية فصارت أشبه بسلاسل أو أشرطة من الزهور والنباتات تتدلى من المحراب بدلاً من كونها دعامة له ، ومنها محاريب تقلد طاقيتها هيئة المقرنصات الحقيقية ، وغير ذلك مما يطول تفصيله (اللوحات من رقم ٢٧ حتى رقم ٣٧).

لكن الجدير بالذكر فى هذا الموضع هو سجاجيد الصلاة التركية من طراز " مزارلك " أى سجاجيد الأضرحة لأن زخارف ساحتها تتألف من رسوم أضرحة داخل جبانة لها سور ومدخل تجاوره ما يشبه حجرة حارس الجبانة، فضلاً عن رسوم أشجار السرو وعلة زراعتها فى الجبانات [٥٣]

(لوحة رقم٣٨) وتعد شواهد القبور أحد الفنون الزخرفية الإسلامية التى جعلت من الهيئة المحرابية إحدى طرزها الموصلة للهدفين معاً ، الوظيفى والزخرفى ، فبدأت برسم أو حفر هيئة المحراب على طرز غير محرابية فى شكلها العام ، بمعنى أن حفر شكل المحراب كان يزخرف شواهد قبور من الطراز المستطيل ومن طرز أخرى ثم تكتب النصوص داخل الهيئة المحرابية (شكل رقم ٣) [٥٤] وذلك من النمط المسطح لكنه بعقود كثيرة منها :- نصف الدائرى (شكل رقم ١/٣) والبيضاوى (٢/٣) وحدوة الفرس (٣/٣) والمنتفخ (٤/٣) والمروس (٥/٣) والمتداخل (٩/٣) والمتعانق (١٠/٣) والمفصص (١١/٣ – ١٢/٣ – ١٣/٣ – ١٤/٣) والمقرنص (١٥/٣).

لكن الهيئة المحرابية المسطحة بعقودها المتنوعة السابقة لم ترسم أو تحفر على هيئات عامة غير محرابية من شواهد القبور الإسلامية المبكرة فحسب، وإنما وصلتنا نماذج منها جد مبكرة وتأخذ فى هيئتها العامة النمط المحرابى

---

[٥٣] - انظر هيئة المسلة من هذه الدراسة .

[٥٤] - الزهرانى (د. عبد الرحمن بن علي) :- كتابات إسلامية من مكة المكرمة (ق١-٧هـ/٧-١٣م) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، نموذج ١٠ ، ١١

بعقوده الكثيرة ، تلك العقود التى تقلد نظائرها المعمارية ، ذلك أن العمارة الإسلامية قد استخدمت أكثر من خمسة عشر نوعاً من العقود منها الآتى:-
العقد الأصم (Blind Arch) العقد البصلى
(Arch Bulbous) العقد الثلاثى (Trefailed Arch) العقد الحدوى (Horse shoe Arch) العقد نصف الدائرى
(Semi circular Arch) العقد الرباعى (Quadrilateral Arch)العقد الزجزاجى (Zagzagi Arch)العقد العاتق(Reliving Arch)العقد المخموس(Equilateral Arch) العقد المدبب(Pointed Arch) العقد المزدوج (Double Arch) العقد المصلب(Cross vaulted Arch)العقد المفصص(Lobed Arch) العقد المقرنص (Chevron moulded)العقد المنفرج (obtuse Arch) العقد المنكسر نصف البيضى
(Parabolic Arch) العقد الموتور(Segmental Arch)(شكل رقم ٤)[٥٥]
إن جل شواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة المحرابية العامة كانت مسطحة لكنها غزيرة التنوع فى أحجامها ومقاساتها وأنماط عقودها ، واستمراريتها فى كل أصقاع العالم على مر العصور ، مع تنوع موادها الخام المصنوعة منها (حجر ، رخام ، خزف ، جص ، آجر ، ....) (الشكلان رقما ٥ ، ٦) والقليل منها كان مجوفاً يقلد نظائره فى العمائر الدينية ، والنادر منها كان مثقوباً فى جزئه العلوى كى يقاوم الرياح الشديدة ولا يتحطم (شكل رقم ١٢/٦) هذه الشواهد من ذلك الطراز تعد بالملايين ، نكتفى هنا بذكر نماذج منها كالآتى:-
تمثل الهيئة العامة المحرابية المسطحة ذات العقد المدبب اللوحات (من رقم ٣٩ حتى رقم ٤٣) [٥٦] بينما تمثل (اللوحة رقم ٤٤) نفس الهيئة لكنها مجوفة ، وجميعاً بإطار عادى خلا اللوحة (رقم ٤٣) فإطارها مفصص ، واللوحة (رقم ٤٤) بعض محاريبها بإطار معمد الجانبين ومفصص التاج.
وتمثل العقد نصف الدائرى من نفس الهيئة اللوحات (من رقم ٤٥ حتى رقم ٤٨) وإن كانت اللوحة (٤٧) مثالاً للهيئة المجوفة من نفس الطراز ،

---

[٥٥] - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص ص ١٩٠-٢٠٣ وشكل ١/١٧١ حتي ٣٠/١٧١ .

[٥٦] - للمزيد عن شواهد القبور الخزفية انظر :- نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور خزفية من إيران الصفوية ، مجلة العصور ، دار المريخ للنشر ، لندن ، المجلد ٢١- يناير ٢٠١١م ، ص٧١-١١٠ ، كما وصلتنا مجموعة كبيرة من شواهد القبور الفخارية والخزفية ذات الهيئة المحرابية المسطحة والمعقودة بعقود متنوعة ، جلبت طينتها من كربلاء حيث استشهد الإمام الحسين ، عليها كتابات بمضامين مذهبية شيعية ، تسجد علي هذه المحاريب الصغيرة بعض فرق الشيعة أثناء الصلاة .

واللوحة رقم (٤٨) مسطحة لكن بزائدتين بأعلى الجانبين لحمايتهما من التأكل.
ومن الهيئة المحرابية المسطحة بعقد حدوة الفرس اللوحتان(رقما ٤٩ ،٥٠) [٥٧] وكلاهما متأثر فى شكله وتصميمه العام بما ورد من زخارف فى قصر الحمراء بغرناطة (لوحة رقم ٥١) وإن اقتربت الهيئة العامة فى اللوحة (رقم ٥٠) من الشكل البيضى وزيد فيها بحليتين جانبيتين متكلفتين ساعد على تنفيذهما قالب الصب (شكل رقم ٢٦/٦) ولهذا الطراز أصول قديمة فى أسبانيا المسيحية قبل الإسلام منها اللوحتان (رقما ٥٢ ، ٥٣) وكلاهما من جبانة بلنسية [٥٨].
ومن نماذج الهيئة المحرابية ذات العقد المفصص اللوحات (من رقم ٥٤ حتى رقم ٥٨) وإن ساعد البروز الشديد فى إطار اللوحتين الأخيرتين (رقما ٥٧ ، ٥٨) على التجويف المتعمد لما بها من محاريب .
ومن أمثلة الهيئة المحرابية المسطحة ذات العقد المنكسر (شديد التدبيب) مجموعة من شواهد القبور الخاصة بالشيعة الإسماعيلية بجبانة بروكوود فى بريطانيا (لوحة رقم ٥٩) [٥٩](شكل رقم ١/٦ – ٥/٦).
ومن الهيئة المحرابية المسطحة التى توحى بهيئة المسلم القائم فى صلاته رافعاً يديه لتكبيرة الإحرام اللوحتان (رقما ٦٠ ، ٦١) [٦٠] وفى اللوحة (رقم ٦٠) مجموعة من شواهد القبور الإسلامية المتأثرة بنظائرها غير الإسلامية بنفس المنطقة ، فلذلك النمط من الشواهد أصول هندية قديمة.
وهكذا تستمر الهيئة المحرابية المسطحة فى تنوعها المتصاعد ، فمنها ما يشبه تدرج المقرنصات (لوحة رقم ٦٢) ومنها ما تزداد إستدارته أو تتموج فى استطالتها أو يكتنفها كتفان بزائدتين (شكل رقم ٢٤/٦) أو تتكسر فى ارتفاعاتها قبل تقوسها أو تتوج برأسين (الشكلان رقما ٥ ، ٦) واللوحات (أرقام ٦٣ حتى٦٦).وتقتضى الأمانة العلمية ذكر الأصول والتأثيرات المتبادلة بين الهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة ببعض أنواع عقودها مع نظائرها فى الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، حيث وصلتنا أعداد كثيرة جداً من هذه النظائر المسيحية واليهودية (اللوحتان رقما ٦٧ ، ٦٨) [٦١] بعضها يحمل تواريخ سابقة على ظهور الإسلام ،وبعضها الآخر معاصر للفترات التاريخية الإسلامية ، بل ومستمر حتى الآن ،وبعضها سبق

---

[٥٧] - مرزوق (د. محمد عبد العزيز) :- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (د.ت) ص٩٦ ، ص١١٣ وشكل ٥٣ .

[58] - http://Commons.wikimedia.org

[59] - www.Brookwoodcemetery.com

[60] - www.photographersdirect.com

[61] - www.Jewishencyclopedia.com

الإشارة إليه فى أسبانيا المسيحية قبل الإسلام(اللوحتان٥٢،٥٣) أو فى أصوله الهندية القديمة (لوحة رقم ٦٠) أو فى بعض الحضارات العربية القديمة قبل ميلاد السيد المسيح ، مثل قتبان وغيرها باليمن ، أو فى نظائرها الرومانية قبل ميلاد السيد المسيح (اللوحتان رقما ٦٩ ، ٧٠) [٦٢] وكل ذلك يتعارض مع منطقية تطور المعقد من البسيط ، بمعنى رسم أو حفر الهيئة المحرابية أولاً على هيئات غير محرابية ، ثم استقلاليتها فى أوقات لاحقة.

هذا وتؤكد الدلائل المادية الأثرية أن الهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة ليست إبتكاراً إسلامياً ، وإنما هى تنتمى للطرز الكلاسيكية التقليدية القديمة ، لكن اختلاف المعتقد الإسلامى أضاف لها ما أثرى هيئتها ، فكلمة المحراب وردت فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة (سورة البقرة الآيات ١٤٢ – ١٤٤ ، سورة آل عمران الآيات ٣٧ – ٣٩ ، سورة مريم الآية ١١) بمعنى المكان المخصص للعبادة ، أو الملجأ الآمن ، والقبلة تعنى المحراب أيضاً ، وقد استخدم رب العزة كلمة القبلة مخاطباً نبيه الكريم قائلاً :- " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها " " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم .... " فالمحراب أو القبلة فى الإسلام هى الجهة أو الناحية التى يوجه المسلمون وجوههم نحوها فى صلاتهم صوب بيت الله الحرام الذى تتجه إليه كافة محاريب مساجد الأرض ، والمحراب علاوة على ذلك يعد رمزاً لوحدة الأمة الإسلامية حينما تتجه عند الصلاه فى كافة أقطار الأرض صوب هذه البقعة المباركة من مكة على نحو دائرى حول مركز فى الوسط ، هو الكعبة التى تمثل مركز الكون [٦٣].

أما بعد الموت والدفن فشاهد القبر– أيا كان طرازه – ينتصب عند رأس الميت " روسية " وتقاليد الدفن الإسلامية توجب دفن الميت على شقه الأيمن وصدره ووجهه صوب قبلته فى مكة المكرمة كما سبق القول ، والمحراب أحد العناصر المعمارية بالمنشآت الدينية التى تؤدى فيها الصلاة التى إن صلحت صلح العمل كله طبقاً لما ورد فى الحديث النبوى الصحيح ، والمحراب فوق رأس الميت يذكر بعمله الصالح فى محياه ، ومن ضمنه أنه كان من المصلين ، فضلاً عن بساطة شكل المحراب وجماليات تصميماته المتعددة السابقة.

---

62 - www.livius.org/mo-mt

٦٣ - ياسين (د. عبد الناصر حسن) :- المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

٣- هيئة الأعمدة والدعامات والمسلات :-

(أ) الأعمدة :-

عرفت الأعمدة فى الأبنية منذ العصور القديمة ، ففيما يتعلق بالعمارة المصرية القديمة (الفرعونية) نذكر الأعمدة المربعة والمستديرة وذات القنوات والنخيلية وأعمدة اللوتس والبردى وغيرها(شكل رقم٧/٧/٣،٧/٤،٥) وفيما يتعلق بالعمارة الإغريقية العمود الدورى والأيونى والكورنثى (شكل رقم ٧/٧) والأخير انتقل من العمارة الرومانية إلى العمارة البيزنطية وتطور من تاجه شكل كأسي ذاع استخدامه فى الفن والعمارة الإسلامية حتى صار من أهم سماتها ، وأضاف الرومان العمود التوسكانى وهو اشتقاق مبسط من العمود الدورى ، والعمود المركب والذى جمع تاجه بين الأيونى والكورنثى [٦٤].

وابتكر المسلمون طرزاً جديدة لهم طبعوها بما يتفق مع ميولهم وعقيدتهم كالأعمدة إسطوانية البدن ذات التيجان الناقوسية أو الرمانية (أى كالرمانة) ثم ابتكروا الأعمدة المثمنة وذات الأبدان المضلعة تضليعاً حلزونياً ومزخرفة بزخارف دالية ، وجعلوا لها وظيفة إنشائية وأخرى زخرفية جمالية خاصة فى الأعمدة الصغيرة المدمجة فى جوانب النوافذ وأركان الأبنية والحنايا المختلفة.

كما عرفت العمارة الإسلامية العمود المطوق ، وهو الذى يطوق بحزام معدنى فيما بين التاج والبدن وفيما بين القاعدة والبدن.

وفيما يتعلق بالتيجان والقواعد فقد عرفت الأعمدة فى العمارة الإسلامية التاج الناقوسى ، والناقوسى بهيئة زهرة اللوتس المصرية ، والتاج الرمانى ذو القطاع الدائرى أو المثمن المشتمل أحياناً على وريقات نباتية زخرفية ، أما التاج المقرنص فلم تعرفه العمارة الإسلامية إلا بعد شيوع المقرنصات فيها بعد القرن ٧هـ / ١٣م (شكل رقم ١/٧ ، ٢/٧ ، ٦/٧) [٦٥].

وربما تأخر ظهور شواهد قبور إسلامية معمدة حتى منتصف القرن ٣هـ /٩م حيث وصلتنا بوادره فى تونس (لوحة رقم ٧١) [٦٦] فى مجموعة من

---

[٦٤] - محمد (د. سعاد ماهر) :- العمارة الإسلامية علي مر العصور ، الجزء الأول ، دار البيان العربي ، جدة ، ١٩٨٥م ، ص٤٨-٤٩ ، رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٢٠٣-٢٠٤ .

[٦٥] - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٢٠٣-٢٠٤-٢٠٨ .

[٦٦] - زبيس (د. سليمان مصطفي) :- نقائش جديدة من القيروان ، القسم الثالث من ديوان النقائش العربية الموجودة في البلاد التونسية ، المعهد القومي للآثار والفنون ، ١٩٧٧م ، ص٢٢ .

الشواهد المبكرة المؤرخة بعام ٢٦٦هـ / ٨٧٩م ، وإن تكسرت تيجانها بصورة لم توضح نمط التيجان، لكن بقيت القواعد منحوتة مطوقة.
واستمر تطوير النمط المعمد بهيئته العامة وتفاصيل قواعده وتيجانه فى معظم أنحاء العالم الإسلامى على مر العصور بلا انقطاع.
فمن الأمثلة الجميلة من القرن ١١/٥م شاهد قبر من تونس مؤرخ بعام ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م (لوحة رقم ٧٢) والناظر لقمة الشاهد يتذكر مباشرة عنصر البابة أو الرمانة أو التفاحة ، وهى الأجزاء الكروية التى تعلو القوائم الرخامية أو الحجرية بالدرابزينات التى تتقدم حجور المداخل أو تحدد جوانب التركيبات التى تعلو فساقى الدفن أو شرفات المآذن. (٦٧)
ومن القرن اللاحق به شاهد من نفس البلدة ومن نفس الطراز مؤرخ بعام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م (لوحة رقم ٧٣) (٦٨) محفوظ بمتحف الدوحة ، المتأمل فى قمته سرعان ما يتذكر نظائره فى مآذن بخارى وقممها (لوحة رقم ٧٤) .
ومن مصر فى العصر الفاطمى وصلتنا نماذج بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة (لوحة رقم ٧٥) (٦٩) فهى مؤرخة بعامى ٥٣٧هـ / ١١٤٣م ، ٥٥٠هـ / ١١٥٥م، وتأخذ الصفة المعمارية التامة لهيئة العمود (قاعدة ، بدن، تاج) وبالتاج إرهاصات لظهور المقرنصات.
ومن مصر فى العصر المملوكى البحرى وصلتنا نماذج كثيرة بعضها قمته كالبابة (لوحة رقم ٧٦) (٧٠) ، (لوحة رقم ٧٧) (٧١).
وإذا انتقلنا إلى أزمير فى تركيا فى العصر السلجوقى قابلنا ذلك الطراز فى هيئة مطورة ، فهو فى جزئه السفلى إسطوانى ، وفى جزئه العلوى مضلع معقود ومقبب أو غير مقبب (اللوحتان رقما ٧٨ – ٧٩) (٧٢).
وذكرت المنشورات القديمة (٧٣) عن صقلية وصول تسعة نماذج من هذا الطراز دونما عرض لصورها التى أوردت بعضها الدراسات الحديثة (٧٤) .

---

٦٧ - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- المدخل إلي دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الآثارية والنصوص الوثائقية والتاريخية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص٩٢

68 - www.you-are-here.com/qantara/islamicArt.

69 - Wiet (Gaston) :- Catalogue Genral …..Tome Sexiem .pl.xxxvi,pl.xxxix

70 - Ibid,pl.xL.vlll

71 - Ibid,pl.Ll

72 - www.SuperStock.com

٧٣ - رسلان (د. عبد المنعم) :- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا ، تهامة ، جدة ، الكتاب الجامعي – ٤ – ١٤٠١هـ/١٩٨٠م حيث أورد عشر صور لشواهد مستطيلة ومقابريات ولم يورد صورا لشواهد إسطوانية .

74 - Grassi (v) :- " The stele Funerarie di sicilia , provenienze problemi Aperti " 2002

ومن شبه جزيرة القرم فى أوكرانيا وصلنا نموذجاً (لوحة رقم ٨٠) [٧٥] قمته عبارة عن قبيبة بفصوص دائرية يذكرنا ببعض نظائره بعمائر مصر المملوكية الجركسية (قبة مسجد أولجاى اليوسفى بسوق السلاح بالقاهرة).

ومن إستانبول فى العصر العثمانى تبقت أعداداً كثيرة للغاية ، ومتنوعة فى تفاصيلها، بعضها بدون قاعدة والبعض الآخر بقواعد دائرية أو مربعة ، قصيرة أو مرتفعة ، وبعضها بدون تاج ، والبعض الآخر بتيجان تذكر بخشب الخرط وبرامقه ، وبعضها له مضاهى ، والبعض الآخر بدون مضاهى ، وبعضها ينتصب بجوار تركيبة القبر الرخامية ،أو يلتصق بها ، أو يرتفع فوقها بمزيد من المهابة والجلال ،وفى جميع الأحوال لا يخرج بدن العمود عن الهيئة الإسطوانية(اللوحات أرقام٨٢، ٨١، ٨٣)[٧٦]

ووصلتنا شواهد قبور يهودية ومسيحية بهيئة عمود إسطوانى ، سواء قبل ظهور الإسلام أو بعد ظهوره ، وظلت مستخدمة عندهم خاصة لدى المسيحيين حتى الآن سيما فى الجبانات الأوربية ، ببدن إسطوانى أو بقنوات أو على قاعدة مرتفعة ، أو عمود مكسور متعمدين ذلك كى يرمز إلى الحزن خاصة إذا كان المتوفى صغير السن (اللوحتان رقما ٨٤ ، ٨٥) أما عن الجذور الأولى لشواهد القبور من الطراز الإسطوانى المعمم والمطوق فموجود منه حوالى ستمائة عمود بجبانة النبى خالد بجبل جوجة داغ (gugie daagh) شمال شرق يران (لوحة رقم ٨٦)[٧٧].

(ب) الدعامات :-

هى فى المصطلح الأثرى المعمارى المساند والأكتاف – المربعة أو المستطيلة أو الدائرية أو نصف الدائرية – التى يستند عليها سقوف العمائر المختلفة إما بشكل مباشر وإما على بوائك أو عقود فوق هذه الأكتاف أو الدعائم . قيل أن أول ظهور لهذه الدعائم وجد فى السواند الكلاسيكية حيث يحول ساق العمود إلى تكوين زخرفى متكامل ، وتحول زخارفه إلى دلايات وتيجان بأشكال عديدة منها البيضاوى والقرصى واللؤلؤى وجذع الشجرة والورقة القلبية ، كما قد تكون على شكل باقة علقت بها سيقان تنتهى بفواكه

---

75 - www.dreamstime.com

76 - www.lonelyplantimages.com,www.superstock.com

٧٧ - يقول أهالي المنطقة عن هذه الأعمدة أنها شواهد قبور إسلامية ، وأن النبي خالد كان باليمن قبل سيدنا محمد (ص) بأربعين عاما ، لكن الدراسات الأثرية أثبتت أن أقصر الأعمدة كان ٥٠سم ، وأطولها ٤متر ، وأنها ذات وظيفة معمارية وليست شواهد قبور لخلوها من الكتابات ، وأنها ترجع إلي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وأن أصولها من منطقة فاليك (Phallic) بالهند ، وأنها ترمز إلي عضو التناسل الذكري .

www.Summitpost.org

وزهور ووريدات ، أو على شكل زخارف شبيهه بالخرشوف ، ومن ذلك أيضاً الدعامات ذات القمم المشطوفة الحواف . [٧٨]

ولما كانت الدعائم قديمة الاستخدام فى العمائر لدورها الوظيفى والزخرفى فقد انتقلت هيئتها إلى شواهد القبور الإسلامية ، ويبدو أنها كانت أكثر انتشاراً فى منطقة القوقاز وشرق العالم الإسلامى أكثر بكثير عن بقية النطاقات الأخرى ، وذلك فى تنوع بديع فى شكلها وقمتها وزخارفها ، من ذلك شاهد قبر بإحدى جبانات دربند فى داغستان (لوحة رقم ٨٧) [٧٩] وشواهد الجبانة كلها من نفس الهيئة المكعبة شديدة الإستطالة ، غنية الزخارف ، متوجة بقبيبة مفصصة وكأنها تدور ، أو متوجة بإفريز بارز غير مقرنص.

وثمة جبانة فريدة فى أذربيجان تسمى جبانة حميد الصوفى (لوحة رقم ٨٨)[٨٠] بها مئات من شواهد القبور الإسلامية بهيئة دعامة مرتفعة لها قاعدة مربعة وبدن مقسم إلى أقسام مطوقة بإفريز بارز يفصل بين كل قسمين ، وتنتهى الدعامة بما يشبه جوسق المئذنة المغطى بقبيبة مفصصة ، زاد فى هيبة الدعامة إلتصاقها بتركيبة رخامية فوق القبر بحيث توازن الإمتداد الأفقى للتركيبة مع الإستطالة الرأسية للدعامة ، كما زاد من جمالياتهما ثراء الزخارف وتذهيبها حتى انفردت تلك الجبانة بالوصف السابق لشواهدها وتراكيبها ليس بين جبانات جمهورية أذربيجان ، وإنما بين جبانات العالم ، لأن حتى ألوان زخارفها كانت من الباستيل ، وهى ألوان جافة خالية من المذيبات .

ومن بين الهيئات الكثيرة لشواهد القبور الإسلامية بجبانات إقليم " إتشيه" فى أندونسيا تنتصب الدعائم بشكل يختلف عما ورد بجمهوريات القوقاز ، فهى متنوعة القواعد والقمم ، لكنها موحدة فى بدنها المفرغ والمجدول كشبكة العنكبوت (اللوحتان رقما ٨٩ ، ٩٠) [٨١] وبعضها له قاعدة مربعة مطوقة بإفريز بارز يفصلها عن البدن ، والبعض الآخر بدون قاعدة ، وبعضها له قمة كالزهرة المتفتحة ، والبعض الآخر قمته كهيئة شخشيخة القبة ذات الفانوس.

والواقع أن القبيبات التى تتوج هيئة الدعائم فى شواهد القبور الإسلامية متنوعة ، ولا شك فى أنها متأثرة بنظائرها فى العمارة الإسلامية عامة وفى القباب التى كانت تغطى الأضرحة خاصة ، فكم من قباب لا تزال تغطى

---

[٧٨] - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص١٠٨

[79] - www.glowimages.impactinit.com

[80] - www.azeri.org

[81] - http://archnet.org/library

الأضرحة والمشاهد والمقامات والمزارات ، بعضها عبارة عن بناء محدودب له شكل كرة مشطورة عند أوسطها ، أو شكل بيضاوى أو مخروطى أو حلزونى أو مضلع أو مفصص وكأنه يدور أو بهيئة فانوس ، وغير ذلك (شكل رقم ١/٨ ، ٢/٨ ، ٣/٨ ، ٤/٨ ، ٥/٨ ، ٦/٨) [٨٢] كما زخرفت أسطحها الخارجية بالزخارف الدالية والأطباق النجمية والأشكال النباتية والهندسية فى إيقاع زخرفى متوازن يوائم التناقص التصاعدى لسطحها ، حتى قيل بشأن القبة وقطاعاتها وزخارفها الشيئ الكثير مثل:- أنها تمثل قبة السماء المظللة للأرض بكل ما فيها من سعة ورحابة وجلال، تفسيراً لقوله تعالى" خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم " [٨٣] وقيل أنها تساعد بشكلها الأجوف المقوس على جمع الأصوات عند الصلاة وتعمل على ترديد رجعها أو صداها بشكل إيحائى يدخل الخشوع والانفعال الوجدانى عند المصلين ، فضلاً عن دورها الوظيفى والجمالى.

وفى باب التجذير نجد أصولاً يهودية ومسيحية لشواهد القبور الإسلامية من طراز الدعامة ، ثم استمرت التأثيرات المتبادلة بعد الإسلام خاصة فى نفس النطاقات الجغرافية ، ويكفى أن نقارن بين مجموعة من شواهد القبور المسيحية بإحدى جبانات أرمينية (لوحة رقم ٩١) [٨٤] وهى من القرن ١١هـ / ١٧م وما بعده (شكل رقم ١٣/٩) وأشباهها بجبانة حميد الصوفى بأذربيجان (لوحة رقم ٨٨) كما وصلتنا شواهد قبور مسيحية مبكرة عبارة عن دعائم مكعبة (لوحة رقم ٩٢)[٨٥] وأخرى حديثة نسبياً من جبانة (Gorhayk) بأرمينية (لوحة رقم ٩٣) [٨٦] قلدتها بعض نظائرها الإسلامية (لوحة رقم ٩٤) وفى جبانة " سولاوسى " شمال شرق أندونسيا توجد مجموعة من شواهد القبور المسيحية (لوحة رقم ٩٥) [٨٧] بهيئة دعامة مكعبة قصيرة وقمتها هرمية ، أما الأمثلة اليهودية الحديثة نسبياً فمنها دعامات خشبية مكعبة ذات قمة كروية من بعض جبانات أوربا الشرقية.

وتبقت نصب تذكارية وشواهد قبور بهيئة الدعائم من بعض الحضارات السابقة على الديانتين المسيحية واليهودية ، كحضارات الفراعنة والهنود والعرب.[٨٨]

---

٨٢ - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص١٧٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦

٨٣ - سورة لقمان ، آية ١٠

84 - www.123rf.com

85 - www.panoramio.com

86 - www.Superstock.com

87 - www.lonelyplanetimages.com

٨٨ - عن تعريف النصب التذكاري انظر ملحق الدراسة .

(ج) المسلات :-

المسلة هى برج أو عمود حجرى ، نحيف عمودى ، أو ذو أربعة جوانب ، وينتهى رأسه بهرم صغير ، ترتفع عادة لقرابة أربعين متراً ، اشتهرت به الحضارة المصرية الفرعونية (لوحة رقم ٩٦) كما عرفت فى حضارات قديمة أخرى فى سوريا وأشور والحبشة وروما ، وهى ترمز فى الحضارة الرومانية للحزن والموت والخلود والحداد ، كما يرمز الشكل الهرمى - قمة المسلة – للموت.

واقتبس شكل المسلة لعمل شواهد قبور لدى بعض الحضارات والديانات السابقة على الإسلام ، حيث وصلنا شاهد قبر بهيئة مسلة مزدوجة ذات رأسين كل منهما هرمى ، فى قرطاج بتونس ، ويرجع إلى القرن ٣ ق.م

(لوحة رقم ٩٧) [٨٩] كما وصلتنا نماذج كثيرة منه فى بعض جبانات الشرق الأقصى كالصين واليابان

(لوحة رقم ٩٨) [٩٠] واستعمل فى بعض الجبانات المسيحية قبل الإسلام خاصة فى نطاق شرق أوربا ، حتى انتشر بعد ذلك فى جبانات أوربا كلها وأمريكا ، واستمر مستعملاً حتى الآن (لوحة رقم ٩٩) وتنوعت النهايات التى تتوج القمة الهرمية فمنها ما هو بهيئة مزهرية أو آنية أو صليب أو كرة صغيرة أو غير ذلك ، ومن أمثلته الشهيرة التى تسبق فتح العثمانيين للبوسنة، شاهد قبر الملك تفرتكو الأول (Tvrtko) المتوفى عام ٧٩٤هـ / ١٣٩١م (لوحة رقم ١٠٠) [٩١] ذلك أن العثمانيين فتحوها عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م ، ونذكر البوسنة لأن هذا النمط من شواهد القبور الإسلامية لم يكتب له الانتشار سوى فى مجموعة دول شرق أوربا خاصة البوسنة والهرسك ويوغوسلافيا السابقة والصرب وأوكرنيا وغيرها ، حتى أن جبانات بأكملها فى بعض هذه الدول لم يستخدم فيها سوى هيئة المسلة

(اللوحات أرقام ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥) وإن كان استعمالها لذلك الطراز لا ينفى استخدام طرز أخرى معه ، هذا وقد تنوعت أبدان وقمم المسلات بالنماذج الإسلامية المشار إليها فمنها ذات البدن المكعب والقمة الهرمية بطرف مسنن أو بطرف مقبب أو بقمة مشطوفة ، ومنها ذات البدن المضلع والقمة المسلوبة ، وهى فى كل ما سبق إما أنها تذكر بشجرة السرو أو ببعض طرز المآذن أو بأبراج بعض الأضرحة أو ببعض طرز الخيام بكل ما تحمل الأمثلة السابقة من مغزى ومعنى على التفصيل التالى:

---

89 - www.Corbisimages.com
90 - www.123rf.com
91 - www.Skyscrapercity.com

إنتشرت تلك الهيئة فى أوربا الشرقية فى العصر العثمانى ، وتعتبر شجرة السرو (لوحة رقم ١٠٦) من أخص مميزات الفن العثمانى ، واختيارها من بين الأشجار الكثيرة المتوفرة فى البلاد العثمانية والعناية برسمها تلك العناية التى جعلت منها أحد المعالم البارزة فى هذا الفن ، يرجع إلى رائحتها الطيبة مما جعل منها خير ما يزين ساحات القبور والمزارات حتى تغطى رائحتها العطرة على ما قد ينبعث من تلك الأماكن من روائح غير مقبولة ، كما أن خضرتها لا تتغير على مدار العام ، واللون الأخضر هو المفضل عند المسلمين لأنه شعار الأسرة النبوية ، ولعل العثمانيين رأوا فى طول شجرة السرو الفارع وقوامها الرشيق وتطلعها نحو السماء ما يربط بينها وبين صعود الروح إلى بارئها بعد أن تترك الجسد الفانى فى القبر ، ولعلهم رأوا فيها ما يذكرهم بمئذنة المسجد التى ينبعث منها الآذان خمس مرات فى اليوم بما يوقظ فى النفس الشعور الدينى ويذكر الإنسان بالآخرة حيث الراحة والنعيم المقيم ، من أجل هذه المعانى كلها أو بعضها أقبل العثمانيون على تزيين معظم ما أخرجته أيديهم من عمائر وتحف بالصور والرسوم المختلفة لهذه الشجرة، فنراها على كثير من الفنون التطبيقية ، كسجاجيد الصلاة
(طراز ميلاس وغيره) ومرسومة على محاريب المساجد وعلى جدرانها ، ومنقوشة على شواهد القبور[٩٢]، ثم جعلوا الهيئة العامة لبعض شواهد القبور كهيئة شجرة السرو فى استقامتها وكأنها رمز للحرف الأول من لفظ الجلالة (الله) فهى رمز التوحيد ، والاستقامة والحقيقة.
أما عن المآذن فقد اختلفت أشكالها فى العمارة الإسلامية عامة وذلك باختلاف البلدان المقامة فيها ، فهى مخروطية الشكل فى بلاد فارس ، مربعة فى إفريقية والأندلس ، وأسطوانية ذات قمة مخروطية مدببة فى أعلاها فى تركيا، ومتنوعة فى دوراتها وجواسقها وقممها فى مصر، فمنها ما هو كالمبخرة أو كالخوذة المضلعة أو برأسين أو بعدة رؤوس [٩٣]
(شكل رقم ١/٩ حتى ١١/٩). وثمة مجموعة كبيرة من الأضرحة فى تركيا وإيران تكاد تتطابق هيئاتها العامة مع طراز المسلة ، منها ضريح قليج أرسلان فى قونية ، القرن ٦هـ /١٢م (شكل رقم ٨/٨) وضريح بوبالى كوى فى أفيون بتركيا، بداية القرن ٧هـ / ١٣م (شكل رقم ٧/٨) وضريح شاه ركن الدين فى دز فول بإيران ، حوالى القرن ٧هـ / ١٣م (شكل رقم ٩/٨) وضريح سلجوقى فى إسكى شهر (لوحة رقم ١٠٧) وآخر فى همدان بإيران (لوحة رقم ١٠٨) وضريح جونبای قابوس فى جرجان بإيران

[٩٢] - مرزوق (د. محمد عبد العزيز) :- الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ص٣٨-٣٩ .
[٩٣]- رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٣١١

(لوحة رقم ١٠٩) هذه الأضرحة مغطاة بقباب هرمية مضلعة أو مخروطية، وتشبهها في الهيئة العامة مجموعة من التحف التطبيقية السلجوقية والعثمانية كالتنانير والمباخر وصناديق المصاحف ، هذه الهيئة المنشورية المغطاة بقباب هرمية مستوحاة من أشكال الخيام التركية والمغولية من الطراز المخروطى(لوحة رقم ١١٠) [٩٤].

٤- الهيئة المعممة:-

الدولة العثمانية دولة طبقية ، تضم أحراراً وقولاراً (عبيد) وباستثناء السلطان والأمراء فجميع الهيئة الحاكمة العثمانية من أصغر فرد حتى رئيس الوزراء من الأرقاء ، وهم مسلمون تضمهم طبقتين ، طبقة عسكرية كالمشاه والسباهية (الفرسان) والإنكشارية وغيرهم، وطبقة حاكمة تتولى المناصب والإدارة وحكم الولايات . أما طبقة الأحرار فقسمين أيضاً كلاهما مسلم ، قسم يتولى مناصب عسكرية ومدنية قيادية ، وقسم تمثله الهيئة الدينية الإسلامية التى تتولى القضاء والإفتاء والأوقاف والإشراف على المؤسسات الدينية ، وطبقة الأحرار بقسميها مسلمين عاديين فى مستوى أدنى من مستوى القولار [٩٥].

نذكر ذلك لصلته المباشرة بالموضوع ، فإلى جانب هذه الطبقية حكمت الدولة العثمانية رعايا وأجناس شتى كالعرب والأكراد والتركمان والشراكسة والبربر والسريان والأرمن والألبان والبوشناق والرومان والصرب والبلغار والكروات والقبارصة والغجر والقزق وغيرهم، ولكل قومية وجنسية زى خاص ومن ضمن الزى غطاء الرأس.

لقد حرص العثمانيون حرصاً شديداً على التمسك بالطبقية فى التركيبة الإجتماعية فى حياتهم ، وإنتقلت بعد مماتهم إلى هيئات شواهد قبورهم وتراكيبها ، لدرجة فرقت بين شاهد قبر الرجل وشاهد قبر المرأة ، وقبل تفصيل ذلك يجب تعريف أغطية الرؤوس العثمانية الآتية:-

- **الكولاة**:- يلبسها النساء والرجال من المدنيين والعسكريين ، وهى من الصوف أو القطن أو اللباد أو القماش ، لها عدة أشكال فى معظمهما على شكل مخروطى أو بشكل قبة أو بشكل إسطوانى يتسع فى اتجاه الجزء العلوى ، أو بشكل أنبوب أو خوذة أو قبعة بحواف عريضة ، ومنها ما يرتديه خدم البلاط ، ومنها الخاص بالإنكشارية ، أو بالضباط وأحياناً تركب

---

[٩٤] - نور (د. حسن محمد) :- الخيام في تصاوير المخطوطات الإيرانية حتي نهاية القرن ١٢هـ/١٨م ، دراسة حضارية فنية ، مجلة كلية الآثار بقنا ، العدد الأول ، يوليو ٢٠٠٦م، ص١٨٤ وشكل رقم ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

[٩٥] - الشناوي (د. عبد العزيز محمد) :- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٨٠م ، ص١١٩ ، ١٢٨ .

فوقها ريشة ، ومنها الخاص بالدروايش الصوفية حيث كان لكل طريقة صوفية الحق فى استخدام عدة أنواع كالمتموج وذى الجديلة وغير ذلك مما سيفصل بعد قليل ، استمرت الكولات حتى القرن ١٣هـ / ١٩م ليحل محلها الطربوش.

العمامة :- تصنع من القطن أو القماش ، وتكون صغيرة الحجم أو كبيرة حسب عدد طياتها ولفاتها حول طاقية أو قلنسوة طويلة يرتفع طرفها من وسط اللفائف ارتفاعاً بسيطاً أو كبيراً حسب هيئتها ، فمنها ما يزود بريشة أو بريش ، أو بحجر كريم أو شبه كريم ، أو بطوخ أو بطوغ وهو ذوابة من شعر الخيل يعلق بالعمامة أو بسارية ترفع أمام المواكب والحفلات الرسمية، وعدد الأطواغ هو الذى يحدد مراكز كبار رجال الدولة ، فالسلطان له تسعة أطواخ ، والصدر الأعظم خمسة ، وللوزير من رتبة الباشوية ثلاثة ، وللبك طوخاً واحداً أو اثنين ، وفى استخدام الأطواغ خير دليل على التمسك الشديد بالتقاليد القبلية التركية القديمة [٩٦] (لوحة رقم ١١١/ ١/٢/٣/٤/٥) وشكل (رقم ١١/١/٢/٣) ويرتدى العمامة مدنيين وعسكريين من طبقات عدة فى المجتمع العثمانى بما فيهم السلاطين قبل شيوع الطربوش ، مع تنوع فى كيفية إنسدال طياتها ومسمياتها ، وتوضح اللوحة (رقم ١١٢) أن حوالى ثلاثين سلطاناً من سلاطين آل عثمان يرتدونها فى تنوع هيئاتها ومكملاتها ، ولم يرتد الطربوش منهم سوى آخر ستة سلاطين.

القاووق :- عمامة عثمانية كانت تلبس قبل انتشار لبس الطربوش ، وهى عبارة عن شريط طويل من القماش تلف بارتفاع ما بين (٤٠ – ٦٠سم) بطرق مختلفة ، ويتم المحافظة على قوامها باستخدام قوائم داخلية من المعدن أو تركيب سلة بداخله، وكان لابد من لبسها مع اللف فى طيات، وهى أنواع كثيرة أبرزها:- قلاوى ، سليمى ، مجوزة ، عُرْفُ ، خرطاوى ، كاتبى ، قلفات ، فالقلاوى مخروطى الشكل ويضيق من أعلاه ، والمجوزة إسطوانية الشكل واستخدمها رجال الدولة العثمانية فترة طويلة، والسليمى قاووق يرتفع ٦٥سم وقمته منبسطة تلف حول عمامة بيضاء وينسب للسلطان سليم الأول (٩١٨ – ٩٢٧هـ / ١٥١٢ – ١٥٢٠م) والعُرْفى قاووق ضخم يشبه القبة ويلبسه رجال الدين فى القرن ١٢هـ / ١٨م ، والخرطاوى قاووق مرتفع مدبب يلبس بدون عمامة وكان منتشراً فى القرن١١هـ / ١٧م . [٩٧]

---

[٩٦] - نفس المرجع السابق ، جـ١ ، ص٣٦٥ .

[٩٧] - صابان (د. سهيل) :- المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، السلسلة الثالثة – ٤٣ – مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ .

- **الطربوش (الفس fez)**:- اتخذ لبسه رسمياً فى الدولة العثمانية بعد إلغاء الإنكشارية عام١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦م ، ويصنع من الصوف المضغوط (اللباد) أو من الجوخ الملبس على قاعدة من القش أو الخوص المحاك على شكل مخروط ناقص ، ولكل رأس قالب خاص حيث يتراوح ما بين ٢٥ : ٧٥سم ، يلبس بدون عمامة ، ويزود دائما بشرابة سوداء متدلية تطول أو تقصر (لوحة رقم ١١٣) وقد تلف حوله عمامة بيضاء أو ملونة بسيطة وقليلة الطيات خاصة حول جزئه السفلى
(لوحة رقم ١١٤) اشتهرت به مدينة فاس المغربية حتى خلعت اسمها عليه (fes) وكان دائما باللون الأحمر حتى صنع مؤخراً بألوان أخرى أشهرها الأسود ، وانتشر فى أنحاء العالم.

- **القلبق**: غطاء رأس من الصوف يرتديه الرجال والنساء.

إن الدالف لمقبرة عثمانية فكأنما يزور متحفاً مفتوحاً وليس مدينة للأموات تنتصب فيها أعمدة الرخام بجوار تراكيب القبور ، فلهذه الشواهد لغة ولسان لمن يفهم [٩٨] ، لأن هيئتها العامة وحدها تفصح عن جنس الراقد أسفلها رجلاً كان أم إمرأة ، وطبقته الإجتماعية ومهنته ونوع طريقته الصوفية ، كل ذلك من هيئة الشاهد ، وبما يتضافر معها من نصوص الشاهد وزخارفه وألوانه ، على التفصيل التالى:-

(أ) قمم شواهد قبور المتصوفة :-

حفر مشايخ الصوفية ومريديهم كثيراً من الأشكال والرموز على شواهد قبورهم ، فإن كان مولوياً عمل على شاهد قبره عمامة مولوية ، وإن كان من مريدى الطريقة القادرية زخرف شاهد قبره بزهرة القادرية ، وهى زهرة تتغير هيئتها حسب فرع الطريقة ، فإن كان من أتباع الفرع الرومى للطريقة القادرية زخرف شاهده بشكل تاج ذى ثمانية رؤوس فى وسطه زهرة الطريقة القادرية ، وإن كان فى فرع آخر من هذه الطريقة زخرف الشاهد بنجمة ثمانية ضمن تاج حوله عمامة ، وإن كان من إتباع الطريقة البيرامية زخرف شاهده بهيئة قلنسوة سداسية ، وإن كان من أتباع الطريقة النقشبندية زخرف شاهده بتاج ذى أهداب ، وإن كان من أتباع الطريقة السنبلية – أسسها الشيخ سنبل سنان – زخرف شاهده برمز تلك الطريقة وهو السنبلة، وكثير من الطرق الصوفية كانت تحفر على شواهد قبورها ٠ مع رموزها الخاصة – بعض رموز الصوفية بصفة عامة كالكشكول والفأس وحجر التسليم باثنتى عشرة زاوية ، وهو ما كان يحمله دراويش البكتاشية فى

[٩٨] - أوغر لوايل (طلحة) :- لمسات الجمال في شواهد القبور العثمانية ، مجلة حراء ، العدد العاشر – مارس ٢٠٠٨م . ص٣٢-٣٦ .

أعناقهم [٩٩] ، ورمز المغرفة (جمع مغارف وهو رمز إطعام الطعام وتوزيعه على الناس) وغير ذلك من الرموز والشارات الخاصة بمعتقد الصوفية.

وانتقلت بعض الرموز والأشكال السابقة من كونها محفورة على جسم الشاهد لتتبوأ مكانتها كهيئة عامة لقمة الشاهد بما يلفت الانتباه من مجرد النظرة الأولى العابرة لحقيقة وكنه ومشرب الراقد أسفله، ومن بين مئات شواهد القبور التى قمتها بهيئة معممة وقع اختيارى على حوالى عشرين منها ، لا يتطابق فيها شاهد مع آخر (اللوحات من رقم ١١٥ حتى رقم ١٢٨) فمنها ما قمته بهيئة قلنسوة إسطوانية طويلة من الجوخ المضغوط ، ملساء بدون أية تفاصيل ، وهى خاصة ببعض فرق المولوية (لوحة رقم ١١٥)
(شكل رقم ٦/١٠) .

ومنها ما قمته بهيئة تاج تبرز منه زهرة متعددة البتلات ، مع حفر سنبلة مائلة تقطع التاج أسفل البتلات ، خاصة بالطريقة السنبلية (لوحة رقم ١١٦) (شكل رقم ٧/١١) وهى من شاهد بجبانة ضاحية أيوب بإستانبول ، ومنها ما قمته بهيئة مثلثة بثلاثة فصوص كبيرة ، الأوسط إسطوانى ومنقوش بحزوز شبكية ، والجانبيان بسطح أملس، خاصة بالطريقة البكتاشية (لوحة رقم ١١٧) (شكل رقم ٤/١١) وهى من شبه جزيرة القرم فى أوكرانيا، ومنها ما قمته بهيئة طاقية إسطوانية كبيرة يلتف حول ثلثها السفلى لفائف مجدولة كالسلة (لوحة رقم ١١٨) (شكل رقم ١٩/١٠) وهى من جبانة فاماجوستا شمالى قبرص ، ومنها ما قمته بهيئة إسطوانية مفصصة تستدق قليلاً عند القمة وتطوق بطوق فى ثلثها السفلى(لوحة رقم ١١٩)
(شكل رقم ٦/١١) وهى من إحدى جبانات مدينة بورصة ، ومنها ما قمته كالخوذة الكروية ذات القونس المسلوب كبير الاستطالة (لوحة رقم ١٢٠)
(شكل رقم ١٠/١٠) وهى من إحدى جبانات البوسنة ، ومنها ما قمته بهيئة البابة فى تراكيب القبور المجاورة للشاهد(شكل رقم ٨/١١) ومنها ما قمته بهيئة عمامة صغيرة أو كبيرة ، انتظمت طياتها ولفاتها فى وضع إسطوانى ، أو كروى ، أو كمثرى ، أو غير ذلك ، بحيث تحبك اللفائف فى وضع رأسى أو عرضى أو مائل يمنة أو يسرة ، أو كلاهما معا ، أو يقطع اللفائف العرضية المنتظمة لفافة مائلة ، وقد تغطى اللفائف الطاقية أو القلنسوة أسفل العمامة بكاملها ، أو يبرز طرفها من وسط العمامة بارتفاع يطول أو يقصر ، وبتفاصيل قنوات رأسية ضيقة ، أو بحزوز دالية متتالية ، او يكون أملس دون تفاصيل ، وقد تلون قمة الشاهد بلون ما ، وقد تترك بلون الرخام الطبيعى(اللوحات من رقم ١٢١ حتى رقم ١٢٨)

[٩٩] - نفس المرجع السابق ، ص٣٢-٣٦ .

(الأشـــكال رقـــم ٥/١٠ ، ١٤/١٠ ، ١٥/١٠ ، ١٦/١٠، ١٧/١٠ ، ١٨/١٠ ، ٢٠/١٠ ، ٥/١١) ولا يخفى صلة ذلك بتفضيل كل طريقة صوفية للون معين تتميز به عن غيرها من الطرق الأخرى ، فاللون الأبيض فضلته جماعة الدروايش القادرية ، واللون الأحمر فضلته جماعة الدراويش الأحمدية ، واللون الأخضر فضلته جماعة الدراويش البرهامية ، واللون الأزرق فضلته الطريقة الرفاعية ، لقد فضلت هذه الطرق الصوفية تلك الألوان لدرجة جعلت منها شعاراً لها، لونت به بيارقها وأعلامها ، وجعلته فى أرضيات بعض سجاجيد الصلاة العثمانية

(كاللوحات أرقام ٢٧ حتى ٣١) ووصلنا دليل أثرى آخر متمثلاً فى تصاوير بعض المخطوطات العثمانية التى تم تزويقها فى تكايا المولوية بقونية وبغداد حسبما ورد بخواتيم هذه المخطوطات [١٠٠] ، وغيرها مما نفذت تصاويره بمرسم البلاط الرسمى فى إستانبول ، ففى اللوحة (رقم ١٢٩) نشاهد أحد أقطاب الطريقة المولوية بعمامته البيضاء الضخمة التى بولغ فى حجمها ولفائفها ، وفى اللوحة (رقم ١٣٠) نرى أحد درويش المولوية يؤدى رقصة الطريقة وعلى رأسه قلنسوة مخروطية حمراء بينما يؤديها زميله فى اللوحة (رقم ١٣١) وعلي رأسه عمامة خضراء ترتفع من وسطها قلنسوة حمراء ، فى حين ظهر الدرويش المولوى باللوحة

(رقم ١٣٢) بعمامة متعدد الطيات ذات ذوابة منسدلة بين الكتفين ، وتغطى الطيات الجزء السفلى من قلنسوة كبيرة ، كل ما سبق من تنوع يخص طريقة صوفية واحدة من مجموع الطرق الصوفية الكثيرة المنتشرة فى العصر العثمانى.

ولم يتوقف التنوع على قمة الشواهد فحسب ، بل تعداه إلى بقية جسم الشاهد، الذى يكون تارة بهيئة دعامة مستطيلة أو عمود إسطوانى أو دعامة مكعبة أو مضلعة ، أو ببدن انسيابى متموج ، وفى معظم الحالات يحرص الصانع على ترقيب الشاهد من الهيئة المعممة ، حتى تفصل الرقبة قمة الشاهد عن بدنه ، وبما يذكر بالهيئة الآدمية المكونة من رأس ورقبة وبدن ، كما توضح لنا بعض الشواهد السابقة جذر الشاهد الذى يغرس فى الأرض أو يثبت فى التركيبة المجاورة.

---

[١٠٠] - جاغمان (فليز) :- مدرسة متطورة للمنمنمات في تكايا المولوية أواخر القرن السادس عشر ، ترجمة تحسين عمر طه ، ص١-١٩ ، هذا وقد ألف مجموعة من العلماء تحت إشراف(lifchez)كتابا عن تكايا الدراويش ودور الصوفية في المجتمع العثماني ،= وخصص المؤلفون الصفحات (من ص٢٨٤ حتي ص٢٩٥) عن شواهد قبور الصوفية. انظر :-

Lifchez (R) :- The Dervish lodge . university of California . Press . 1992 .

لقد بالغ العثمانيون فى أحجام الشواهد من الهيئة المعممة فوضعوا بعضها فوق التراكيب الرخامية حتى تزداد ارتفاعاً وهيبة ، وصنعوا البعض الآخر بمقاسات جد كبيرة ، ولم تصلنا دراسات حتى الآن عن مقاسات مثل هذه الشواهد التى بلغ بعضها من الضخامة والارتفاع ما يتضاعف على حجم وارتفاع الهيئة البشرية بكثير ، وهو ما تصدقه اللوحتان (رقما ١٣٣ ، ١٣٤) والأولى من إحدى جبانات قبرص ، والثانية من إحدى جبانات سراييفو بالبوسنة.

هذه الضخامة وذلك التنوع إنما يؤكد على قدم الصوفية فى المجتمع العثمانى من جهة ، وأهمية الدور الذى قاموا به من نواحى دينية وحربية وحرفية من جهة أخرى، ذلك أن الاسلام قد انتشر فى شرق أوربا على أيدى العثمانيين ، ثم تحمل عبء نشره فرق الصوفية المختلفة ، حيث تذكر بعض الروايات وصول أحد مشايخ الصوفية وهو الشيخ " سلتق دده " إلى البلقان عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١ م ، ولا تزال تربته التى دفن فيها بعد وفاته عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م باقية حتى الآن فى دوبرجية (بابا داغ) برومانيا ، ثم توافدت بعد ذلك الكثير من الطرق الصوفية كالمولوية والخلوتية والبيرامية والبكتاشية والرفاعية والنقشبندية والقادرية وغيرها ، وكان لها أكبر الأثر فى تثبيت دعائم الإسلام فى البلقان الذى لا تكاد تخلو مدينة من مدنه من وجود تكية بها. [١٠١]

وقد استفادت الدولة العثمانية من هذه الطرق الصوفية التى كان من مبادئ بعضها مجاهدة الكفار ، فاستفادت منهم فى حروبها المتعاقبة ضد الكيانات المسيحية ، كما اختلط الصوفية بنظام الفتوة فى الدولة وهو نظام كان موجوداً فى الأناضول قبل العثمانيين ، وأتباعه يحملون السلاح فى حلهم وترحالهم ، كذلك اختلط الصوفية بأصحاب الأراضى فى الريف وبطوائف الصناع وأرباب الحرف فى المدن [١٠٢] ، مما كان له دور كبير فى انتقال أفكارهم وعقائدهم إلى الفنون العثمانية عامة وشواهد قبورهم كصوفية خاصة.

إن مئات الآلاف من شواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة المعممة المنتشرة فى جميع الإيالات التى خضعت للحكم العثمانى فى قارات ثلاث هى آسيا وأوربا وأفريقية ، لتؤكد بالدليل المادى على انتشار الفكر الصوفى فى المجتمع الإسلامى ، كما وصلتنا شواهد قبور من نفس النمط من مناطق

---

[١٠١] - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية ، المجلد الأول ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م ، ص٢٢٩ .

[١٠٢] - نور (د. حسن محمد) :- التصوير الإسلامي الديني في العصر العثماني ، سلسلة الدراسات الأثرية – ٣ – كلية الآداب بسوهاج ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م . ص١٢ .

شمال غرب إيران ، ومنطقة القوقاز ، ومنطقة وسط آسيا ، وهى مناطق متاخمة للعثمانيين وتأثرت بهم ، وإن كانت إيران قد سبقت تركيا فى اتخاذ شواهد قبور عليها رسوم رمزية مذهبية شيعية. (١٠٣)

كما لا يخفى أن الإسلام انتشر فى مجموعة دول جنوب الصحراء بأفريقية على أيدى الطرق الصوفية ، ومع هذا لم تصلنا نماذج كثيرة من شواهد قبور الهيئة المعممة من النطاق الجغرافي المذكور ، ربما لاندثارها لهشاشة المادة المصنوعة منها ، وربما لشيوع هيئات وطرز فى مناطق دون أخرى من العالم الإسلامى ، وفى أزمنة دون أخرى.

والثابت بالدليل المادى أن تركيا وإيران والجزيرة العربية فى حضاراتها الموغلة فى القدم ، قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث الكبرى ، قد خرطت شواهد قبور بهيئة آدمية كاملة " تماثيل " رأس بتفاصيل الوجه ، وعنق وأذراع وجسد وأقدام (لوحة رقم ١٣٥) لكنها لا تصلح أصولاً لشواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة المعممة ، لأن هذه خرطت للعبادة ، وتلك صنعت لتخليد الذكرى ، فالمعتقد مختلف تمام الإختلاف ، وكذلك تفاصيل الهيئة العامة.

(ب) قمم بهيئة طربوش :-

واستمراراً لما سبق كان العسكريون أشد تمسكاً بوضع الرموز والشارات والرتب العسكرية على شواهد قبورهم ، بحيث وصلتنا منها حصيلة كبيرة تشير الى نوعية السلاح الذى كان يخدم فيه المتوفى ، فالطوبجى (المدفعي) حفر على شاهده شكل مدفع ، والخمبرجى (القنابلي) حفر قنبلة أو كومة قنابل ، ومنهم من حفر شكل سيف أو خنجر أو كنانة أو بوق ، وإن كان بحاراً اتخذ هيئة سفينة أو جزء منها كالسارية أو الشراع أو المرساة أو شارة البحرية العثمانية ، وللإنكشارية شارة خاصة بهم وغطاء رأس من قلنسوة صوفية تتدلى من خلفها قطعة طويلة من القماش، إسطوانية الشكل ، بيضاء اللون ، هى رمزاً للبركة التى منحها الحاج بكتاش لهم عندما تعلق كم ثوبه خلف رأس أحدهم وهو يدعو لهم بالعز والظفر ، وللسباهية

(الفرسان) شارة خاصة بهم وعمامتهم بسيطة وقد تزود بالريش ، والصولاق (الانكشارية الراكبة) يضعون على رؤوسهم قلنسوة إسطوانية مزودة بهيئة مثلث من الشواشى البيضاء ، وهكذا معظم فرق الجيش والدوننما (الأسطول) . وكان الضباط الكبار ممن وصلوا إلى رتب عالية يضعون على شواهد قبورهم رمز الدولة العلية العثمانية " الإرمة " (راجع مركز اللوحة رقم ١١٢) حيث ظهرت هذه الشارة لأول مرة على شواهد القبور فى عهد السلطان سليم الثالث (١١٧٥ – ١٢٢٢هـ/١٧٦١– ١٨٠٨م)

---

١٠٣ - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور خزفية من إيران الصفوية ، ص ٧١-١١٠

فهى ذات مغزى دينى ووطنى ، كما نقش كبار الضباط ممن حصلوا على أوسمة كالوسام المجيدى والوسام الحميدى ، نقشوه على شواهد قبورهم ، حتى من حاز ميدالية منهم نقشها على شاهد قبره ، وسوف تنتقل بعض هذه الرموز والشارات من كونها محفورة على الشواهد إلى أن تتخذ كهيئة عامة للشاهد نفسه ، وبعد اتخاذ الطربوش كغطاء رأس رسمى بعد إلغاء الإنكشارية كثر استخدامه على شواهد القبور كقمة لها ، سواء أكان جسم الشاهد مستطيل أو أسطوانى أو متموج انسيابى(اللوحات أرقام ١٣٦حتى رقم ١٤١)[١٠٤] (شكل رقم ١/١٠ ، ٢/١٠ ، ٣/١٠ ، ٧/١٠ ، ٩/١٠ ، ١١/١٠ ، ١٣/١٠) وتنوعت هيئته الإسطوانية فى كونها تستدق من أعلى أم ترتفع باستقامة ، وفى وجود الشرابة (الزر) أم اختفائها ، وفى صباغته باللون الأخضر الداكن (لوحة رقم ١٣٦) أو الأخضر الفاتح
(لوحة رقم ١٣٧) أو باللون الأحمر (لوحة رقم ١٤٠) وتعدد ألوان الطرابيش السابقة بقمم شواهد القبور يؤكد إنعدام الصلة بين أنساب المتوفين ممن لونت قمم شواهدهم باللون الأخضر وبين النسب النبوى الشريف ، تؤكد ذلك مضامين نصوص الشواهد ، بخلاف إستمرار تمسك المصورين بتلوين عمائم آل البيت النبوى الشريف باللون الأخضر فى المخطوطات العثمانية ، سواء ما زوق منها فى مدارس التكايا بالأقاليم
(لوحة رقم ١٤٢) أو ما زوق بالمرسم السلطانى بإستانبول(لوحة رقم١٤٣)
وهكذا انتشر الطربوش كقمة لكثير من شواهد القبور فى النطاق الجغرافى للدولة العثمانية ، مشيراً ومؤكداً علي التمايز الطبقى والمهنى ، ولم يكتب له الذيوع فى إيران وما شرقها من العالم الإسلامى ، وللحديث تتمة مع بعض الشارات العسكرية البحرية(هيئة الشراع اللوحات أرقام ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧) (شكل رقم ١/٢٣ ، ٢٣٣)

5- هيئة الباروك والركوكو :-

تعنى كلمة باروك (Baroque) فى أصلها اللؤلؤة غير المهذبة فى شكلها أى غريبة الشكل غير المألوفة ، وتغير مدلول الكلمة فأصبحت تطلق خلال القرن ١١هـ / ١٧م على ذلك الطراز الفنى الجديد الذى ظهر فى أوربا لأنه شذ فى عناصره الزخرفية عما كان مألوفاً فى فنون عصر النهضة الأوربية، ولأن عناصره قد ظهرت فى صورة تبدو مشوهة إذا ما قيست بالعناصر الزخرفية التى كانت ذائعة فى أوربا فى ذلك العصر ، ومن هنا جاءت تسميته بالباروك تشبيهاً له باللؤلؤة المشوهة الشكل ، يعزف هذا الفن عن استعمال الخط المستقيم فى الزخرفة ، ويقبل على استعمال الخطوط المنحنية

104 - www.gettyimages.i/detail,http://en.wikipedia.org

والحلزونية وما يتصل بها من سطوح مائلة وأقواس مختلفة (شكل رقم ١/١٢ ، ٢/١٢ ، ٤/١٢ ، ١٢/١٢ ، ١٣/١٢ ، ١٦/١٢) انتشر هذا الفن من إيطاليا إلى سائر أنحاء أوربا ، ومنها تسرب إلى تركيا العثمانية بحيث انعكس هذا الفن بصورة واضحة على ما انتجته أيديهم من عمائر وتيجان أعمدة ومحاريب مساجد وزخارف الأبواب والشبابيك ، وبعض المنسوجات المطرزة وجلود الكتب وشواهد القبور ، لكن اللمسات العثمانية على ذلك الفن غيرت من شخصيته الفنية وطبعته بطابع جديد يصح لنا معه أن نطلق عليه فن الباروك العثمانى [١٠٥].

أما الركوكو (Rococo) فهو كلمة فى اللغة الفرنسية تعنى الصدفة أو المحارة غير المنتظمة الشكل ذات الخطوط المنحنية (Rocaille) والتى استمدت منها زخارف تلك الفترة ، إذ ظهر هذا الطراز من الفن فى القرن ١٢هـ / ١٨م (عصر الركوكو) وهو يعد إمتداداً لفن الباروك ولكن بمقاييس جمالية تتسم بالسلاسة والرقة ، وهو فن له طابع دنيوى أسقط منه كل إدراك للمقدسات والتحليق فيما وراء الطبيعة ، فهو حسى جمالى ، لغته الشكلية متكلفة ، شديدة البراعة ، رشيقة منغمة أنيقة ، لم يكن فن الملوك كما كان فن الباروك ، وإنما كان فن الطبقة الأرستقراطية والطبقة الوسطى. [١٠٦]وتتكون عناصره من القواقع والقراطيس وشوكة اليهود (الأكانتس)

(شكل رقم ١٤/١٢) والأشكال النباتية التى استعيض بها عن مقرنصات الحنايا ، كما أدى الولع فيه بالفنون الصينية إلى إضافة عناصر زخرفية جديدة زادته رونقاً وجمالاً، وساد فى واجهات العمائر وكرانيشها ونوافذها وأعمدتها (شكل رقم ١٥/١٢) وطاقاتها ، وفى المدافئ والمطرزات النسيجية وكثير من التحف التطبيقية (شكل رقم ٣/١٢ ، ٥/١٢ ، ٦/١٢ ، ٧/١٢ ، ٨/١٢ ، ٩/١٢ ، ١٠/١٢ ، ١١/١٢) وقد صبغه العثمانيون بالصبغة الشرقية كما فعلوا مع الباروك فأصبح من الممكن أن يطلق عليه الركوكو العثمانى ، واستخدموه فى عمائرهم ومخطوطاتهم وفنونهم التطبيقية وعلى شواهد القبور.

لقد استجابت العمارة العثمانية منذ منتصف القرن ١٢هـ / ١٨م للمستجدات من حولها فسيطر عليها أسلوب الباروك والركوكو ، خاصة فى عمائر الترب والأضرحة بكل عناصرها المعمارية ، ومن الكل إلى الجزء ، أى انتقل الطرازان إلى شواهد القبور العثمانية حتى وصلتنا منهما مئات الآلاف

---

١٠٥ - مرزوق(د. محمد عبد العزيز):-الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني،ص٥٩

١٠٦ - علام (د. نعمت إسماعيل) :- فنون الغرب في العصور الوسطي والنهضة والباروك ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص١٤٧ ، ص١٩٩

فـى جبانـات المـدن الكبـرى بالولايـات العثمانيـة فـى القـارات الـثلاث ، أوربـا وآسـيا وأفريقيـة ، لـيس هـذا فحسـب وإنمـا انتشـر هـذان الطـرازان الـدوليان فـى منـاطق أخـرى كثيـرة مـن العـالم الإسـلامى ، مثـل دول القوقـاز وشـمال غـرب إيران وجمهوريات وسط آسيا وباكستان والهند وغيرها.

ونفـرق هنـا بـين الطـرازين علـى شـواهد القبـور العثمانيـة بعشـرة نمـاذج قمـة شـواهدها مـن طـراز البـاروك (اللوحـات مـن رقـم ١٤٤ حتـى رقـم ١٥١) [١٠٧] (الأشـكال أرقـام ١/١٣ ، ٤/١٣ ، ٥/١٣ ، ٦/١٣ ، ٧/١٣ ، ٨/١٣ ، ٩/١٣، ١٥/١٣) وهـى منتخبـة مـن منـاطق مختلفـة مـن الأناضـول وإسـتانبول ، تخـص رجـال ونسـاء توفـوا فـى القـرون ١١ ، ١٢ ، ١٣ هـ / ١٧ ، ١٨ ، ١٩ م ، لـو أمعنـا النظـر فيهـا ودققنـا لـذكرتنا بـالمراوح النخيليـة فـى الفـن الإسـلامى وإن امتزجـت هنـا بعناصـر أخـرى كـالقواقع والوريـدات البـارزة والمزهريـات وتكسرات الأوشحة وغيرها.

كمـا وقـع الاختيـار علـى حـوالى أربعـة عشـر شـاهد قبـر عثمـانى بهيئـة الركوكـو ، مختـارة مـن منـاطق عـدة بالأناضـول وإسـتانبول وطـرابلس الغـرب ، ، لرجـال ونسـاء انتقلـوا لرحمـة الله تعـالى فـى القـرون ١٢ ، ١٣ ، ١٤هـ / ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ م (اللوحـات مـن رقـم ١٥٢ حتـى رقـم ١٥٩)[١٠٨] (الأشـكال رقـم ١٣/ ٢، ٣/١٣ ، ١٠/١٣ ، ١١/١٣ ، ١٢/١٣ ، ١٣/ ١٣ ، ١٤/١٣ ، ١٦/١٣ ، ١٨/١٣) وهـى ذات العناصـر والتكوينـات الزخرفيـة السـائدة فـى طـراز البـاروك لكنهـا إزدادت هنـا إنسـيابية ورشـاقة ، ورقـة وجمـالاً ، وتكلفـاً وأناقـة ، ممـا سـاعد علـى إخـراج شـواهد قبـور تعـد تحفـاً فنيـة بكـل مـا يحمـل المعنـى ، لـيس فـى قمتهـا فحسـب ، وإنمـا فـى أبـدانها التـى لـم تقتصـر علـى الدعامـة أو العمـود أو المستطيل أو المحراب ، ، بل على ابتكارات جديدة (لوحة رقم ١٥٤)

(شـكل ١٠/١٣ حتـى ١٤/١٣) وكأنهـا أجسـام نسـاء بمـا حـوت مـن تضـاريس المرتفعـات والمنخفضـات ، والأمـر بعيـد عـن المبالغـة إذ يؤكـده واقـع التفرقـة بـين جـنس الراقـد تحـت بعـض هـذه الشـواهد ، فلـو نظرنـا إلـى اللوحـة (رقـم ١٥٨) نشـاهد المصـور تعمـد إلتقـاط صـورة شـواهد قبـور نسـاء مـع ظهـر إمـرأة تركيـة حيـة تـزور رفيقاتهـا المـوتى لـو حسـرت عـن وشـاحها لبـدت ضـفائر شـعرها متطابقـة مـع مـا تـم حفْره وتصـفيفه علـى قمـم الشـواهد ، وهـو مـا تـم أيضـا بالشـكل (رقـم ١٨/١٣) بـل أن الفنـان لـم يفتـه فـى الشـكلين (١٦/١٣ ، ١٧/١٣) أن يحلـى صـدر الشـاهد وقمتـه بقـلادة مطابقـة لمـا كانـت ترتديـة صـاحبة الشـاهد

[107] - www.gettyimages.ie/detail,www.Superstock.com

[108] www.shutterstock.com/www.istockphoto.com/www.TurkishCulture.org/ www.Superstock.com,www.Fredhoogervorst.com,www.Picasaweb.google.com

فى حياتها، أو يتوج الشاهد بإكليل أو بتاج أو بضفيرتين من الشعر أو بوشاح نسائى مزخرف[١٠٩]

وثمة نموذج واحد نكتفى به من جبانة إسلامية فى أكرا بالهند ، يظهر فيه ثلاثة شواهد بهيئة الباروك والركوكو(لوحة رقم ١٦٠) ترجع القرن ١٢هـ / ١٨م.

كما نكتفى بنموذج واحد من بين الشواهد المسيحية بالجبانات الأوربية بهيئة الباروك (لوحة رقم ١٦١) وهو من ميونيخ ومؤرخ بعام ١٨٢٧

(١٢٤٣هـ) فضلاً عن ملايين الشواهد المسيحية واليهودية بالهيئة الباروكية والركوكية بجبانات العالم ، وجميعها تحمل تواريخ لاحقة على ظهور الإسلام بأكثر من ألف عام.

٦- هيئة الشرافات :-

الشرافات من الزخارف الساسانية المعمارية التى انتقلت إلى الفن الاسلامى، فهى معروفة منذ العصور القديمة فى فارس والعراق و " أواسط آسيا " وانتشر استعمالها فى الفن الساسانى فى الأطراف العليا للعمائر ، وكذلك كزخارف فى تيجان ملوك الساسان ،وظهرت فى العمارة الرومانية الشامية بمدينة تدمر [١١٠] . ثم طور المسلمون فى تصميماتها حتى تنوعت هيئاتها تنوعاً شديداً ، كالشرفات البسيطة (شكل رقم ٤/١٤) وشرفات العقد المدبب (شكل رقم ٢/١٤ ، ٥/١٤ ، ٦/١٤) وشرفات المثلثات (شكل رقم ٣/١٤) والمثلثات المسننة (شكل رقم ١٣/١٤) والشرفات المسننة ذات الأسنان الرأسية أو المائلة (شكل رقم ٧/١٤ ، ٨/١٤ ، ٩/١٤) وشرفات الورقة الخماسية (شكل رقم ١٥/١٤) [١١١] وشرفات العرايس وهى فريدة فى نوعها ولا يوجد لها مثيل فى العالم الإسلامى ، وهى تشبه أشكال آدمية تجريدية تتلاصق أيديها وأرجلها (شكل رقم ١٠/١٤ ، ١٧/١٤) ونموذجها الوحيد بسطح جامع أحمد بن طولون بالقاهرة (لوحة رقم ١٦٢) [١١٢] ومن الأمثلة المسننة بأنواعها ، شرافات قصر الحير الشرقى بسورية ، من

---

[١٠٩] - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور من تربة البايات بتونس العاصمة ، دراسة في الشكل والمضمون ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية ٢٣ ، الرسالة ١٩١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص٧٢ ، ٧٣ ، شواهد قبور عثمانية من طرابلس الغرب ، دراسة في الشكل والمضمون لمجموعة جديدة ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية ٣٠ ، الرسالة ٣٠٩ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص٤٨ ، ص١٢٧ (شكل ٣٧ ، ٣٨) .

[١١٠] - شافعي (د. فريد) :- المرجع السابق ، ص١٨١ وشكل ١٢٢ .

[١١١] - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٦٨٦ شكل ٥/١٤٣ ، ص٦٨٩ شكل ٨/١٤٣ ، ص٦٨٧ شكل ٦/١٤٣ ، ص٦٨٣ شكل ٢/١٤٣ .

[١١٢] - شافعي (د. فريد) :- المرجع السابق ، ص٤٧١ وشكل ٢٩٣ ، ٢٩٤

العصر الأموى (لوحة رقم ١٦٣) [١١٣] وشرفات الجامع الأزهر بالقاهرة (لوحة رقم ١٦٤) وشرفات الجامع الحاكم بالقاهرة (شكل رقم ١٦/١٤) وشرفات قبة الإمام الشافعى بالقاهرة (شكل رقم ١٨/١٤) وشرفات قبة الصالح نجم الدين أيوب (شكل رقم ٢١/١٤) وشرفات مسجد قلاوون بالقاهرة (شكل رقم ٢٠/١٤) وشرفات مسجد قباء بالمدينة المنورة
(لوحة رقم ١٦٥) [١١٤] ومن أمثلة شرفات الورقة الثلاثية والخماسية ، مساجد السلطان حسن وقاتيباى والغورى بالقاهرة (شكل رقم ١٢/١٤ ، ٢٤/١٤، ٢٥/١٤) وشرفات الجامع الكبير فى المخاء باليمن من العصر العثمانى(لوحة رقم ١٦٦). [١١٥] ولما كانت الشرافات تتجة شاخصة برؤوسها إلى أعلى بما فى ذلك من دلالات ومعان رمزية باطنة توحى بالإرتباط بين الأرض والسماء من ناحية ، أو بتلاصق المسلمين فى الصلاة سواسية كأسنان المشط أمام الله تعالى من ناحية أخرى[١١٦] فقد انتقلت نفس الدلالات والمعانى الرمزية السابقة إلى نمط هيئة الشرافات بشواهد القبور الإسلامية ، فالروح ارتفعت إلى بارئها فى السماء تاركة الجسد فى قبره بالأرض ، ومن جهة ثانية الجميع سواسية تحت التراب ، الوزير والغفير سواء ، حتى فى سمة شاهد القبر من تلك الهيئة.
ولعل من أقدم شواهد القبور الإسلامية من هيئة الشرافات ذات الورقة الثلاثية أو الأقواس ، (اللوحة رقم ١٦٧) وهى لشاهد قبر السلطان محمود الغزنوى، المتوفى بغزنة فى أفغانستان عام ٤١١هـ / ١٠٣٨م (شكل رقم ٣٠/١٤).ومن أمثلة الشرفات المسننة الرأسية (اللوحة رقم ١٦٨) وهى لشاهد قبر عثمانى [١١٧] ، أما أمثلة الهيئة الآدمية المجردة فتمثلها (اللوحة رقم ١٦٩وشكل رقم ٢٨/١٤) حيث ينتشر ذلك الطراز فى ماليزيا وسلطنة بروناى وأندونسيا ومجموعة دول جنوب شرق آسيا [١١٨] ومن نفس المنطقة، ومن هيئة العرائس (اللوحات أرقام ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢) [١١٩] الشكلان (رقما ٢٦/١٤ ، ١٤ /٢٧) وإن اشتملت تلك اللوحات الثلاث على شواهد قبور من هيئات أخرى كالبرامق المخروطة والفانوس وسيأتى

---

١١٣ - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- المدخل إلي دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، لوحة ٢٥٥ .
١١٤ - محمد (د. سعاد ماهر) :- المرجع السابق ، لوحة ١٩٥ .
١١٥ - نفس المرجع السابق ، لوحة ١٩٠ .
١١٦ - ياسين (د. عبد الناصر حسن) :- المرجع السابق ، ص٢٣٨ .
117 - www.Turkishculture.org
118- www.Terragalleria.com
119 - www.qtluong/terragaller.com

الحديث عنها لاحقاً ، إلا أن شواهد القبور الإسلامية بمنطقة جنوب شرق آسيا تحتاج للتفصيل الآتى:-

(أ) موجز عن تاريخ الإسلام فى المنطقة :-

حسب تعداد عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م بلغ عدد المسلمين فى أندونسيا ٢٣٨ مليون ، ٨٦% منهم مسلمين أى أنها أكبر دولة إسلامية من حيث عدد المسلمين ، وهم على المذهب السنى ، وهى عبارة عن أرخبيل من الجزر فى المحيط الهندى حوالى ستة آلاف جزيرة ، العاصمة جاكرتا، أكبر الجزر جاوة وسومطرة وبورنيو ، والأخيرة مقسمة حالياً بين براونای وماليزيا ، دخل الإسلام لمنطقة جنوب شرق آسيا على يد التجار المسلمين منذ وقت جد مبكر ، دون حروب ، زار الرحالة " ماركو بولو " أندونسيا عام ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م وقال عنها:- " هى بلد مسلم من خلال شواهد قبورها " وزارها الرحالة ابن بطوطة بين عامى ٧٤٦ – ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥ – ١٣٤٦م ، وحدد مذهبها " مسلمة سنية " وأنها وثيقة الصلة بالصين [١٢٠] وسيؤثر ذلك على بعض هيئات شواهد قبورها – احتلها البرتغاليون ثم الهولنديون لكن الدليل المادى ممثلاً فى شواهد القبور يؤكد مقاومتها لحملات التبشير المسيحية ، ولم تؤثر المسيحية بشكل ملحوظ سوى فى إقليم تيمور فى الشمال الشرقى ، وخضع إقليم " إتشيه" للسيادة الإسمية العثمانية لفترة طويلة من الزمن.

أما ماليزيا فيبلغ عدد سكانها ٢٨ مليون نسمة ، ٦٠% منهم مسلمين سنة ، و٢٠% بوذيين و٩% مسيحيين ، و٧% هندوس ، تنقسم ماليزيا إلى قسمين يفصلهما بحر الصين الجنوبى ، هما شبه الجزيرة الماليزية ، وبورنيو

(ماليزيا الشرقية) ، أشهر المدن هى جوهور ، كيدا ، ملقة ، كيلانتان ، والعاصمة كوالالمبور، شاع الإسلام فيها فى القرن ٩هـ/١٥م ليصبح القوة المسيطرة فى بداية القرن ١٠هـ/١٦م ، احتلها البرتغاليون ثم الهولنديون ثم الإنجليز.

وانتشر الإسلام بنسب قليلة ومتفاوتة فى بقية دول الجوار بالمنطقة مثل أرخبيل الفلبين وكمبوديا وفيتنام وتايلاند ولاوس وبورما غيرها.

(ب) شواهد القبور الإسلامية بالمنطقة :-

لسوء الحظ مرت المنطقة بتغيرات طبيعية وسياسية قضت على الكثير من آثارها، فالفيضانات العنيفة (تسونامى) من جهة ، والتنافس العرقى وجهل الناس بالأهمية التاريخية والفنية لشواهد القبور من جهة أخرى ، قضى كل ذلك على الكثير من آثار المنطقة ، وعلى الرغم من ذلك فشواهد القبور الإسلامية تؤكد بالدليل المادى وصول الإسلام إلى سومطرة وجاوة والملايو

---

[١٢٠] - ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي) :- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربي ، بيروت (د.ت) الجزء الثاني ، ص٧٥ .

منذ القرن ٤هـ/١٠م ، حيث وصلتنا مجموعة كاملة وسليمة ، صنعت من الحجر الرملي أو الجيرى ، من محاجر محلية ، ومجموعة أخرى صنعت من الرخام الأبيض (المستورد) ، تأثرت هذه الشواهد بتأثيرات هندية وصينية لأسباب تجارية وأصول عرقية ، ونقشت كتاباتها باللغة العربية ، يصاحبها أحياناً عبارات أخرى بلغات محلية ، مع زخارف ورموز وتعاويذ، فمن بعض الرموز شكل مرساة السفينة بما يرمز لوصول الإسلام للأرخبيل عن طريق سفن التجار، وإن رمزت المرساة (Anchor) للخلود والأبدية ولسفينة الخلاص عند جيرانهم المسيحيين ، وتؤكد كثير من مضامين الكتابات والرموز على انتشار الطرق الصوفية هناك.

وأقدم شاهد قبر إسلامى من المنطقة مؤرخ بعام ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م ، وتتوالى التواريخ بعد ذلك بانتظام إلى ما بعد القرن ١٢هـ / ١٨م ، للسلاطين والعامة، رجال ونساء.

والذى يعنينا فى هذا الموضع هو الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية بالمنطقة ، فمن الباحثين من قسمها لثلاثة أو خمسة طرز ، ومنهم من فرع منها سلالات حتى أوصلها لست عشرة هيئة. [١٢١]

وسنذكر تلك الهيئات لاحقاً ، لكن ما نفصله هنا هو هيئة الشرافات التى تميزت برشاقة بدنها وبرقته فى جزء وبتخانته فى جزء آخر أثناء استطالته ، وبابتكار سلالات جديدة للشرافات (شكل رقم ٢٩/١٤ ، ٣١/١٤ ، ٣٢/١٤ ، ٣٥/١٤).

---

[121] - Yatim (M.o) Batu Aceh-Early Islamic Gravestone in Peninsular Malaysia.Kualalumpur.Malaysia.united selangor Press . 1987 . vol.25,pp.28-42,52-19 .

أعد هذه الدراسة الدكتور محمد عثمان يتيم ، عن شواهد القبور الإسلامية المبكرة في إقليم إتشيه بماليزيا .

Perret (D) :- Some Reflection on Ancient Islamic Tombstones Known AS Batu Aceh in the Malay world. I "Indonesia and the Malay world . vol.35.issue.103.2007.pp.313-340

وتلك الدراسة أعدها دانيال برت عن بعض الملاحظات عن شواهد القبور الإسلامية المبكرة المعروفة بباطو إتشيه . وثمة دراسة حديثة نشرها مجموعة من العلماء هم :- أزلينا محمد ، هدي فيزتول ، رانيا حصير ، صوفينتا مطلب ، عبد الرحمن شوزلينا ، نور حبيبة ، وهي بعنوان :-

"Batu Aceh Typology identification " MARA,Malaysia,1.vol.5- 2008-37-42

وغير ذلك من الدراسات القديمة والحديثة مثل :- دراسة لبوجاز (Bougas) عن المقابر الإسلامية بفسطاني ، نشرت بمجلة الجمعية التاريخية الماليزية من ص٣٢-٣٤ من عدد عام ١٩٨٨م .

ومن شواهد القبور المسيحية الحديثة نسبياً وبهيئة عامة لشرافات الأقواس أو الورقة الثلاثية اللوحتان(رقما ١٧٣ ، ١٧٤) (شكل رقم ١٤ /٣٣ ، ٣٤/١٤) كما عمل اليهود فى بعض الجبانات الأوربية شواهد قبور حديثة نسبياً من هيئة الشرافات المسننة وذات الأقواس.

٧- هيئة المخروط والبرمق :-

الخرط قطع خشبية صغيرة يتم خرطها بالمخرطة بحيث تكون هيئتها ذات انتفاخات واستداقات وتصميمات هندسية بأشكال فنية مجمعة فى تفريغات تكون قواطع وسواتر للمشربيات والدرابزينات ومقاصير الأضرحة وتراكيبها والرواشن والمنابر والدكك والكراسى وغيرها من أشغال الخشب المخروطة الثابتة بالعمائر الدينية والمدنية أو بالتحف المنقولة.

تلك القطع عبارة عن وحدات أو أعمدة مخروطة تسمى الوحدة منها (برمق أو عرموس) (شكل رقم ٢/١٥ ، ٣/١٥، ٤/١٥ ، ٥/١٥) ولا يمكن تحديد طول الوحدة أو أبعادها إذ يختلف حجمها تبعاً للغرض المصنوعة له ، فهناك أنواع متعددة من البرامق منها المربع الشكل أو المسدس أو المثمن ونحوها ، ذلك أن الخرط بصفة عامة نوعان هما:- الخرط الميمونى أو الدقيق وهو معروف منذ أقدم العصور ، وله أنواع كثيرة كالخرط الصليبى المفوق بأكر مسدسة (شكل رقم ٦/١٥) والخرط المسدس بشروال وأكر مستديرة (شكل رقم ٧/١٥) [١٢٢] والخرط الميمونى بأكر مربعة ، والخرط المنجور بمربعات أو بمثمنات والخرط المخرز وغير ذلك [١٢٣]. والنوع الثانى هو الذى يعنينا فى ذلك الموضع ، وهو الخرط البلدى أو الخرط الصهريجى ، وبرامقه وفراغاته أكبر من النوع الأول ، وهى ممثلة فى (شكل رقم ١/١٥ ، ٣/١٥ ، ٨/١٥) وقد اتخذت منه بعض طرز شواهد القبور الإسلامية فى جنوب شرق آسيا هيئة عامة لها (اللوحات من رقم ١٧٥ حتى رقم ١٧٩) (والأشكال من رقم ١/١٦ حتى رقم ٩/١٦) فمجموعة الشواهد باللوحة رقم (١٧٥) من إحدى جبانات ماليزيا ، وتتطابق هيئتها مع نظائرها الخشبية فى الإنتفاخات والحزوز والأطواق والقمة التى بهيئة قبيبة صغيرة ، أما الشاهد الموجود باللوحة (رقم ١٧٦) [١٢٤] فمن إحدى جبانات جاوة بأندونسيا واختلفت هيئته عن سوابقه فى كل شيئ مع بقائه ضمن الهيئة العامة المخروطة ، وحفرت نصوصه فى دخلة بباطن الشاهد (شكل رقم ٤/١٦) والشواهد الموجودة باللوحة (رقم ١٧٧) من

---

[١٢٢] -حسن الباشا (د. محمود) :- المرجع السابق ، المجلد الخامس ، لوحة ١٢٢٨ ، ١٢٢٩

[١٢٣] - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٩٦-٩٧ .

[124] - www.sgkapi.com/ubin/2001/04

جبانة إسلامية بإحدى مدن جنوب غرب الصين ، ونقشت نصوصها بمساحة مربعة ومسطحة على صدر الشاهد، ومجموعة الشواهد باللوحة (رقم ١٧٨) خرطت أبدانها بهيئة إسطوانية ، وقممها بهيئة بابة رخامية مدببة الرأس ، ونقشت نصوصها فى هيئة محرابية مسطحة ، وزودت أبدانها بحزوز وأطواق تفصل القاعدة عن البدن عن الرأس(شكل رقم ١/١٦ ، ٢/١٦ ، ٣/١٦) بينما تباينت مجموعة الشواهد باللوحة (رقم ١٧٩) عن الأوصاف السابقة بما يدل على كثرة الإبداعات فى إطار الهيئة الواحدة. هذا وقد سبق أن شاهدنا باللوحات السابقة (أرقام ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢) وهى من جبانات مختلفة فى ماليزيا ، تواجد هيئة الشرافات بجوار هيئة المخروط والبرمق وغير ذلك من الهيئات بالجبانة الواحدة ، من العصر الواحد ، كهيئة الصنوبر ، وهيئة الفانوس، وهيئة القارورة مما سيأتى تفصيله لاحقاً .

أما الهيئة العامة المخروطة ككيزان الصنوبر فقد وصلتنا منها نماذج كثيرة لاتزال منتصبة فى بعض الجبانات بمجموعة دول جنوب شرق آسيا ، بحيث لو وضعنا صوراً لكيزان الصنوبر الطبيعية (شكل رقم ١٢/١٧ ، ١٣/١٧ ، ١٤/١٧ ، ١٥/١٧ ، ١٦/١٧) بجوار شواهد القبور الإسلامية بنفس الهيئة لأوشك التطابق أن يتم (اللوحات أرقام ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢) (شكل رقم ١٠/١٦ ، ١١/١٦ ، ١٢/١٦) فاللوحة (رقم ١٨٠) لمجموعة شواهد بهيئة كوز الصنوبر ، بجبانة تانا توراجا (Tana Toraja) بجزيرة سولاويسى فى أندونسيا .[١٢٥]

واللوحتان رقما (١٨١ ، ١٨٢) [١٢٦] (شكل رقم ١٤/١٦ ، ١٥/١٦) لشاهدين متطابقين بالفعل مع كيزان الصنوبر الطبيعية ، بحيث بدت أبدانهما بحراشيف خشنة وبتقاطعات كأنها شبكة العنكبوت.

انتشرت هيئات المخروط والبرمق وكوز الصنوبر فى شواهد القبور الإسلامية بمجموعة دول جنوب شرق آسيا دون غيرها من العالم الإسلامى، إلا فيما ندر ، أو فى القليل من الأجزاء المخصصة لدفن موتى المسلمين من بعض الجبانات الأوربية بالبرتغال وهولنده وفرنسا وبريطانيا ، بحكم الاحتلال ثم هجرة بعض الجاليات الإسلامية إلى دول الإحتلال منذ نهاية القرن ١٢هـ/١٨م ، والحنين لتقاليد البلد الأم ودينها الرسمى .

والثابت بالدليل الأثرى أن هذه الهيئات الثلاث (المخروط والبرمق وكوز الصنوبر) تعد من الموروث الفنى المحلى قبل دخول الإسلام للمنطقة ، إذ وصلتنا نماذج منها تخص البوذيين والهندوس والعرقيات الصينية واليابانية

125 - www.bugbog.com/galleryindonesia
126 - http://archnet.org/library

الملاوية ، بل أن المسيحيين بنفس المنطقة استخدموا بعض هذه الهيئات حتى وقت متأخر جداً ، كاللوحة (رقم ١٨٣) وهى لشاهد قبر إدوارد شيفلن (١٢٦٤ – ١٣١٥هـ/١٨٤٧ – ١٨٩٧م) بإحدى جبانات الهند.

نذكر ذلك لأن الهيئات الثلاث (الأعمدة والدعامات والمسلات) تختلف فى شكلها العام وفى تفاصيلها عن هيئات (المخروط والبرمق وكوز الصنوبر) ليس هذا فحسب ، وإنما فى الجذور والأصول والتأثيرات ، وعليه كان هناك ذكر المسلات الفرعونية ، وأعمدة جبانة النبى خالد بجبل جوجة داغ بإيران، وبالنصب التذكارية التى كالدعائم فى حضارات العرب والهنود وغيرهم ، ثم تتبع أوجه الشبه بالنظائر الإسلامية سواء فى أبراج الأضرحة والمآذن والتحف التطبيقية السلجوقية والعثمانية والخيام المخروطية ، المغولية والتركية.

٨- هيئة الفانوس :-

كانت وسائل الإضاءة عند المسلمين فى العصور الوسطى كثيرة ومتنوعة ، مثل المسارج الفخارية والخزفية والمشكاوات الزجاجية والشماعد والثريات والتنانير والفوانيس المعدنية ، والتى يدخل الزجاج فى صناعة بعض أجزائها ليسمح بانتشار الضوء ، ووسائل الإضاءة المعدنية هى الأفضل سواء فى آداء وظيفتها أو لبقائها على الزمن ، ولذا وصلتنا منها أمثلة أثرية كثيرة جداً ، ومتنوعة الأشكال والطرز (شكل رقم ١/١٨ حتى ١١/١٨) فمنها متعدد الطبقات ، ومنها متعدد الأضلاع ، ومنها المخروطى المضلع والمتوج بقبيبة مفصصة ، وهو شائع فى مصر المملوكية (شكل رقم ٩/١٨) ومنها ماله أربعة أضلاع مستقيمة وغطاء (شكل رقم ٥/١٨) ومنها ماله قاعدة وبدن ورأس وأضلاع وزوائد ، ومنها ذو الشبكة المفرغة بهيئات متنوعة (شكل رقم ٣/١٨ ، ١٠/١٨) ومنها الطراز الأندلسى المغربى ذى الهيئة الخاصة فى أضلاعه وارتداداتها وتفريغاتها (شكل رقم ١١/١٨).

بدأت شواهد القبور الإسلامية تحفر شكل المشكاة المتدلية بسلاسل منذ القرن ٥هـ /١١م تقريباً ، حيث وصلتنا منها بعض شواهد القبور المصرية فى العصر الفاطمى ومن بعده العصر الأيوبى ، بما فى ذلك من رمزية قلب المؤمن الملئ بالأنوار الإيمانية أو بفكرة النور الإلهى ، كما سبق القول فى الحديث عن الصوفية.

لكن لم يتطور الأمر لنقل فكرة الجزء إلى الكل كما حدث فى المحاريب مثلاً، بمعنى أنه لم تصلنا شواهد قبور إسلامية هيئتها العامة كهيئة إحدى وسائل الإضاءة المشار إليها لدى المسلمين ، وظل ذلك الأمر قاصراً على بعض دول منطقة جنوب شرق آسيا ، بتأثيرات غير إسلامية ، هذه

الشواهدالإسلامية التى هيئتها العامة كهيئة الفانوس ، والتى تكاد تقتصر على منطقة جنوب شرق آسيا ، بتأثيرات غير إسلامية ، لها سلالات متنوعة على التفصيل التالى:-

أ) هيئة عامة تتكون من قاعدة مربعة أو مضلعة ، وبدن مضلع ومفصص يتسع فى ارتفاعه كلما فارق القاعدة ، وتاج له مقبض هما بمثابة غطاء للفانوس الذى يتطابق تطابقاً تاماً مع نظيره فى الواقع ، وتمثل هذه الهيئة اللوحات (أرقام ١٨٤ حتى رقم ١٨٨) [١٢٧](الأشكال أرقام ١/١٧ ، ١٧/١٧ ، ١٩/١٧) وهى من جبانات إسلامية متفرقة فى ماليزيا.

ب) هيئة عامة تعددت طبقات قاعدتها وارتداداتها وأطرها البارزة أو الغائرة التى تفصل كل طبقة عن الأخرى ، مع بدن من أربعة أضلاع مسطحة وتتسع فى ارتفاعها كلما فارقت القاعدة وبدن هرمى مدرج ، بدون قمة أو بقمة صغيرة مقببة (اللوحتان رقما ١٨٩ ، ١٩٠) [١٢٨] (الشكلان رقما ١/١٩ ، ٤/١٩) هذه الشواهد من جبانة نوسا تينجارا بمدينة كرامات (karamat) لومبوك فى أندونسيا.

ج) هيئة عامة بقاعدة مربعة منخفضة ومنحدرة وبدن مرتفع بأربعة أضلاع تستدق عند القاعدة وتنتهى من أعلى بأربعة زوائد بهيئة مثلثة ، ثم غطاء الفانوس وقمته المتوجة بانتفاخات محزوزة ومخروطة وكأنها قمة سقف معبد بوذى ، ويمثلها الشاهدان (رقما ١٩١ ، ١٩٢) وكلاهما من باطو أتشيه فى أندونسيا (Batu Aceh).

د) هيئة عامة بقاعدة من طبقتين ، السفلى أعرض وهى منحدرة ، ويفصلها عن العليا حز غائر ، ثم بدن مربع يرتفع باستقامة تامة ، وتاج ثلاثى أو إكليلى
(لوحة رقم ١٩٣) [١٢٩] والشكلان رقما (٢٠/١٧ ، ٣/١٩) وهو من الأمثلة الكثيرة المنتشرة بجبانات ماليزيا .

هـ) هيئة عامة تتفق مع سابقتها فى القاعدة والبدن ، لكن البدن ينتهى من أعلى بجانبين معكوفين كتجعيد الشعر أو كقرن الجاموس ، أو يبرزان كالكتفين دون تجعيد أو التواء ، وقمة مرتفعة تتكون من تقوسات مقعرة ومحدبة ، حتى لكأن الناظر للهيئة العامة لهذه السلالة يخيل إليه أنها تمثل المسلم القائم مقدماً على تكبيرة الإحرام فى الصلاة ، وتمثلها شواهد القبور
(أرقام من ٢/١٧ حتى ١١/١٧ ، ١٨/١٧ ، ٢١/١٧) وهى من جبانات متفرقة من باطو اتشيه بأندونسيا ، وماليزيا.

127 - www.malaysianexploror.com
128 - www.digitalgallery.mpl.org
129 - www.encyclopedia.com.my/volume4

وباستقراء السلالات الخمس السابقة يلاحظ الآتى:-

أ) لون الشاهدين رقما (١٨٤ – ١٨٥) الأصفر الفاتح ، وهما من الحجر ، ولون الشاهد (رقم ١٩٠) الأبيض الناصع ، وهو من الرخام ، ولون بقية الشواهد ما بين البنى الفاتح (لوحة رقم ١٨٦) البنى الداكن، أى أن هذه الشواهد بلون المادة الخام المصنوعة منها ، وليس ثمة صلة بين لون الشاهدين (١٨٤ – ١٨٥) مثلاً وبين اللون المفضل عن الصينيين مع التسليم بالأصول الصينية واليابانية كما سنوضح .

ب) هذه الأمثلة المنتخبة (اللوحات من رقم ١٨٤ حتى ١٩٧) لها نظائر إسلامية كثيرة بجبانات دول جنوب شرق آسيا تغطى عدة قرون متقطعة ، من القرن ٤هـ / ١٠م إلى ما بعد القرن ١٢هـ/ ١٨م.

ج) وصلتنا قباب إسلامية متأخرة نسبياً ، توجت بفانوس أو شخشيخة مثل قمة قبة جامع بايزيد باشا فى أماسيا بتركيا ، والمؤرخ بعام ٨٢٢هـ / ١٤١٩م ، وقمة قبة المنوفى بالقاهرة ، والمؤرخة بعام ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م ، وغيرهما مما لا يصلح أن يكون جذوراً لأى من السلالات الخمس السابقة ، لعدم التطابق من جهة ، وللأسبقية التاريخية للسلالات الخمس من جهة أخرى.

د) الثابت بالأدلة الأثرية المؤرخة أن أصول وجذور سلالات هيئة الفانوس إنما هى صينية ويابانية ، ممثلة فيما اخترناه من شواهد قبور ومعابد بما حملت من معان عقدية فى الديانة البوذية ، فمن الأمثلة الصينية سلالات مستمرة فى هيئتها أكثر من ألفى عام ، اللوحات (أرقام ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠) (الشكلان رقما ٥/١٩ ، ٨/١٩) وانتقلت إلى مجموعة دول جنوب شرق آسيا واليابان.

ومن النماذج اليابانية اللوحات (أرقام ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥، ٢٠٦) [١٣٠] (الأشكال أرقام ٢/١٩ ، ٦/١٩ ، ٧/١٩) وانتقلت إلى الصين ومجموعة دول جنوب شرق آسيا كتأثيرات فنية متبادلة بحكم الجوار والهجرات والتجارة ووحدة المعتقد أحياناً منذ أكثر من ألفى عام ، هذه الشواهد الصينية واليابانية كثيرة الهيئات والسلالات ، بعضها كان يقلد هيئة المعابد البوذية معمارياً (لوحة رقم ٢٠٧) (شكل رقم ٩/١٩) ولا غرابة فى أن تتأثر شواهد القبور الإسلامية فى تلك المناطق بموروثها الفنى من ديانات وحضارات سابقة ، ولا غرو فى ذلك فقد تأثر ما هو أضخم منها حجما وأكبر مساحة وسعة ، أعنى بعض هيئات المساجد الإسلامية هناك وتأثرها فى الشكل العام وطرق التسقيف بالمعابد البوذية والصينية ، من ذلك على سبيل المثال مسجد ملقة (Malacca) بماليزيا (لوحة رقم ٢٠٨)

130 - www.onmarkproduction.com

ومن بعض تفاصيل هذه العقيدة البوذية وفلسفتها وانعكاس ذلك على معابدها وبعض طرز شواهد قبورها ، ما نراه فى الشكل (رقم ٩/١٩) وهو معبد من ثلاثة طوابق وقمة برجية ممتدة ، لكل جزء معمارى رمزيته ، وإذا أمعنا النظر فى تفاصيل كل جزء من الأجزاء الخمسة الموجودة فى كل شاهد من الشواهد الأربعة باللوحتين (رقما ٢٠٥ ، ٢٠٦) (شكل رقم ٢/١٩) لوجدنا أن (أ) فى الشكل (٢/١٩) يرمز عندهم للأرض أو التراب ، و(ب) يرمز للماء ، و(ت) يرمز للنار ، و(ث) يرمز للهواء أو الرياح ، و(ج) يرمز إلى الروح ، وتختلف العقيدتان البوذية والإسلامية فى ذلك ، فمثل هذه الرموز غير موجودة فى المعتقد الإسلامى ، لذا فإن كان التأثر قد وقع بالهيئة والشكل فإنه بعيد عن الرمزية والمعتقد ، وهو ما حدث بالضبط فى هيئة القارورة.

٩- هيئة القارورة :-

زار الرحالة ابن بطوطة الهند والصين فى منتصف القرن ٨هـ/١٤م وقال :- "وأهل الصين كفار يعبدون الأصنام،ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود"[١٣١] والثابت أن الديانات الهندوكية والسيخية والبوذية تحرق جثث الموتى حتى تصير رماداً ، وتسحق العظام كذلك حتى تصير رماداً ، ثم يوضع الرماد فى جرة أو إناء لحفظه ، ويسلم لأقارب الميت فيحتفظون به أو يد فنونه فى مقبرة أو يذرونه فى نهر غانج المقدس عندهم أو فى أى نهر آخر أو بحيرة يحبونها ، وهذا شائع فى الصين واليابان حيث يحرق حتى الآن حوالى ٩٥% من جثث الموتى .

ومن الحضارات الغابرة التى مارست الحرق ، حضارة تيرامارى بشمال إيطاليا ، وهى حضارة اختفت فى القرن ١٢ ق.م ، وتسمى حضارة " حقول الجرار " لما خلفت من رماد حرق الموتى المحفوظ بالجرار ، ومن الحضارات الحارقة أيضاً حضارة اليونان والرمان (٣٣٢ ق.م – ٣٩٥م) حيث وجد فى مقابرهم وأثاثهم الجنزى أوانى لحفظ رماد الحرق .

ثم حرمت الديانات السماوية الكبرى الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) عملية الحرق وكرمت الميت بدفنه سليماً ، لكن هذه الديانات لم يكتب لها الانتشار فى الكثافات البشرية الهائلة بالهند والصين واليابان ، فاستمرت فى الحرق ، وحفظ جزء من الرماد فى الجرار والقوارير ، ويتحول الأمر لعمل شواهد قبور بهيئة القارورة تنقش عليها النصوص الجنائزية ، وحديثاً تخصصت شركات كبرى فى صناعة شواهد قبور بهيئة جرار ومزهريات وقوارير من الفخار أو الحجر أو الخزف أو المعدن أو الخشب أو الرخام أو

[١٣١] - ابن بطوطة :- المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٤٨٧ .

غيـــر ذلـــك (شـــكل رقـــم ١/٢٠ ، ٢/٢٠ ، ٣/٢٠ ، ٧/٢٠ ، ٨/٢٠) علـــى جدرانها تنقش النصوص ، وفى فوهتها توضع الزهور.
ثـم يتـأثر المسـلمون والمسـيحيون بجيـرانهم ومـواطنيهم فـى دول جنـوب شـرق آسـيا وموروثهـا الحضـارى والفنـى ، فيصـنعون شـواهد قبـور بهيئـة الجـرار والقوارير دونما فهم لمغزاها العقدى ، حيث وصلتنا منها نماذج أثرية كثيرة
فمـن شـواهد القبـور الإسـلامية التـى وقـع الاختيـار عليهـا مـن منطقـة دول جنـوب شـرق آسـيا (اللوحـات مـن ٢٠٩ حتـى رقـم ٢١٨) [١٣٢] فمجموعـة الشـواهد الكثيـرة باللوحـة (رقـم ٢٠٩) مـن إحـدى جبانـات ماليزيـا ، وتبـدو للنـاظر وكأنهـا حقل جـرار أو قـوارير ، لكـل قـارورة قاعـدة وبـدن سـميك ومرتفـع ورقبـة تنتهـى بمـا يشـبه فوهـة القـارورة ، وعلـى البـدن نقشـت زخـارف الأرابيسـك والنصوص الجنائزية.
أمـا اللوحـة (رقـم ٢١٠) فـتم اختيارهـا لتوضـح قـدر سـمك هـذه النوعيـة مـن هيئـات شـواهد القبـور الإسـلامية بمجموعـة دول جنـوب شـرق آسـيا ، ولـيس لكونـه خـاص بـإمرأة ، وربـط هيئتـه القارورية بالحـديث النبـوى الصـحيح " رفقـاً بـالقوارير ..... " [١٣٣] وتحميـل الأمـر أكثـر ممـا يحتمـل إذ يتعـارض مـع ذلـك وجـود نظـائر لـه تخـص رجـال وأطفـال لكـن هـذا لـم يمنـع مـن وصـول شـواهد قبـور إسـلامية بطـرز وهيئـات أخـرى فـى بعـض الـبلاد الإسـلامية حـددت جـنس المـدفون ذكـراً أو أنثـى ، بـل ميـزت قبـر المـرأة الحامـل عـن غيرهـا مـن النسـاء ، وقبـر الطفـل عـن غيـره مـن الرجـال ، كمـا سـبق الإشـارة إليـه مـن قبـل ، وتـم اختيـار اللوحـة (رقـم ٢١٢) لكـون قارورتهـا حمـراء داكنـة(شـكل رقـم ٥/٢٠)، لكـن لاصـلة للـون هنـا بالرمزيـة لأن بقيـة الشـواهد المنتخبـة كلهـا إنمـا تأخـذ لـون المـادة الخـام المصـنوعة منهـا ، خاصـة الرخـام الأبـيض والحجـر الرملـى المحمـر وتـم اختيـار اللوحـات (مـن رقـم ٢١٣ حتـى رقـم ٢١٧) لسـببين أولهمـا لإظهـار المضـاهى (شـكل رقـم ٦/٢٠) وقصـره وموقعـه [١٣٤]، والسـبب الثـانى للتركيـز علـى الهيئـة العامـة للنمـاذج المختـارة خاصـة الثلـث العلـوى بمـا حـوى مـن إنحنـاءات ورقبـة وفوهـة بحـزوزات وبـروزات تؤكـد أنهـا مـا عملـت إلا لتقلـد غطـاء فوهـة القـارورة الطبيعيـة ، وعليـه ينتفـي مـا قـد يسـاور المشـاهد لهـذه الهيئة أنها إحدى سلالات الهيئة المحرابية المسطحة ذات العقد المدبب.

---

132 - www.Superstock.com,www.shutterstock.com

١٣٣ - ورد فـي صـحيح البخـاري بـاب المعـاريض ، حـدثنا آدم حـدثنا شـعبة عـن ثابـت البنـاني عـن أنـس بـن مالـك كـان النبـي (ص) فـي مسـير لـه فحـدا حـادي العـيس فأسـرعت المسـير وفـي هوادجها النساء ، فقال النبي (ص) للحادي (أنجشه) ويحك رفقا بالقوارير .

١٣٤ - انظر تعريف المضاهي بملحق الدراسة .

أخذ المسلمون هيئة القارورة لبعض أشكال شواهد قبورهم فى مجموعة دول جنوب شرق آسيا ، من موروثهم الفنى والحضارى ، ولم يكتب لهذه الهيئة الانتشار فى بقية نطاقات العالم الاسلامى ، أخذوه دون معرفة مغزاه عند البوذيين والهندوس والسيخ ، واقتبسوه دونما إعطائه رمزية جديدة حيث لا ترمز القارورة عند المسلمين لأى رمزية أو فلسفة ، لكن مواطنيهم المسيحيين بنفس النطاق عندما أخذوه – بمنطقة تيمور ومنطقة سولاويسى وغيرهما – ربما رمزت الجرة عندهم للروح والوفاة ، وربما رمزت الزهرة وباقات الورد التى تغرس بالفوهة للعاطفة والحزن والعزاء ، وإن كانت الزهرة مكسورة أشارت عندهم للوفاة المبكرة ، وجميعها مفاهيم ورموز غير معتبرة لدى المسلمين.

١٠- هيئة القلب المقلوب " دمعة العين " :-

القلب هو موضع كل العواطف والأحاسيس الحسنة والسيئة ، فهو مكمن الإيمان والكفر ، والحب والكره ، وغير ذلك الكثير من الثنائيات المتناقضة ، وقد ورد لفظ القلب والقلوب فى القرآن الكريم فى عدة آيات ، تؤكد على المعانى السابقة.[١٣٥]

ويحتفظ متحف الفنون الإسلامية بالعاصمة الماليزية بعدد قليل من شواهد القبور الإسلامية بهيئة عامة تشبه القلب المقلوب أو دمعة العين ، اللوحتان (رقما ٢١٩ ، ٢٢٠) [١٣٦] والشكلان رقما (١/٢١ ، ٢/٢١) وترجع هذه النماذج لإقليم باطو أتشيه ، وهى مبكرة ترجع إلى القرن ٦هـ /١٢م وما بعده، وتحمل فى مركزها كتابات باللغة العربية ، ولعل اتخاذ شكل هذه الهيئة للقلب المقلوب لدليل على الحزن الشديد على فراق المتوفى الذى تبكيه العيون بدموع تهطل غزيرة ، هى فى تساقطها تأخذ هيئة القلب المقلوب ، وقد أباحت الأحاديث النبوية الصحيحة حزن القلب ودمع العين ولكن لا نقول إلا ما يرضى ربنا [١٣٧].

ووصلتنا شواهد قبور مسيحية ، حديثة نسبيا ، بهيئة قلب أو قلبين أو قلوب معتدلة من جبانات العالم الكثيرة خاصة فى قارة أوربا (شكل رقم ٤/٢١

---

[١٣٥] - منها على سبيل المثال :- سورة البقرة آيات ٧٤ ، ٩٣ ، ١١٨ ، آل عمران آيات ١٠٣ ، ١٢٦ ، سورة المائدة آية ٤١ ، سورة الأنعام آيات ٢٥ ، ٤٣ ، ١١٠ ، سورة الرعد آية ٢٨ وغير ذلك كثير .

[136] -Yatim (M.O) :- op.cit.p.37,www.encyclopedia.com

[١٣٧] - ورد الحديث في صحيح البخاري من رواية موسي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس عن النبي صلي الله عليه وسلم عند وفاة إبنه إبراهيم .

حتى ١١/٢١) وقلدهم فى ذلك جيرانهم المسلمين ممن توفوا بأوربا فى القرنين الأخيرين (١٣٨) بما يؤكد استمرارية عملية التأثير والتأثير
(اللوحات أرقام ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤) (١٣٩) ليس فى هيئة القلب أو دمعة العين فحسب ، بل وفيما يلى من هيئات كهيئة المصحف.

١١- هيئة المصحف :-

الهيئة العامة للكتاب الإسلامى بصفة عامة ثلاثة أشكال هى:- شكل قريب من المربع فى هيئته ، وشكل يميل إلى الإمتداد عرضاً ، أى يكون عرض الصفحة فيه أطول من ارتفاعها ولذا يعرف عند مؤرخى الفن باسم المصحف الأفقى أو المصحف الذى على هيئة سفينة ، ويسمى أيضاً ، بالفورمة الإيطالية ، والشكل الثالث يكون فيه الارتفاع أطول من العرض ويعبر عنه فى كتب التاريخ بالفورمة الفرنسية ، وعرف باسم المصحف العمودى ، وهو المألوف دائماً (اللوحتان رقما ٢٢٥ ، ٢٢٦) وتقوم شركات صناعة شواهد القبور الحديثة والمعاصرة بتقليد المصحف العمودى (اللوحة رقم ٢٢٧) من الجرانيت بأنواعه ومن الرخام بأنواعه
(شكل رقم ٦/٢٢ ، ٧/٢٢).

وفكرة عمل شواهد قبور بهيئة كتاب مفتوح أو مطوى إنما هى فكرة سابقة على الإسلام ، حيث وصلتنا نماذج من شواهد قبور يهودية بهيئة الكتاب المقدس(التوراه مفتوحاً) وشواهد أخرى بعد ظهور المسيحية والإسلام
(لوحة رقم ٢٢٨) (١٤٠) وهو نموذج يهودى من إحدى جبانات مراكش بالمغرب الأقصى ، وغير ذلك كثير (شكل رقم ١١/٢٢) كما وصلتنا أيضاً أمثلة مسيحية كثيرة لشواهد قبور بهيئة الكتاب المقدس(الإنجيل) قبل ظهور الإسلام وبعده ، بشكل مفتوح (اللوحات أرقام ٢٢٩، ٢٣٠ ، ٢٣١) (١٤١)

---

١٣٨ - أعد الباحث سلسلة من أربعة بحوث تحمل عنوان " أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية " ونشر البحث الأول منها – ١ – غرب أوروبا ، بمجلة جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي ، العدد السابع ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، ص١٧٩ حتي ص٢٢٨ ، ونشر البحث الرابع منها – ٤ – شمال شرق أوروبا بمجلة عالم المخطوطات والنوادر ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، ١٤٣١هـ/٢٠١١م ، ص١٧٩ حتي ص٢٠٦ ، والبحث الثاني – ٢ – وسط أوروبا في طريقه للنشر بكتاب مداولات الكتاب السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، والبحث الثالث – ٣ – جنوب شرق أوروبا ، في طريقه للنشر بالمجلة التي نشر فيها البحث الأول .

139 - www.grahamsfunerals.co.nz

140 - www.Superstock.com

141- www.123rf.com,www.recycleredsaustin.wordpress.com, www.constockphoto.com

(الأشكال أرقام ٤/٢٢ ، ٨/٢٢ ، ١٠/٢٢) أو بشكل مطوى (لوحة رقم ٢٣٢)(١٤٢) (شكل رقم ٩/٢٢) والمثال الأخير المطوى لشاهد قبر مسيحى من فرنسا ، حديث نسبياً ، وهيئة الكتاب – مطوى أو مفتوح – ترمز عندهم للحكمة والمعرفة بصفة عامة ، والأنجيلية بصفة خاصة.

وربما كان أقدم مثل إسلامى لشاهد قبر بهيئة المصحف المفتوح هو الشاهد المحفوظ بمتحف سيدى قاسم الزليجى بتونس (لوحة رقم ٢٣٣) (١٤٣) (شكل رقم ٣/٢٢) فهو مؤرخ بعام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م.

وتتوالى الأمثلة فى ندرة متقطعة حتى وقت متأخر ممثلاً فى شاهد قبر إسلامى بإحدى جبانات باريس فى فرنسا (لوحة رقم ٢٣٤) (١٤٤) (شكل رقم ٥/٢٢) بهيئة مفتوحة تقلد الواقع (لوحة رقم ٢٢٦) لدرجة تحاول بالألوان مضاهاة ديباجة السرلوحة " الإفتتاحية " فسطّر فاتحة الكتاب على الصفحة اليمنى ، وبدايات سورة البقرة على الصفحة اليسرى ، وأطّرهما بحاشية من الشرفات والمثلثات المغشاة بوحدات الأرابسك الملونة بالأحمر والأخضر والأصفر.

إن نصوص جل شواهد القبور الإسلامية ، نثرا كانت أم شعراً ، فى كل البقاع والأزمان ، لا تكاد تخلو من آية قرانية تمس الموت والرحمة والبعث وعقيدة المسلم ، أو اقتباس قرآنى أو من السنة الصحيحة ، أو حتى حكمة تتصل بحال الراقد أسفل الشاهد ، عسى ينتفع بها المقبور أو زائره ، وأراد صانع الشاهد أو من أمر بصناعته أن ينقل الجزء إلى الكل ، فبدلاً من كتابة آية من القرآن الكريم على شاهد القبر ، جعل الهيئة العامة للشاهد بشكل القرآن الكريم كله ، ككتاب مفتوح أو مطوى ، عسى أن يشفع له بعد القيام من الحياة البرزخية ، خاصة إن كان ممن لم يتخذوا هذا الكتاب مهجوراً فى حياتهم ، فهيئة المصحف هنا ذات مغزى ومعنى ، مثل كثير مما سبقها من هيئات ، كارتباط هيئة المحراب بالصلاة ، وهيئة العمود والدعامة والمسلة والشرافات بالمسجد والمأذنة (الآذان والصلاة).

١٢- هيئة الشراع أو السفينة :-

وتتمة لحديث الطبقية فى الدولة العثمانية التى حرصت عليها فى تركيبتها الإجتماعية ، وانتقلت إلى هيئات شواهد قبورهم وتراكيبها ، وكان العسكريون أشد حرصاً وتمسكاً على حفر رتبهم وشارات سلاحهم وتخصصهم على شواهد قبورهم وتراكيبها ، كما سبق القول [١٤٥] حتى

---

142 - www.Canstockphoto.com

143 - www.discoverislamicart.org

144 - www.glowimages.com

١٤٥ - راجع الحديث عن – ٤ – الهيئة المعممة من هذه الدراسة .

نقش البحارة شارة السفينة أو أجزاء منها كالساري أوالشراع أوعجلة القيادة أوالمرساة أو شارة البحرية العثمانية ، على شواهدهم ثم تطور الأمر إلى جعل الهيئة العامة للشاهد بهيئة السفينة كلها أو أجزاء منها كالساري أوالشراع بطريقة تتطابق مع الواقع (لوحة رقم ٢٣٥) فمن الأمثلة المحفورة على الشاهد للسارى مع الشراع (اللوحة رقم ٢٣٦) (شكل رقم ١/٢٣) ومن النماذج الممثلة للهيئة العامة لشاهد قبر عثمانى بشكل ساري وشراع بتفاصيل من طيات وحبال تحاكى الواقع (لوحة رقم ٢٣٧) [١٤٦]
(شكل رقم ٣/٢٣) وحفرت النصوص فى سطور مائلة على الشراع ، وزاد من هيبة ارتفاعه تثبيته أعلى تركيبة رخامية مستطيلة كأنها جسم السفينة.
ولنا أن نربط فى كثير من الإطمئنان بين العسكر والصوفية ، فنسلم برمزية السفينة والساري والشراع لمهنة المتوفى ، والتى تؤكدها النصوص المنقوشة على الشاهد ، ونسلم أيضاً بالدلالات الباطنة لمغزى السفينة وتفاصيل رمزيتها عند الصوفية ، وهو الفكر السائد عند جل المدنيين والعسكريين العثمانيين كما سبق القول ، فنلاحظ هنا (شكل ١/٢٣ ، ٣/٢٣) أن السارى مكسور القمة ليرمز للحزن ، كما ترمز السفينة إلى الخلاص، فالميت قد خلص من هموم الدنيا وأقبل على رب كريم غفور ، وقد وصلتنا تحفاً معدنية من إيران الصفوية تسمى بالكشاكيل ، خاصة بالصوفية ومذهبهم ، بعضها يأخذ شكل القارب أو السفينة ، بل وحفرت عليه نصوصاً تضمنت نص الآية القرآنية الكريمة رقم (٧٩) من سورة الكهف " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً " بما يؤكد أن العلاقة واضحة بين الهيئة العامة للكشكول ومضمون كتاباته ، فالهيئة العامة للكشكول تشبه القارب أو السفينة التى تمثل مركب النجاه التى يتمكن الشخص من خلالها الوصول إلى بر الأمان ، فالقارب هو الأداة أو الوسيلة ، والنص الكتابى هو المجداف التى يقود القارب لبر الأمان [١٤٧].
ومن تركيا العثمانية وإيران الصفوية إلى إندونسيا الإسلامية ، حيث وصلتنا شواهد قبور نقش على بعضها رسم الهلب أو المرساة (شكل رقم ٥/٢٣) أو السفينة متعددة الشرع (شكل ٨/٢٣) بما يتماشى مع المعانى الصوفية السابقة ، وقد سبق القول أن الصوفية كانت منتشرة فى أندونسيا ، وأن الإسلام دخلها بدون الفارس والفرس وإنما عن طريق التجار المسلمين

146 - www.agefotostock.com,www.allinistanbul.com

١٤٧ - منصور (د. آمال) :- الكشكول دراسة أثرية مقارنة ، المؤتمر السابع للإتحاد العام للأثاريين العرب (٢-٣) أكتوبر ٢٠٠٤م ، ص٥٨٩ – ٦٢٩ .

(بحراً) .أما عن جذور وأصول ارتباط المركب أو القارب أو السفينة بالمعتقدات فيبدأ مع مراكب الشمس التى عثر على إحداهما بجوار هرم خوفو المشهور بالجيزة.ووصلنا شاهد قبر بهيئة سفينة من العصر الرومانى (لوحة رقم ٢٣٨) ، مقدمتها ومؤخرتها كرؤوس ورقاب الحيوانات مما يذكر بنظائرها الساسانية، ومن شواهد القبور المسيحية بهيئة عامة لسفينة (شكل رقم ٦/٢٣) وهو خاص برتبة قبطان كما توضح النصوص ، أو بهيئة عامة لشراع (شكل رقم ٢/٢٣) أو بهيئة عامة لعجلة القيادة (شكل رقم ٤/٢٣) أو بهيئة عامة لسفينة بمقدمتها عجلة القيادة ويرتفع من مؤخرتها الهلب أو المرساة (شكل رقم ٧/٢٣) [١٤٨] والمرساة (Anchor) ترمز عندهم للأمل والحياة الأبدية وتكثر على شواهد قبور كبار السن ، والسفينة هى سفينة الكنيسة وسفينة الخلاص ، كان ذلك وقت أن كان للكنيسة سطوة على المجتمع المسيحى الأوربى فى العصور الوسطى ، لكن بعد فصل الكنيسة عن معايش الناس وانتشار العلمانية ، وصلتنا شواهد قبور مسيحية أوربية كثيرة جداً تشير إلى ما كان يمتهنه أصحابها قبل وفاتهم ، وأكدت النصوص المصاحبة على نوعية تلك المهن ، كما أكدت على الحرية المطلقة فى اختيار الهيئة العامة للشواهد والتراكيب وما رافقها من نصوص ، مما أثرى الإبداع الفنى بعد عصر النهضة والباروك والركوكو ، ونكتفى هنا بذكر نماذج من تلك المهن ، فالشاهد باللوحة (رقم ٢٣٩) لميكانيكى ، والشاهد باللوحة (رقم ٢٤٠) لبطل سباق (ماراثون) والشاهد باللوحة (رقم ٢٤١) لموسيقى ، والشاهد باللوحة (رقم ٢٤٢) لصانع أحذية ، والشاهد باللوحة (رقم ٢٤٣) لغانية (فتاة ليل) وهكذا لدرجة تدنت الأمور وتفسخت عقيدة ما بعدت الموت حتى وصلتنا شواهد قبور بهيئة قاعدة المرحاض وأدنى من ذلك ، وتؤكد النصوص المنقوشة على شواهد أخرى صدق ما سبق ذكره ، ونكتفى أيضاً بذكر بعضاً منها من إيطاليا – مقر الفاتيكان – كالآتى :- " كان زوجاً جيداً وأباً رائعاً لكنه كهربائى فاشل " " إلهى رحب بزوجتى بقدر سعادتى برحيلها " " إلهى إنتبه لحافظة نقودك منه " " ذكرى من كل أبناءك عدا ريكاردو الذى لم يساهم فى تكاليف جنازتك".[١٤٩]

فبعد أن كانت النصوص تستجدى الرحمات من الله تعالى صارت تسخر من عقيدة البعث ، وبعد أن كانت الهيئات العامة للشواهد تقليدية موقرة ، دخلت

---

148 - www.Flickriver.com

١٤٩ - نور (د. حسن محمد) :- أضواء على شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية – ٢ – وسط أوروبا ، كتاب مداولات اللقاء السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية (تحت الطبع) ، أحدهم جعل شاهد قبر كلبه لتمثال ذلك الكلب المحظوظ الذي أوصي له بكل ثروته .

عصر التخصص المهنى بعد اكتشاف البخار والكهرباء والآلات والإختراعات ، مما انعكس على بعض شواهد القبور المهنية ، وأثر على جيرانهم العثمانيين ، ذلك أن الفن العثمانى بصفه عامة كان قد ارتمى فى أحضان التغريب منذ القرن ١٢هـ/١٨م وما بعده ، كما شاهدنا ذلك فى هيئة الباروك والركوكو ، بل أن التأثيرات الأوربية زحفت على العالم الإسلامى كله سواء فى إيران أو الهند أو شمال أفريقية مع حركات التوسع الإستعمارى ، ومع ذلك يجب فى هذا الموضع ذكر الآتى:-

أ) استمرار الهيئات التقليدية القديمة ممثلة فى طرز وهيئات الصلبان والملائكة وغيرها بعد انتشار العلمانية فى أوربا المسيحية مما سيأتى تفصيله لاحقاً .

ب) تأثر الجيران العثمانيين بشواهد القبور الأوربية المهنية كان ضعيفاً ، لوجود مبررات سبق ذكرها ممثلة فى طبقية التركيبة الإجتماعية العثمانية من جهة ، ورمزية المذهب الصوفى من جهة أخرى ، وقبل هذا وذلك اختلاف المعتقد ، لكن مع كل هذا حدث التأثير والتأثير ، فالعثمانيون سبقوا الأوربيين فى الاهتمام بالنقابات المهنية والحرفية ، فخلدوها بالتفصيل الفنى الدقيق لكن ليس بعمل شواهد قبور مهنية وإنما بتمثيلهم فى كتب الحفلات " السورنامات " فمخطوط سورنامة مراد الثالث مؤرخ بعام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، وبه (٤٢٧) تصويرة ، ومخطوط سورنامة وهبى مؤرخ بعام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م ، وبه (١٣٧) تصويرة ، جل هذه التصاوير تستعرض طوائف الحرفيين ومرور مواكبهم وبعض منتجاتهم أمام السلطان العثمانى.

١٣- هيئات أخرى " هندسية بسيطة " :-

تتمثل هذه الهيئات العامة الهندسية البسيطة فى هيئة الدائرة والمربع والنجمة والمثلث والمثمن والمضلع ، ونحن لا نشك لحظة واحدة فى وجود أمثلة أثرية من العصور الإسلامية المختلفة للهيئات المذكورة ، لكنها قليلة أو نادرة ، فى الوقت الذى كانت نظائرها ليست بالقليلة فى الحضارات والديانات غير الإسلامية ، ولهذا السبب أجملنا الحديث عنها كالآتى:-

(أ) الهيئة الدائرية :-

ربما بدأت الفكرة بحصر النقوش الكتابية الشاهدية فى دائرة محفورة على هيئة غير دائرية – مستطيلة فى الغالب كما حدث فى الهيئة المحرابية – ثم تطورت الفكرة لعمل شواهد قبور دائرية الشكل ، حدث ذلك منذ وقت مبكر، حتى أنه قبل نهاية القرن ٢هـ / ٨م وصلتنا شواهد قبور إسلامية تامة الاستدارة ، لكن يتعارض مع هذه المنطقية الجذور الدائرية غير الإسلامية كما سيأتى ، ومن نماذج شواهد القبور الإسلامية تامة الاستدارة اللوحة

(رقم ٢٤٤) (شكل رقم ١/٢٤) مؤرخ بعام ١٨٣ هـ/ ٧٩٩م ، [١٥٠] ومن الأمثلة غير تامة الإستدارة الشاهد باللوحة (رقم ٢٤٥) (شكل رقم ٣/٢٤) [١٥١] ومن النماذج الدائرية المثبتة على قاعدة سميكة لحفظ توازنه ، شاهد قبر إسلامى من سريلانكا عليه كتابات عربية (لوحة رقم ٢٤٦) محصورة فى خرطوش مستعرض (شكل رقم ٢/٢٤) ومن شواهد القبور الدائرية التى تسبق ظهور المسيحية بقرنين كاملين ، مجموعات كثيرة بإقليم الباسك فى البرتغال (لوحة رقم ٢٤٧) (١٥٢) (شكل رقم ٥/٢٤) ومجموعات أخرى تامة الاستدارة أيضاً من نفس الفترة فى جبانة سانت سيسليا بأسبانيا (لوحة رقم ٢٤٨) (١٥٣) (شكل رقم ٦/٢٤) كذلك وصلتنا شواهد قبور يهودية ، تامة الإستدارة ، نصوصها باللغة العبرية ، تواريخها تقابل القرن ١١هـ/١٧م ، بعضها محفوظ بالمتحف اليهودى بجزيرة رودس(١٥٤)ومن شواهد القبور الدائرية المسيحية نماذج كثيرة تامة الإستدارة ، من مناطق جغرافية مختلفة ، وتحمل تواريخ متباعدة ، نكتفى منها بنموذجين (اللوحتان رقما ٢٤٩ ، ٢٥٠) (١٥٥) (شكل رقم ٤/٢٤).

والحق أن الشكل الدائرى كونى ، فكل حركة وكل شكل فى الكون دائرى أو مشتق منه ، فالإنسان كله دوائر وكريات ، والشمس والقمر والسيارات كلها دوائر وكريات ، والدائرة رمز الكمال ، وقد ترمز فى الفكر الفلسفى والدينى الى المعبود بوصفه أصل الوجود والكامل المطلق ، ويحب الصوفى التأمل فى نقطة الكمال العليا ، ولهذا كانت قباب أضرحة الأولياء على شكل دائرى، كما كانت كثير من المدن المقدسة القديمة ، والمعابد والقصور الملكية القديمة ، وأكواخ الجماعات البدائية فى أفريقيا كلها على شكل دائرى[١٥٦] وهى ترمز فى المسيحية إلى الخلود والى الأرض التى منها خلق الإنسان وإليها يعود ومنها يبعث مرة أخرى ، وهو ما يتفق والمعتقد الإسلامى كما فى الآية (٥٥ بالجزء ١٦ من سورة طه) في قوله تعالى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " كما أنها تتفق وكثير

---

١٥٠ - قطرة ٤٦سم ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، انظر :
-Hassan Hawary et Hussen Rached:- op.cit.Tome premier.pl.III no.1289

١٥١- قطرة ٢٦سم ومؤرخ بعام ٦١٣هـ/١٢٢٤م ،انظر:الزهراني(د.عبد الرحمن بن علي) - المرجع السابق ، ص٥٩٢ ، لوحة ٩٨ب .

152 - www.enwikipedia.org
153 - http://Commons.wikimedia.org
154 - www.rhodesjewishmuseum.org
155 - www.123rf.com

١٥٦ - الكنسوس (جعفر) :- الحكمة والفنون الإسلامية العريقة ، ذكري إبراهيم تيتوس بوخاردت ، مراكش ، المغرب ، ٢٠٠٠م ، ص١٨٩ .

من الشعائر الإسلامية كالطواف حول الكعبة عند الحج والعمرة ، وغير ذلك .

والدائرة من الناحية الجمالية ذات هيئة هندسية بسيطة إذ تتكون من سلسلة من المنحنيات المتصلة ، وهى رمز اللا بداية واللانهاية ، وهى لا تشير إلى اتجاه معين ، ولكنها " كل " قائم بذاته ، فهى دائما فى حالة توازن ، ويرى الكثيرون أن فى الدائرة سحر للعين ، وقدرة على جذب الأنظار نحوها ، ومن وجهة القدرة الإبتكارية لا تخضع لقواعد النسب بقدر ما يخضع له المستطيل مثلاً – راجع النسبة الذهبية – فهى بذلك لا تتطلب جهداً إبتكارياً شأنها فى ذلك شأن المربع.[١٥٧] ويتصل بالهيئة الدائرية أيضاً هيئة المحارة المشعة ، فهى دائرية الهيئة لكنها من أقواس متصلة فى إطارها (فستونات) وأضلاع مشعة فى بدنها (اللوحتان رقما ٢٥١ ، ٢٥٢) [١٥٨] و (الأشكال أرقام ٧/٢٤ ، ٨/٢٤ ، ٩/٢٤) وهما نموذجان مسيحيان متأخران زمنياً ، ولا شك فى أن لهما نظائر إسلامية لأن الهيئات المشعة وزخارفها مألوفة فى الفنون الإسلامية كبعض الأطباق الخزفية من إيران التيمورية ومصر المملوكية ، وكثير من طواقى المحاريب وبواطن القباب العثمانية ، وفكرة الزخرفة الإشعاعية عند الصوفية مستمدة من فكرة النور الإلهى الذى يضئ الكون. [١٥٩]وعلى الرغم من أن جماليات الهيئة الإشعاعية فى شكلها العام وفى تجمع خطوطها فى مركز واحد هو مركز السيادة والثقل ، إلا أنها من الناحية العملية لا تتناسب فى تحديب وتقعير فصوصها مع تنفيذ نصوص الشاهد ، وربما رمزت هيئتها بالشواهد المسيحية السابقة للشمس التى ترمز للوفاة والقيامة عندهم.

(ب) الهيئة المربعة:-

ليس للمربع نسبة ذهبية لأن طول ضلعه يتساوى مع أى ضلع آخر فيه ، وتأتى جمالياته فى بساطة شكله ، وهو مناسب للغاية فى تسطيحه لنقش الكتابات عليه ، ولذلك وصلتنا شواهد قبور إسلامية كثيرة ومنذ زمن مبكر بالهيئة المربعة ، كما وصلتنا كذلك أمثلة كثيرة قريبة من التربيع ، لكن عدم وجود دراسات حتى الآن عن مقاسات مثل هذه الشواهد أهمل نسبتها للهيئة المربعة ، وهى التى تتم أحيانا بشكل عفوى غير متعمد ، وإن كان الغالب تعمد تربيعها كالنموذج المؤرخ باللوحة (رقم ٢٥٣) [١٦٠] ويستقر شاهد

---

١٥٧ - رياض (د. عبد الفتاح) :- المرجع السابق ، ص٧٦

158 - www.atos.co.nz

١٥٩ - عبد الدايم (د. نادر محمود) :- التأثيرات العقائدية في الفن العثماني ، رسالة ماجستير بكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص٧٣ – ٧٤

160 - Wiet (Gaston) :- op.cit .Tome Quatrieme.p.146.pL.XL.

القبر المربع على أحد أضلاعه بحيث يعمل له جذر بمنتصفه يغرس فى الأرض (شكل رقم ١٠/٢٥) .
كما يثبت أحياناً فى وضع أرضى أو أفقى مائل حتى تنزلق عليه الأمطار (شكل رقم ٩/٢٥) وقد يرتكز فوق القبر بدون جذر وإنما يختفى جزء من ضلعه السفلى كله ، ويكون الجزء المختفى خال من الكتابات (شكل رقم ٨/٢٥) وقد يثبت شاهد القبر على التركيبة الحجرية كما هو الحال فى النوذج الرخامى المربع [١٦١] المثبت على أحد التراكيب بالقبة الجنوبية لمجموعة الناصر فرج بن برقوق بصحراء المماليك بالقاهرة ، والشاهد يحمل تاريخ وفاة أخوين (٨١١هـ / ١٤٠٨م ، ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) .
وقد يثبت شاهد القبر أعلى مدخل القبة الضريحية ، كما هو الحال فى النموذج الرخامى المربع المثبت بأعلى مدخل روضة درغوت بمجموعته المعمارية فى طرابلس الغرب ، والشاهد يخص محمد باشا ساقزى ، ومؤرخ بعام ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م. [١٦٢]
والهيئة المربعة وصلتنا منها شواهد قبور كثيرة من ديانات وحضارات ما قبل الإسلام ، فهى ليست إبتكاراً إسلامياً.

(ج) الهيئة المعينة :-

إذا ثبتنا الهيئة المربعة على أحد رؤوسها لصارت هيئة المعين ، لكن الواقع أن النصوص الكتابية تنقش مسبقاً قبل التثبيت بما يتفق والنسق العام للمساحة المتاحة بشاهد الهيئةالمعنية (شكل رقم ١/٢٥ ، ٢/٢٥ ، ٣/٢٥ ، ٤/٢٥ ، ٥/٢٥) والتى يبدو أنها بدأت بشكل عفوى بالشاهد (لوحة رقم ٢٥٤) [١٦٣] وهو ما يؤكده نسق سطور الشاهد ، ثم تطورت فى تأنقها وتشذيبها بسمك كبير للبلاطة المعينة كما هو الحال فى بعض الشواهد الإسلامية المحفوظة بالمتحف الأثنوجرافى فى أدرنة (لوحة رقم ٢٥٥) (شكل رقم ١/٢٥) تتميز هذه الهيئة ببساطتها كالمربع لكنها لا تتناسب فى بدايتها ونهايتها مع عدد الكلمات بالسطرين الأول والأخير عن النص إلا بحساب دقيق ولذا فهى قليلة الإنتشار ، مع أنها معروفة قبل الإسلام وبعده ، ومن نماذجها المسيحية بعد الإسلام اللوحتان (رقما ٢٥٦ ، ٢٥٧) وهما توضحان كيفية تثبيت الشاهد على قاعدة أو أكثر بحيث يظهر مرتفعاً عن الأرض ويمكن قراءة نصوصه.

---

[١٦١] - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، لوحة ١٧٢-١٧٣ ، والشاهد مقاسه ٤١سم ×٤١سم .
[١٦٢] - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور عثمانية من طرابلس الغرب ، ص١٥ ، لوحة ١ شكل ١ ، ٢ ، والشاهد مقاسه ٥٠×٥٠ سم تقريبا .
[163] - www.mnh.si.edu

(د) الهيئة المثلثة والهرمية :-

إن جماليات الشكل المثلث والهرمى تكمن فى الإحساس بالقوة والرسوخ من هيئتها (شكل رقم ٧/٢٥ ، ١٢/٢٥، ١٤/٢٥) فضلاً عن كونهما من جملة الهيئات الهندسية البسيطة ، وعلى الرغم من ذلك لم تصلنا شواهد قبور إسلامية من الهيئتين المذكورتين للأسباب الآتية:-

١- يرمز المثلث عند المسيحين إلى عقيدة التثليث ، ووصلتنا شواهد قبور مسيحية كثيرة بالهيئة المثلثة (لوحة رقم ٢٥٨) (شكل رقم ٧/٢٥) وهو ما يتعارض تماماً مع المعتقد الإسلامى ، أما القمم المثلثة أو الهرمية فى بعض أنماط تراكيب القبور الإسلامية التى سترد فى الفصل الثانى من هذه الدراسة ، فهى ليست شواهد قبور مستقلة ، وإنما قمم لتراكيب من أسفلها مكونة من مسطبة أو أكثر.

٢- يرمز الهرم إلى الموت ، ووصلتنا مقابر كثيرة بهيئة هرمية ، سواء من مصر الفرعونية أم من غيرها (شكل رقم ١٢/٢٥) لكن لم تصلنا شواهد قبور إسلامية بهيئة هرمية ، لكونها هيئة لاتتناسب مع المعتقد الإسلامى ، فى الوقت الذى اتخذتها بعض النحل الحديثة نسبياً شعاراً لها ولهيئات قبورها ، مثل الماسونية أو البناؤون الاحرار (لوحة رقم ٢٥٩) [١٦٤] ، تلك المنظمة العالمية التى تنشر الفكر العلمانى وتحارب الفكر الدينى، وشعارها وأشهر رموزها تعامد مسطرة المعمارى مع فرجار هندسى (شكل رقم ١٣/٢٥) ولهذا الرمز معنيان معنى بسيط يدل على حرفة البناء ، ومعنى باطنى يدل على علاقة الخالق بالمخلوق أو علاقة السماء بالأرض ، وهو نفس دلالة نجمة داوود السداسية.

(ه) الهيئات النجمية :-

لا شك أن ما حملته الأشكال النجمية فى الزخرفة الإسلامية يؤكد العلاقة الوثقى بين السماء والأرض ، ويرى البعض أن جميع الأشكال النجمية ناجمة من اندماج شكلين يمثلان السماء والأرض ، فالنجمة الخماسية ناجمة من تداخل زاويتين ، والسداسية ناجمة من تداخل مثلثين ، والثمانية من تداخل مربعين ، وفى جميع هذه الأشكال يحس المتفكر بتوامض السماء والأرض ، المركز والمحيط ، الروح والمادة ، الشكل والمضمون ، وربما كانت الأشكال النجمية الثمانية أكثر هيئات النجوم تمثيلاً فى الزخرفة الهندسية الإسلامية ، وربما كان لذلك تفسيراً باطناً ، فهى تتكون من مربعين متداخلين ، مربع يعبر عن القوى الأربع فى الطبيعة ، فالضلع الأعلى يمثل الهواء ، والأدنى يمثل التراب ، والضلع الأيمن يمثل الماء ، والأيسر يمثل النار ، والمربع الثانى يعبر عن الجهات الأربع: الشرق والغرب والشمال

164 - www.excathollicsforchrist.com

والجنوب ، وتداخل هذين المربعين يعنى أن قوى الله فوق كل قوى الطبيعة ، وهى منتشرة فى جميع أنحاء الوجود. [١٦٥]

وترمز النجمة بصفة عامة للميلاد والحياة ، لكن دلالات رمزيتها تختلف من ديانة لأخرى حسب عدد رؤوسها ، بل وحسب الرؤية والمعتقد للنجمة ذات الرؤوس الخمس أو الست أو الثمانى أو التسع كما يوضحه التفصيل الآتى:-

١) هيئة النجمة الخماسية :-

يرى الفيثاغورثيون أن هذا الرمز (شكل رقم ٦/٢٥) يمثل ذروة الإتقان الهندسى وأنه يحقق النسبة الذهبية ، وأول الديانات التى يظن أنها تبنت هذا الرمز هى (الويكا) [١٦٦] إذ اعتبروا النجمة الخماسية ترمز إلى خمسة عناصر مكونة للطبيعة وهى الأرض أو التراب والهواء والماء والنار والروح أو الأثير ، فالرأس اليسرى المنخفضة ترمز إلى الاستقرار والأمن الجسدى والتحمل ، واليمنى المنخفضة ترمز للشجاعة ، واليمنى العليا ترمز للعواطف والحدس ، واليسرى العليا ترمز للخيرات والفنون ، والنقطة القصوى للنجمة ترمز للذات الإلهية ولكل ما هو روح ، وترمز النجمة الخماسية عند اليهود لأسفار موسى المقدسة ، بل ودعيت بخاتم سليمان مع أن نجمة سليمان سداسية كما سنفصل بعد قليل ، وفى وقت مبكر عند المسيحيين كانت ترمز إلى جروح المسيح الخمسة ، ولذا نقشت على شواهد القبور المبكرة بأوربا الغربية ، ثم انتقلت فى وقت متأخر لتصبح هيئة عامة لشواهد قبور مسيحية (اللوحتان رقما ٢٦٠ ، ٢٦١) [١٦٧] (شكل رقم ١١/٢٥) هذا وتتفق الرمزية الخماسية فى الويكا تماماً مع ما سبق ذكره عن نظيرتها فى البوذية (شكل رقم ٢/١٩ – أ – ب- ت – ث – ج) لكن التصميم العام فى الهيئتين قد اختلف تماماً ، وهو أشد بعداً فى كليهما عن المعتقد الإسلامى ، لذا لم تصلنا شواهد قبور إسلامية بهيئة نجمية خماسية، ولو وصلتنا لربما ربطنا بينها وبين الفكر الدينى الشيعى ورمزيتها فيه شأنها شأن رمزية النجمة السداسية فى الفكر نفسه.

٢) هيئة النجمة السداسية :-

سبق القول أن النجمة السداسية ناجمة عن تداخل مثلثين ، وأنها ترمز فى الديانة اليهودية إلى نجمة سيدنا داوود وسيدنا سليمان ، ولهذا وصلتنا شواهد قبور يهودية كثيرة ، هيئتها العامة نجمية سداسية (شكل رقم ٢/٣٤)

---

[١٦٥] - ياسين (د. عبد الناصر) :- المرجع السابق ، ص١٠٦

[١٦٦] - الويكا هي ديانة وثنية قديمة يتم حاليا بعث أفكارها من جديد عن الإلحاد وعدم البعث بعد الموت .

[167] - www.123rf.com,www.Superstock.com

(اللوحتان رقما ٢٦٢ ، ٢٦٣) [١٦٨] سواء ثبتت على قاعدة منخفضة أوعلي قائم مرتفع (شكل رقم ١٥/٢٥) وفى تلك الهيئة العامة عندهم معنى باطنى يدل على علاقة السماء بالأرض أى علاقة الخالق بالمخلوق ، وقد ترمز النجمة السداسية فى المسيحية إلى الأب والخلق والحكمة السماوية، وعلى الرغم من وجود النجمة السداسية ضمن جملة الزخارف الهندسية الإسلامية، إلا أنها لا تحمل دلالات عنصرية وعقدية كما فى اليهودية ، ولعل اختلاف المعتقد تسبب فى عدم وصول شواهد قبور إسلامية بهيئة عامة نجمية سداسية ، وهو ما ينطبق على النجمة ذات الرؤوس التسع، فهى إحدى رموز الماسونية.

الفصل الثانى

الهيئة العامة لتراكيب القبور

سبق تعريف تركيبة القبر والعلاقة بينها وبين شاهد القبر ، وذلك بمقدمة هذه الدراسة ، ويتم فى هذا الموضع تصنيف تراكيب القبور الإسلامية وفق الهيئة العامة لها ، وما ينبثق عنها من طرز ، وهو تصنيف اعتمد المصطبة (١٦٩) أساساً له ، فهى المألوفة فى الحضارات والديانات السابقة على الإسلام، واستمرت بعد ظهور الإسلام فى ديانات وحضارات كثيرة ، لبساطتها وجمالياتها من جهة ، وتنوع المواد التى تصنع منها من جهة أخرى.

أولاً:- هيئة المصطبة ذات المستوى الواحد:-

وقع الاختيار فى هذا الموضع على مجموعة من تراكيب القبور تمثل هيئة المصطبة فى أبسط صورها ، وهو المستوى الواحد المنشورى المستطيل ، وما يتصل به ويتفرع عنه من طرز أربعة نسوق تلك النماذج من مناطق شتى من العالم الإسلامى (شكل رقم ٢٦ من ١حتى ٧) (وشكل رقم ٢٧ – ٨/٥/٣/٢/١) واللوحات من (رقم ٢٦٤ حتى رقم ٢٧٤) كالآتى:-

(أ) الطراز الأول (الخالى من البابات وما شابهها) :-

- تراكيب قبور بهيئة مسطحة السقف ، بنيت كل تركيبة فوق قاعدة أعرض ومرتدة ، بينما غشيت الجدران ببلاطات القاشانى البيضاء [١٧٠] ، في إحدى الجبانات الإسلامية بمدينة الرباط بالمغرب الأقصى

---

168 - www.shutterstock.com

١٦٩ - عن تعريف المصطبة وتعريف جميع المصطلحات الواردة بهذا الفصل انظر ملحق الدراسة .

١٧٠ - الراجح أن فكرة استخدام الكسوات الخزفية في عمل التراكيب قد ظهرت في إيران في العصر السلجوقي حيث وصلتنا نماذج منها ترجع لعصر سلاجقة الأناضول . انظر

(لوحة رقم ٢٦٤)(شكل رقم ١/٢٦) وهى خالية من شاهد القبر أو من أية كتابات مصاحبة.

- تراكيب قبور بهيئة مسطحة السقف ، بنيت كل تركيبة فوق قاعدة أعرض قليلاً أو بنفس العرض ، وهى خالية من الزخارف ، ويحتل شاهد القبر جزء صغير من سقف أو سطح التركيبة بوضع أفقى تام إما بمنتصف السطح أو بثلثه الأيمن أو بثلثه الأيسر ، وهى من جبانة سرنجار بكشمير الهندية الإسلامية (لوحة رقم ٢٦٥) [١٧١] (شكل رقم ٣/٢٦).

- تراكيب قبور بنفس الهيئة السابقة وأوصافها ، مع التأنق فى زخارف جوانبها ، وتزويد واجهتى الضلع القصير (العرض) بالنصوص الكتابية الجنائزية ، محفورة فى الحجر أو الرخام ، وهى من إحدى الجبانات الإسلامية بإقليم السند فى باكستان (لوحة رقم ٢٦٦) (شكل رقم ٤/٢٦).

- تركيبة قبر " تابوت " بهيئة مصطبة ذات سقف مسطح تماماً لكنه بارز قليلاً عن الجدران شأنه فى ذلك شأن القاعدة المنخفضة والتركيبة بإحدى الجبانات الإسلامية بمدينة إسكدار من العصر العثمانى (لوحة رقم ٢٦٧)[١٧٢] (شكل رقم ٧/٢٦).

- تراكيب قبور بهيئة مصطبة مسطحة السقف ، وإن برز من إحداها – وهى الأقرب إلى الناظر بروز مرتفع بطول السطح كأنه مستوى ثان للمصطبة وما هو بمستوى ثان بل بروز بسيط (لوحة رقم ٢٦٨) (شكل رقم ٢/٢٦) والتراكيب السبع بإحدى الجبانات الإسلامية بمدينة باكو فى أذربيجان.

- تراكيب قبور بجبانة النجف فى العراق ، خاصة بالشيعة ، بهيئة مصطبة مسطحة السقف ، ويرتفع عند قبالة رأس الميت جدار مرتفع عن السطح (لوحة رقم ٢٦٩) [١٧٣] .

- تراكيب قبور إسلامية بجبانة شاه زنده فى سمرقند بأوزبكستان ، كتاباتها مؤرخة بالقرن ٧هـ / ١٣م ، بهيئة مصطبة مسطحة السقف مع صفين من حطات المقرنصات بين السقف والضلعين القصيرين (لوحة رقم ٢٧٠)(شكل رقم ٦/٢٦) وهى تذكرنا بالمقرنصات المنحوتة بشواهد القبور الإسلامية من هيئة المستطيل المقرنص بجبانة أهلت فى تبليس شرقى الأناضول ، والمؤرخة ما بين القرنين ٦- ٩هـ / ١٢ – ١٥م

- عبيد (د. شبل إبراهيم) :- تراكيب القبور الخزفية في آسيا الصغري في الفترة من القرن ٨هـ/١٤م وحتي القرن ١٣هـ/١٩م دراسة آثارية فنية ، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد العاشر ، ٢٠٠٤م .

171 - www.dla.library.upenn.edu

172 - www.Turkishculture.org

173 - www.Usatoday.com

(لوحات أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١) بما تحمله المقرنصات من معانى دينية ورمزية سبق ذكرها.

- تركيبة إسلامية بجبانة مأمن الله بالقدس (لوحة رقم ٢٧١) [١٧٤] بهيئة مصطبة مسطحة السقف ، أقيمت جدرانها على قاعدة منخفضة من مستويين ، ويرتفع عن مستوى سطحها بالضلعين القصيرين ما يشبه شاهد قبر ومضاهيه بهيئة عقد مدبب منكسر ، وما هو بشاهد قبر وإنما مقدم التركيبة ومؤخرها.

- تركيبة رخامية بالحديقة المتحفية برشيد فى مصر ، القرن ١٢هـ / ١٨م ، مستطيلة بسقف مسطح (لوحة رقم ٢٧٢) [١٧٥] .

- صنعت النماذج المختارة للتراكيب السابقة من الرخام ، أما التراكيب المصنوعة من الخشب فنسوق لها الأمثلة الأربعة الآتية:-

- تابوت خشبى كان بالمشهد الحسينى بالقاهرة ، ونقل لمتحف الفن الإسلامى بنفس المدينة ، بهيئة مستطيل مرتفع لها سقف مسطح ، أحد جوانبه خالى من الزخارف مما يؤكد أنه كان ملتصقاً بأحد جدران القبة ولم يتوسط أرضيتها ، ويرجع لبداية القرن ٧هـ / ١٣م وتابوت خشبى آخر كان فى ضريح العاقولى ببغداد ، من القرن ٨هـ / ١٤م ، بهيئة منشور مستطيل بسقف مسطح تماماً [١٧٦].

- تابوت أبو نادلة ، بقبة الخلفاء العباسيين بالقاهرة ، ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م، مثبت على قاعدته شاهدى قبر لخليفتين عباسيين ، منشور مستطيل ارتفعت من أركانه الأربعة حلية صغيرة (لوحة رقم ٢٧٣). [١٧٧]

- تابوت خالد بن الوليد بمتحف دمشق ، خشبى من القرن ٨هـ/ ١٤م، ترتفع من أركانه الأربعة حلية صغيرة (لوحة رقم ٢٧٤). [١٧٨]

ويتضح من العرض السابق للطراز الأول ما يلى :-

١- ينتشر ذلك الطراز فى كل زمان وفى كل مكان من العالم الإسلامى، ويبنى من الرخام أو الحجر أو الخشب أ والآجر أو الطمى ، وهو بسيط فى شكله المنشورى المستطيل ، مسطح السقف ، والمزود أحيانا فى أركانه

---

174 - www.alt-arch.org

١٧٥ - خير الله (د. جمال) :- النقوش الكتابية على شواهد القبور الإسلامية مع معجم الألفاظ والوظائف الإسلامية ، العلم والإيمان ، دسوق ، ٢٠٠٧م ، لوحة١٧

١٧٦ - مقاسات التابوت الأول ١٨٥×١٣٥×١٣٢سم ، ومقاسات التابوت الثاني (الطول ٢٢٤ ، العرض ١٣٢ ، الإرتفاع ١١٤سم) . حسن (د. زكي محمد) :- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، بغداد ، ١٩٥٨م ، شكل ٣٧١ ص١٢٣ ، شكل ٣٨١ ص١٢٨ .

١٧٧ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، لوحة ١٢ ص١٤٤ .

١٧٨ - الشهابي (قتيبة) :- المرجع السابق ، ص٢٦٧

الأربعة بحليات صغيرة ، وأحيانا أخرى ببروزات وارتدادات ضحلة ، وأحياناً ثالثة يزخرف ببلاطات قاشانى أو بمقرنصات وأحياناً رابعة تبنى المصطبة فوق قاعدة منخفضة أو قاعدتين ، فهى رغم بساطتها إلا أنها متجددة ومتنوعة.

٢- ليس لدينا مقاسات كافية لهذه الأمثلة الكثيرة من ذلك الطراز حتى نطبق عليها قاعدة النسبة الذهبية للمستطيل ، والتى أشرنا إليها عند العرض لشواهد القبور المستطيلة.

٣- أصول تلك الهيئة مألوف فى الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، واستمر استعمالها عندهم بعد ظهور الإسلام ، فالمصطبة معروفة عند الفراعنة ، وكذلك التوابيت التى تحفظ فيها جثة الميت (لوحة رقم ٢٧٥) وهو ما يتعارض والشرع الإسلامى حيث توارى الجثة تحت الأرض، أما المصطبة أو التابوت فيعلوها فوق سطح الأرض . وكذلك استعمل اليهود والمسيحيون المصطبة قبل الإسلام وبعده ، فمن نماذجها اليهودية الكثيرة (اللوحة رقم ٢٧٦) [١٧٩] ومن نماذجها المسيحية (اللوحة رقم ٢٧٧) (شكل رقم ٦/٣٠).

وبالنسبة لطريقة الدفن عندهما فهى عند المسيحيين توضع الجثة فى تابوت خشبى ثم يوضع التابوت فى مدافن عائلية بشكل غرف ، وبعد فترة تجمع بقايا الجثة وتوضع فى زاوية الغرفة (القبر) لإفساح المكان لجثث أخرى من العائلة . أما عند اليهود الغربيين (الأشكناز) فيدفن الموتى فى توابيت ، لكن اليهود الشرقيين يدفنون موتاهم فى الأرض مباشرة كما هي عادة المسلمين .

(ب) الطراز الثانى (ذو البابات وما شابهها) :-

لا يختلف هذا الطراز عن سابقه سوى فى ارتفاع البابات أو ما شابهها بأركان المصطبة ذات السقف المسطح أو بأعلى الضلعين القصيرين ، والبابة أو الرمانة أو التفاحة سبق الحديث عنها فى شواهد القبور من طراز الأعمدة (شكل رقم ٨/١١) ، وأمثلتها كثيرة فى جبانات العالم الإسلامى منها الآتى:-

- مجموعة توابيت كل منها عبارة عن مصطبة مبنية من الآجر ، مقاساتها ٢.٨٠ × ١.٥٠ متر ، وبارتفاع متر واحد ، لها رمامين فى الأركان الأربعة ، والتوابيت موجودة بقبة يحيى الشبيهى بالقاهرة.

- مجموعة كبيرة من التراكيب مختلفة الأحجام والمقاسات ، بجبانة أبو عنبر وجبانة الشيخ زايد فى البحرين ، وبعضها نقل إلى متحف البحرين ، ومتحف بيت القرآن بالبحرين ، وترجع للفترة ما بين القرنين ٧ – ٩هـ / ١٣

179 - http://blogs.reuters.com

– ١٥م ، وتسمى عندهم بالساجات ، مادتها من الصخور والطمى ، وكتاباتها بخط الثلث ، يرتفع من كل ضلع من الضلعين القصيرين ما يشبه البابه لكنه مضلع وبدون رقبة (شكل رقم ٩/٢٦ ، ٢٦/ ١٠) (اللوحات أرقام ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠) [١٨٠] ويشبه التراكيب السابقة نظائر لها بجبانة خونجى (Khonji) فى جنوب غرب إيران ، وهى المجاورة جغرافيا للبحرين ، مع تنوع فى شكل البابات وتحوير قربها من شكل الشرافات المدرجة
(لوحة رقم ٢٨١) (شكل رقم ٨/٢٦) وليس ثمة ربط بين تلك السلالة والمذهب الشيعى السائد بالبحرين وإيران ، بل أن مضامين كتاباتها تخص مشايخ وعلماء وشخصيات من أهل السنة.

- ومن أمثلة المصطبة المنخفضة التى يرتفع عنها عمودين قصيرين من الرخام المضلع ، تركيبة السلطان إينال وابنه أحمد بالقاهرة فى القرن ٩هـ /١٥[١٨١] (شكل رقم ٤/٢٧) .

- وأمثلة المصطبة ذات المستوى الواحد (المنشور المستطيل) ولها رقبة معممة قبالة رأس الميت ومضاهى – أو بدونه – عند أرجل الميت ، نماذجها لا تحصى عددا فى العصر العثمانى بكل الولايات دون إستثناء.

(ج) الطراز الثالث (ذو السقف المقبى):-

هو مثل سابقه من حيث كونه من مستوى واحد ، لكن سقفه مقبياً بقبو برميلى أو مدبب ، وقد يعمم فى بعض سلالاته ، ويكون للعمامة مضاهى قبالة قدم المتوفى ، وقد لا يكون له مضاهى ، ويتشابه ذلك الطراز مع سابقه أيضا فى أنه معروف فى الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، باستثناء السلالة المعممة ، وهى ذات مغزى طبقى أو دينى دال على أهمية الشخص المقبور تحتها من الناحية الإجتماعية أو الدينية ، كما سبق تفصيله عند الحديث على شواهد القبور من الهيئة المعممة ، كذلك تشترك هيئة المصطبة مقبية السقف مع سابقتها فى كونها غير قاصرة على مكان معين دون آخر فى العالم الإسلامى ، أو زمان دون آخر ، ومن أمثلتها الآتى:-

- تراكيب قبور بجبانة أسوان فى مصر ، من العصر الفاطمى ، بعضها مبنى من اللبن أو الآجر على هيئة مصطبة إنحناء قبوها ظاهر ، وبعضها الآخر أحيط القبو ببناء جعلها كتلة منشورية على هيئة مصطبة (شكل رقم ٨/٢٧). [١٨٢]

---

180 - www.iasblog.com

١٨١ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، لوحة رقم ٣٨

١٨٢ - شافعي (د. فريد) :- المرجع السابق ، ص٥٣٠ ، ٥٤٥ ، شكل ٣٣٨ نموذج أ-٢ .

- تركيبة مبنية من الآجر بهيئة مصطبة ذات سقف برميلى ، وشاهد قبر مستطيل ملتصق بمقدمها (شكل رقم ١/٢٨) (لوحة رقم ٢٨٢) وهى من شرق العالم الإسلامى فى فترة متأخرة .
- تركيبة عثمانية بهيئة مصطبة معممة ولها مضاهى
(شكل رقم ٧/٢٨) [١٨٣] وما أكثر نظائرها فى العصر العثمانى فى جبانات كثيرة بالولايات العثمانية فى أوربا وآسيا وأفريقية ، كما سبق سلاجقة الروم فى تركيا بعمل التركيبة ذات المصطبة الواحدة والسقف البرميلى والعمامة عند الرأس (شكل رقم ١/٣٢) .
- تركيبتان منخفضتان بهيئة مصطبة ذات سقف برميلى
(شكل رقم ٣/٢٨) من شرق العالم الإسلامى.
- تركيبة مرتفعة بهيئة مصطبة ولها سقف بقبو مدبب (شكل رقم ١٠/٢٧) وهى من مراكش فى العصور الوسطى ، هذا وقد يرتفع القبو بشكل ملحوظ مما يضطر معه إلى الإرتفاع بجسم المصطبة كما هو الحال فى
(اللوحة رقم ٢٨٣) (شكل رقم ٢/٢٨) وهى لتراكيب إسلامية من فاس، والأمثلة كثيرة لهيئة المصطبة مقببة السقف أو التوابيت ذات الغطاء البرميلى منذ أقدم الحضارات واستمرت تلك الهيئة حتى الآن فى الديانات السماوية الكبرى الثلاث.

فمن أمثلتها من العصور المصرية القديمة ، تابوت الملك تحتمس الأول
(١٤٩٥ ق.م) ومن أمثلتها اليهودية بعض التراكيب تواريخها بعد الإسلام
(شكل رقم ٣/٣٠ ، ٤/٣٠) ومن نماذجها المسيحية بعد الإسلام نموذج من سومطرة فى القرن ٥هـ / ١١م (شكل ٥/٣٠).

(د) الطراز الرابع (ذو السقف الجملونى المسنم) :-

المصطبة فى هذا الطراز من مستوى واحد فقط مثل سوابقها لكنها بسقف مسنم جملون ، وقد تقطع من الرخام بكتلة واحدة لجسدها وسقفها ، وتزود بإطار بارز أو بعدة أطر زخرفية تزيد من جمالها مع الكتابات المحفورة على سقفها وجوانبها ، مع عناية أكبر بواجهتها وبمؤخرها ، ويطلق على ذلك الطراز فى الأندلس وشمال أفريقية اسم " مقابرية" او طراز " ألمرية " إحدى المدن الأندلسية ، هذه الهيئة المنشورية الهرمية المتطاولة اشتهر بها الغرب الإسلامى منذ وقت جد مبكر من ليبيا حتى الأندلس ، ومن نماذجها الكثيرة جداً نختار الآتى:-

183 - www.iaa-Conservation

- مقابرية من تونس ، مؤرخة بعام ٣٩١هـ /١٠٠٠م (لوحة رقم ٢٨٤) [١٨٤] (شكل رقم ٢/٢٩).
- مقابرية أخرى من تونس ، نهاية القرن ٤هـ / ١٠م ، معها تفاصيل لواجهتها ومؤخرها (لوحة رقم ٢٨٥). [١٨٥]
- مقابرية ثالثة من تونس ، بمتحف الأشمولين باكسفورد ، القرن ٥هـ / ١١م (لوحة رقم ٢٨٦). [١٨٦]
- مجموعة من المقابريات من ليبيا ، بالمتحف الإسلامى ومتحف السراى الحمراء بطرابلس مقاساتها صغيرة ومتفاوته مثل (١٨٠× ٣٠ ×٣٦ سم ، ١٨٣ ×١٤× ٢٥ سم) وأصغر من ذلك وترجع إلى القرن ٦هـ / ١٢م .[١٨٧]
- مجموعة من (٢٤٥) قبر عثر عليها فى حفريات جولفا (Julfa) بالأندلس ، معظمها من طراز المقابرية ، من القرن ٦هـ / ١٢م ، (لوحة رقم ٢٨٧) [١٨٨] (شكل رقم ١/٢٩).

وثمة تركيبة حجرية من دمشق فى القرن ٦هـ / ١٢م ، بمتحف متشجان بأمريكا(لوحة رقم ٢٨٨) لكن السقف الهرمى المسنم لا يغطى التركيبة بكاملها (٦٤٠×٤٢٥سم) (شكل رقم ٤/٢٩).

وتجاوزاً يمكن ضم مجموعة من التوابيت والتراكيب الآخرى لذلك الطراز وإن لم تتطابق معه تماماً كالآتى:-

- تركيبة قبر يحيى الشبيه بقبته بمقابر الإمام الليث بالقاهرة ، ٥٤٥هـ / ١١٥٠م ، جوانبها من الرخام وسقفها خشبى مسنم (لوحة رقم ٢٨٩) (شكل رقم ٦/٢٧) .
- تابوت خشبى من العصر السلجوقى ، بهيئة منشور مستطيل وله أربع حليات ترتفع من أركانه وسقف مسنم لا يغطى كل جسم المنشور أسفله (لوحة رقم ٢٩٠) [١٩٠] (شكل ٩/٢٧) .
- تركيبة قبر السلطان العثمانى محمد الأول " التربة الخضراء فى بورصة " وهى معممة بمقدمها ، (لوحة رقم ٢٩١) وسقفها مسنم [١٩١] وغير ذلك كثير فى جل بقاع العالم الإسلامى كتابوت المهدى أحمد ٨٤٠هـ /

---

١٨٤ - زبيس (د. سليمان مصطفي) :- المرجع السابق ، القسم الثالث ، ص٣٧

١٨٥ - نفس المرجع السابق ، ص٣٩

186 - www.Jameelcentre.ashmolean.org

187 - Rossi (Ettore) :- iscrzioni Arabe E Turche del Museo di Tripoli (Libya) . 1953

188 - www.heritagemalta.org

١٨٩ - خير الله (د. جمال) :- المرجع السابق ، لوحة ٣ ص٥٩ .

١٩٠ - عبد الحافظ (د. عبد الله عطية) :- دراسات في الفن التركي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص٤٦٠ لوحة ١٠٢ .

١٩١ - خير الله (د. جمال) :- المرجع السابق ، لوحة ٦

١٤٣٦م ، وتابوت الإمام يحيى ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م ، وكلاهما باليمن وكل تابوت أو تركيبة منهما منشورية مستطيلة بسقف جمالونى [١٩٢].
والمصطبة ذات السقف الجملونى معروفة قبل الإسلام فى الحضارات القديمة وفى الديانتين اليهودية والمسيحية ، واستمرت عندهما بعد الإسلام ، ومن أمثلتها قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث (شكل رقم ٧/٣٠) وهو لضريح فينيقى بسوريا ، وقبر آخر قديم (شكل ٢/٣٠) .
ومن أمثلتها اليهودية تركيبة فى سالونيكا باليونان [١٩٣] ، ومن نماذجها المسيحية مقابريات بإقليم الباسك فى البرتغال ، وفى غيره من جبانات أوربا (لوحة رقم ٢٩٢) [١٩٤] (شكل رقم ٣/٢٩) .

ثانياً :- هيئة المصطبة ذات المستويين:-

تتكون هذه الهيئة من دورين (مستويين) ويتفرع عنها عدة طرز ، يمكن إجمالها فى طرازين فقط ، ويمكن تفصليها فى أربعة طرز ، وذلك طبقاً للسقف الذى يغطى المستوى العلوى أو طبقاً لوجود البابات وأشباهها من عدم وجودها ، وفى جميع الحالات هى ليست ابتكار إسلامى وإنما وجدت أصولها فى الحضارات والديانات السابقة على الإسلام ، واستمرت مستخدمة عندهم بعد ظهور الإسلام.

الطراز الأول :- المصطبة ذات المستويين والسقف المسطح :-

يتكون ذلك الطراز من مستويين مستطيلين يعلو أحدهما الآخر ويرتد العلوى إلى الداخل قليلا فيكون أصغر من السفلى ، ويغطى بسقف مسطح تماماً ، وقد يرتفع من منتصف الضلعين القصيرين بالمستوى العلوى شاهد قبر ومضاهيه (شكل رقم ٥/٣١) وقد ترتفع الرمامين (البابات) بأركان المستوي العلوي بدلا من شاهد القبر ومضاهيه ، وقد يستغنى عن الجميع ، ومن الأمثلة المختارة لذلك الطراز ما يلى :-

- مجموعة تراكيب حجرية فى جبانة تخص طائفة البهرة الشيعية بالهند (لوحة رقم ٢٩٣) [١٩٥] وسقفها مسطح تماماً ، وخالية من البابات وما شابهها ، وهى غير قاصرة على الشيعة ، وإنما استخدمتها كل الطوائف الإسلامية فى كل مكان وفى كل زمان .
- مجموعة تراكيب رخامية فى القاهرة فى العصر المملوكى البحرى والجركسى تخص بعض أمراء وسلاطين المماليك ، وهى تتكون كلها من مستويين وسقف مسطح وأربع بابات ، ومن أمثلتها:-

---

١٩٢ - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٩٧

193 - http://wn.com/history/of/jews/of/the/saloniki

194 - http://www.scottiepress.org

195 - www.penang-Traveltips.com

واجهة تركيبة ، ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م (شكل رقم ٤/٣١) [١٩٦] تركيبة قبر السلطان قلاوون ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، تركيبة قبر السلطان علاء الدين كجك ، ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م (لوحة رقم ٢٩٤) [١٩٧] تركيبة بقبة السلطان حسن بن قلاوون ، ٧٨٦هـ / ١٣٨٤ م ، تركيبة قبر السلطان عبد العزيز بن برقوق ، ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م (لوحة رقم ٢٩٥) . تركيبة قبر السلطان برقوق ، ٨١٠هـ / ١٤٠٧م ويجاورها شاهد قبر بهيئة عمود مؤرخ ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م (شكل رقم ١/٣١) (لوحة رقم ٢٩٦) تركيبة قبر أحمد بن السلطان المؤيد شيخ (شكل رقم ٢/٣١) ، تركيبة قبر خايربك ، ٩٢٧هـ / ١٥٢٢م (لوحة رقم ٢٩٧) . [١٩٨]

الطراز الثانى :- المصطبة ذات المستويين والسقف المقبي :-

تتنوع مكونات ذلك الطراز سواء فى المصطبتين أو فى سقفهما ، والغالب أن يبرز المستوى السفلى عن المستوى العلوى فى المصطبتين ، وقد يرتفع المستوى السفلى بشكل كبير عن المستوى العلوى الذى يكون أقل ارتفاعاً ، وقد يزود المستوى العلوى بحزوز أو بإطار أو بطنف زخرفى ، أما السقف فقد يكون برميلى أو مدبب أو جملونى مسنم أو مضلع ، وهى فى جميع الحالات السابقة مألوفة فى الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، واستمرت مستخدمة فيها بعد ظهور الإسلام ، وإن زودت بالبابات أحياناً فى بعض نماذجها الإسلامية ، وتبنى من مواد خام مختلفة كالأحجار والرخام والآجر ، والخشب وغيرها ، وقد تزخرف ببلاطات القاشانى، وتغشيها الكتابات الجنائزية أو تترك خالية من أية كتابات أو زخارف وتغطى فقط بطبقة من الطمى أو الجص ، ومن النماذج المنتخبة لتمثل ذلك الطراز ما يلى:-

- تركيبة قبر على بن أبى بكر الهروى ، مؤرخ بعام ٦٠٣هـ ، ١٢٠٦م (شكل رقم ٦/٣١) [١٩٩] وهى من مستويين وغطاء برميلى.
- واجهة تركيبة رخامية ، من القاهرة ، مؤرخة بعام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م (شكل رقم ٣/٣١) [٢٠٠] كانت على تركيبة مكونة من مستويين وغطاء جمالونى.

---

[١٩٦] - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، شكل ١٧٤ ص ٣٨٦

[١٩٧] - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، علي الترتيب ، ص ١٦١ لوحة ١٥ ، ص١٧٩ لوحة ٢١ .

[١٩٨] - نفس المرجع السابق ، علي الترتيب ، ص١٨٦ لوحة ٢٣ ، ص٢١٢ لوحة ٣٠ ، ص٢٠٩ لوحة ٢٩ ، ص٢١٧ لوحة ٣٣ ، ص٢٧٧ لوحة ٤٦ .

[199] - Herzfeld (Ernst) :- Materiaux corpus inscriptionum Arabicarum . Tome . 1 . vol . 2 . Le cairo . 1956 . p . 265 .

- تركيبة (تابوت) رخامى للملك الأشرف إسماعيل ، ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ، عبارة عن مستويين وغطاء بهيئة قبو ذى قطاع مضلع ، ويرتفع عن المستطيل العلوى أربع بابات ، تابوت آخر يشبه سابقه ويخص الناصر أحمد ، وثالث مثلهما يخص الناصر أحمد الصغير ، ورابع مثلهم لكن غطاءه جمالونى ويخص الملك الظافر ، وجميع هذه التوابيت بمدرسة الأشرف إسماعيل فى تعز باليمن. [٢٠١]
- تركيبة قبر من إيران ، مؤرخة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م (لوحة رقم ٢٩٨)[٢٠٢] مستويين وقبو مدبب (شكل رقم ٢/٣٢).
- تركيبة قبر من مراكش (لوحة رقم ٢٩٩) من مستويين وقبو مدبب.
- تراكيب قبور من الآجر والطمى ، من أكرا بالهند ، المستوى السفلى أكثر ارتفاعاً ، وقبو مدبب (لوحة رقم ٣٠٠) (شكل رقم ٤/٢٨).
- تراكيب قبور من الآجر و الطين ، بنفس الطراز السابق ، وينتشر ذلك الطراز فى جبانات الأويجور غربى الصين ، ومنطقة كاشغر (لوحة رقم ٣٠١) [٢٠٣] وكذلك فى منطقة كنزو بالصين (لوحة رقم ٣٠٢) (شكل رقم ٦/٢٨) ليس عند المسلمين فحسب كما هو الحال فى النماذج السابقة ، وإنما عند جيرانهم المسيحيين بنفس المناطق المذكورة ، وهو ما يمثله (شكل رقم ١/٣٠) .

تركيبة قبر إسلامية من منطقة كنزو بالصين ، لا تختلف عن نظائرها السابقة سوى فى القبو المضلع (لوحة رقم ٣٠٣)(شكل رقم ٥/٢٨).

ثالثاً:- هيئة المصطبة متعددة المستويات:-

تتعدد طرزها كثيراً ، إذا تبدأ بثلاثة مستويات ، العلوى أصغر من الأوسط ، والأوسط بدوره أصغر من السفلى ، وسقف مسطح تماماً ، ومن سلالات ذلك الطراز وجود شاهد قبر مرتفع بأعلى أحد الضلعين القصيرين من المستطيل العلوى ، وله مضاهى أو بدونه ، أو وجود رقبة معممة أو بطربوش بدلاً من الشاهد وفى نفس موضعه ، مع وجود المضاهى أو الإستغناء عنه.

والطراز الثانى يتكون من ثلاثة مستويات ، وسقف برميلى أو جمالونى مسنم أو قبو مضلع .

---

[٢٠٠] -عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، لوحة ٧٤ ص٢٠٦ شكل ١٧٢

[٢٠١] - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٢٠٠-٢٠١

[202] - www.photographersdirect.com

[203] - www.Fotosearch.com

والطراز الثالث يتكون من أكثر من ثلاثة مستويات ، مع سقف مسطح أو بجوسق مخروطى أو مقبب أو مسنم أو مضلع ، وقد تتجدد الإبداعات لتمس المصاطب المنشورية المستطيلة ، فلا تتدرج بانتظام وإنما تزداد الارتدادات بغير انتظام بما يخل بالنسق المنشورى المستطيل ، والجدير بالذكر أن الطرز الثلاثة ليست إبتكاراً إسلامياً ، وإنما هى مألوفة فى كثير من الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، كما أن تلك الطرز الثلاثة ليست قاصرة على مذهب دون آخر أو زمان دون آخر أو مكان دون آخر من العالم الإسلامى ، وأخيراً ترتيب الحديث عن الطرز الثلاثة السابقة من الهيئة الثالثة ، وترتيب الحديث عن الهيئات الثلاث للمصاطب (ذات المستوى الواحد ، ذات المستويين ، متعدد المستويات) من البسيط إلى المركب ترتيب منطقى لكنه لا يعنى أسبقية تاريخية ، فالثابت بالدليل المادى وجود الهيئات الثلاث للمصاطب فى الحضارة الفرعونية على سبيل المثال ، ومن أمثلة المستويات المتعددة هرم (زوسر جسر نثرخت) أو هرم سقارة المدرج (بنى عام ٢٧٣٧ق.م) (شكل رقم ٨/٣٠) كما عرفت فى حضارات أخرى وديانات سابقة على الإسلام ، واستمرت الهيئة متعددة المستويات فيها حتى بعد ظهور الإسلام ، وفيما يلى عرض لنماذج إسلامية للهيئة متعددة المستويات:-

الطراز الأول :-

- تركيبة إسلامية من جنوب غرب الصين (لوحة رقم ٣٠٤) [٢٠٤] (شكل رقم ١/٣٣).
- تراكيب في جبانة بمدينة فتح بورسكرى بولاية أوتار براديش بالهند (لوحة رقم ٣٠٥) [٢٠٥] وهى من ثلاث مصاطب وسقف مسطح تماماً إلا أن التراكيب غير متطابقة ، فبعضها ترتفع فيه المصطبة العليا كثيراً عن المستويين بأسفلها.
- تركيبة إسلامية بالهند ، ثلاث مصاطب فوق قاعدة منخفضة جداً وسقف مسطح لكن ارتداد المصطبة الوسطى أخل بالنسق المنشورى للمستطيلات ، كما أضيف لها حليات زخرفية بارزة بالإطارين العلوى والسفلى ، وإكليل قبالة رأس الميت (لوحة رقم ٣٠٦) (شكل رقم ٦/٣٣).
- تركيبة قبر إبراهيم باشا بن محمد على بالقاهرة ، ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م (لوحة رقم ٣٠٧) [٢٠٦] (شكل رقم ٥/٣٤) وهى مزودة بشاهد قبر يرتفع

---

[٢٠٤] - حسن الباشا (د. محمود) :- المرجع السابق ، المجلد الخامس ، ص٤٥١ لوحة ١٧٠١

[205] - www.glowimages.com

[٢٠٦] - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص٣٠٩ لوحة ٥٢

عن الضلع القصير بالمصطبة العليا ، قبالة رأس الميت ، ويقابله مضاهى عند القدمين.

- تركيبة قبر محمد على باشا الكبير بالقاهرة ، ١٢٦٤هـ ، ١٨٤٨م (لوحة رقم ٣٠٨) [٢٠٧] لها شاهد بدون مضاهى .
- تركيبة قبر السلطان حسين كامل بالقاهرة ، ١٣٣٠هـ / ١٩١٧م ، ثلاث جلسات (مصاطب) وشاهد ومضاهى (لوحة رقم ٣٠٩). [٢٠٨]

الطراز الثانى :-

تركيبة قبر السلطان التتمش ، ٦٠٧هـ / ١٢١١م ، بمجموعة قطب منار فى نيودلهى (لوحة رقم ٣١٠) [٢٠٩] (شكل رقم ٣/٣٣) ثلاثة أدوار (أو مستويات أو مصاطب أو جلسات) وسقف جمالونى.

تركيبة قبر إسلامية متأخرة نسبياً (لوحة رقم ٣١١) مثل سابقتها.

تركيبة قبر كوثام بن عباس فى شاه زنده بسمرقند (لوحدة رقم ٣١٢) وتتكون من ثلاث مصاطب وسقف برميلى (شكل رقم ٤/٣٢).

تركيبة قبر إسلامية (لوحة رقم ٣١٣) (شكل رقم ٥/٢٩) ثلاث مصاطب وسقف هرمى مسنم .

- تركيبة قبر من جبانة السعديين بمراكش ، وفيها مجموعة من التراكيب الرخامية ذات المصطبة الواحدة أو المصطبتين أو الثلاث ، بأسقف مسطحة أو هرمية ، وهى غاية فى الثراء والفخامة كتركيبة السلطان الغالب بالله ، والسلطان العلوى محمد ، وأحمد المنصور الذهبى ، وعبد المهيمن ، وغيرهم[٢١٠] .

- كذلك ضمت مدن دهلى وسكندرا وأكرا جبانات فيها توابيت وتراكيب رخامية فخمة خاصة بالأباطرة المسلمين وعائلاتهم ، تتكون من مستويين وأكثر ، بأسقف مسطحة أو مسنمة أو مقببة ، بل أن بعضها تم تلبيسه بالأحجار الكريمة ، من النماذج المشار إليها مجموعة توابيت الامبراطور همايون وعائلته فى دلهى ، مجموعة توابيت الإمبراطور أكبر وعائلته فى سكندرا ، مجموعة توابيت الإمبراطور شاه جهان وزوجته ممتاز محل وغيرهما فى أكرا.[٢١١]

---

٢٠٧ - نفس المرجع السابق ، ص٣٠١ لوحة ٥٠

٢٠٨ - نفس المرجع السابق ، ص٣٣٢ لوحة ٦٢

209 - www.worldhistoryto1500.blogspot.com

٢١٠ - أبو رحاب (د. محمد السيد محمد) :- العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين ، دراسة آثارية معمارية ، دار القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص٣٨١-٤٤٠ .

٢١١ - على (د. أحمد رجب محمد) :- المرجع السابق ، ص٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ٢١٠ لوحات ٤٧ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

- تركيبة قبر إسلامية حديثة نسبياً ، ثلاثة مستويات وسقف مسنم (لوحة رقم ٣١٥) (شكل رقم ٩/٢٨).

الطراز الثالث :-

- تركيبة إسلامية فى يافا بفلسطين (لوحة رقم ٣١٦)

(شكل رقم ٢/٣٣) أربعة مستويات بسقف مسطح ، والمستوى الرابع أكثر ارتفاعاً.

- تركيبة إسلامية بجبانة مأمن الله بالقدس (لوحة رقم ٣١٧) [٢١٢] مثل سابقتها

- تراكيب إسلامية من شرق العالم الإسلامى (لوحة رقم ٣١٨) أربعة مستويات وسقف مسطح .

- تراكيب إسلامية بجبانة فى مدغشقر بالمحيط الهندى (لوحة رقم ٣١٩)[٢١٣] عدة مستويات وسقف مسطح.

- ثمة مجموعة من تراكيب القبور الإسلامية ، فريدة فى طرازها ، ولذا فهى فى حاجة لمزيد من الوصف (اللوحات أرقام ٣٢٠ حتى ٣٢٣)

(شكل رقم ٣/٣٢) بجبانتين مختلفتين بولاية السند فى باكستان ، تبقى منهما حوالى عشرين تركيبة ، تتراوح ارتفاعاتها ما بين ٦ : ١٥ قدماً

(القدم = ٣٠.٤٨ سم) تصميمها عبارة عن هرم متدرج من عدة مستويات وسقف مسطح مزود أحياناً بإكليل أو بقبيبة مضلعة أو حلية مفصصة ، وأحياناً تزين مثل هذه الحليات أركان المصطبة السفلية ، ولا تتساوى الإرتدادات الموجودة بين المستويات ، ترجع هذه التراكيب للفترة ما بين ٨ – ١٠هـ / ١٤ – ١٦م واستمر طرازها حتى القرن العشرين فى باكستان والهند ، ويسمى هذا الطراز فى لغة قبائل البلوخستان " chaukhandi" أى مبنى من أربعة طوابق أو مبنى مستطيل أو مربع له أربعة جوانب ، ومذهب قبائل البلوخستان هو المذهب السنى [٢١٤] ، وليس ثمة تأويل للهيئة العامة لتلك التراكيب وبين مذهب قبائل البلوخستان.

---

212 - www.alt-arch.org

213 - www.Superstock.com

٢١٤ - نظرا لأهمية الهيئة العامة لتلك التراكيب وما حوت من زخارف وكتابات ورموز ، فقد تناولتها الدراسات الكثيرة مثل :-

Hasan,Mumtaz:- Chaukhandi Tombs . Artistic Pakistan 1968 . pp . 24-31

Hasan,sheikh khurshid :- Chaukhandi Tombe in Pakistan,Karachi.Royal book company . 1996

Brohi,Al Ahmed n.d :- History on Tombstones sindh and Baluchistan,Jamshoro – Hyderabad : sindhi Ababi Board.Zulfqar Ali Kalhoro :- Tombstones of Fallen Heroes .(MPRA) Munich personal Repec Archive . 2009 . pp . 44 . 55 Fig 1-6

- مجموعة أخرى من التوابيت (التراكيب الخشبية) عرفتها اليمن فى القرنين ١١ – ١٢هـ / ١٧ – ١٨ م لها أيضاً طابع فريد غير مألوف فى غيرها من أشكال التوابيت التى عرفتها البلاد الإسلامية ، ويطلق أهالى صنعاء على هذا النوع من التوابيت اسم " القفص " وهى عبارة عن ثلاثة مستطيلات العلوى أصغر من الأوسط ، والأوسط بدوره أصغر من السفلى ، ويتوج المستطيل العلوى عادة بجوسق مخروطى يشكل مستوى رابعاً ، ومن أمثلته تابوت يحيى بن حمزة ، ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م (لوحة رقم ٣٢٤) تابوت أبى محمد الحسين ، ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م (لوحة رقم ٣٢٥) (شكل رقم ٥/٣٢) تابوت محمد بن الحسن بن القاسم ، ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م (لوحة رقم ٣٢٦) (شكل رقم ٦/٣٢) تابوت المهدى لدين الله العباس ، ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م . [٢١٥]

- مجموعة من التراكيب الرخامية بمقابر السعديين بمراكش فى المغرب الأقصى ، ترجع للقرن ١٠هـ / ١٦م (لوحة رقم ٣٢٧) [٢١٦]
(شكل رقم ٧/٣٣ ، ٨/٣٣ ، ٩/٣٣) وتتكون كل منها من ثلاث مصاطب متدرجة تعلوها ثلاث مصاطب هرمية.

رابعاً : هيئات أخري متنوعة :-

لم يقف حد الإبداع عند ما سبق ذكره من هيئات وطرز لتراكيب القبور الإسلامية ، وإنما تعدي للمزيد ، كالقباب الكانوبية والأسّرة وغيرها مما يشمله العرض التالي:

- تركيبة بهيئة قبة كانوبية (Canopy) فوق قبر إسلامي بالهند

(لوحة رقم ٣٢٨) وهي عبارة عن عقد صغير مفصص يرتفع عن كل ضلع من أضلاع المصطبة ويحمل قبيبة كروية ، فالأضلاع الأربعة مفتوحة ، والحجم صغير ، والغرض جذب الأنظار لمن تحت القبيبة ، خاصة إن كان ما حوله من شواهد قبور وتراكيب بحجم أصغر ، فهي نموذجاً لطراز المدافن المفتوحة أو المقابر الكانوبية ، والتي كثرت نماذجها في العصر العثماني في أصقاع كثيرة [٢١٧].

---

[٢١٥] - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٩٧ ، لوحات ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ .

[216] - www.blog.une.edu/morocco

[٢١٧] - للمزيد عن المقابر الكانوبية انظر :- الحداد (د. محمد حمزة) :- المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية ، زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، لوحة ٨٤ .

- تركيبة بهيئة قبة كانوبية فوق قبر شرف الدين الحسيني بن علي ، بمقابر الشيعة في جبانة بروكوود جنوبي لندن (لوحة رقم٣٢٩) وتشبهها قبة كانوبية أخري بنفس الجبانة ولنفس الطائفة[٢١٨].

تراكيب قبور بهيئة قبيبات ترتفع عن مصاطب في جبانة خلف جامع عقبة بن نافع بالقيروان في تونس (لوحة رقم ٣٣٠) [٢١٩](شكل رقم ٨/٢٨).

- مجموعة تراكيب في جبانة إسلامية في الهند ، بعضها بقباب كانوبية مفتوحة ، والبعض الآخر معمد بأعمدة أربعة تحمل ظلة أو تعريشة سطحها أشبه بشرفة مسننة (لوحة رقم ٣٣١) (شكل رقم ١٠/٢٨).

وفي باب المقارنات بين تراكيب القبور الإسلامية ذات الهيئة العامة المقببة بقباب كانوبية مفتوحة أو معمدة مع ماسبق الحديث عنه من شواهد القبور الإسلامية من هيئة الأعمدة والدعامات التي تتوج بقبيبات صغيرة (اللوحات أرقام ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠، ٨٧ ، ٨٨ وغيرها) نجد البون شاسعاً في الحجم والمقاس وإن تشابهت الهيئات في بعض الأمور ، فالأحجام في شواهد القبور صغيرة تقاس بالسنتيمتر ، بينما في القباب الكانوبية بتراكيب القبور كبيرة نسبياً وتتراوح بين المتر والمترين تقريباً لكل ضلع من أضلاع مربع القبيبة الكانوبية ، بحيث لا يقترب في جميع الحالات من الأحجام الضخمة للقباب الضريحية التي تغطي مبني له جدران مربعة تتراوح أضلاعها ما بين ٣:١٠ متر أويزيد ، مع مناطق انتقال ورقاب وهيئات كثيرة لمثل تلك القباب (شكل رقم ١/٨ ، ٢/٨ ، ٣/٨ ، ٤/٨ ، ٥/٨ ، ٦/٨ ، ٧/٨ ، ٨/٨ ، ٩/٨).

- تركيبة رخامية بهيئة سرير ومخدة غاية في النعومة والإيحاء براحة المرقد والمستقر البرزخي ، وهي تغطي قبر الأميرة شويكار حرم ملك مصر فؤاد الأول ، بجبانة الغفير بالقاهرة ، وقد توفيت عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م (لوحة رقم ٣٣٢) وهي في هيئتها السابقة مأخوذة عن نظائرها المسيحية الأوربية من بداية القرن ١٤هـ/٢٠م (لوحة رقم ٣٣٣) [٢٢٠] وهو ما يرتبط أرتباطاً كاملاً مع المضامين المصاحبة ، والمنقوشة علي شواهد بعض القبور وتراكيبها في أوربا المسيحية ، بما يربط الهيئة العامة للشاهد أو التركيبة وراحة المرقد في انتظار الجنة الموعودة بالراحة التامة وانعدام الصخب والوصب والتعب ، حيث سجل علي كثير من تلك الشواهد والتراكيب عبارة (Rest in peace) أو اختصارها (R.I.P) أي أرقد بسلام.

---

٢١٨ - نور (د. حسن محمد) :- أضواء على شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية – ١ – غرب أوروبا – ص٢٠٢ لوحة رقم ١٤ ، ١٥

219 - www.glowimages.com

220 - http://pinterest.com/pin

جماليات شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها:

إن ما وصلنا من شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ليعد بالملايين ، وهي تشهد في مجملها علي يد متمكنة من صنعتها ، واثقة في عملها ، وذلك بما أضفت عليها من جماليات جعلت جلها تحفاً فنية في مظهرها الآخاذ ، وليست مجرد ألواح بنقوش جنائزية ، بحيث تكاملت الهيئة العامة للشاهد أو التركيبة بلونها ومظهرها وملمس مادتها الخام المصنوعة منه مع كتاباتها وزخارفها وتذهيباتها – إن وجدت – وزيارة واحدة لأية جبانة إسلامية ليشهد بذلك ، وهو ما يحتاج للتفصيل الآتي:

أخذت الهيئة العامة المستطيلة نصيب الأسد من حيث الكثرة العددية لشواهد القبور الإسلامية وذلك لملاءمتها من حيث الشكل والمساحة لأسطر النقوش الكتابية المصاحبة ، تلك النصوص التي تمثل الهدف الأساسي الذي من أجله صنع الشاهد أو التركيبة ، كما أن للهيئة المستطيلة جمال مطلق متفق عليه إذا ما تحققت فيها النسبة الذهبية للمستطيل ، وهي أن العرض ثلثي الطول ، وهو ما تحقق ولو بشكل عفوي في بعض شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها من هيئة المصاطب المنشورية ، بل أن النظرة العامة تؤكد إقتراب كل منها من القطاع الذهبي ، ذلك أن المسح الشامل لمقاسات شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها لم يتم بعد حتي الآن.

ومن باب الاستئناس بالدراسات السابقة عن الكثرة العددية للهيئة العامة المستطيلة لشواهد القبور ، علي سبيل المثال: مصر في العصر الأيوبي ، احتلت الهيئة المستطيلة الرأسية المرتبة الثانية بنسبة ٤٢.٢% بمقاسات تتراوح ما بين ٢٥ حتي ٨٨ سم للارتفاع ، وتتراوح ما بين ١٥ حتي ٧٦سم للعرض ، أما المستطيل الأفقي فلوحظ أن عرضه يتراوح ما بين ٨٨سم حتي ١٨٠سم ، وارتفاعه ما بين ١٥سم حتي ٨٠سم [٢٢١].

ومن دراسة شواهد القبور الإسلامية في مصر المملوكية تبين أن الشكل المستطيل الرأسي سيطرت نسبة استخدامه علي ٨١.٦% من بين جميع الهيئات الأخري ، بارتفاع يتراوح بين ٢٠ حتي ١٩٥سم ، وعرض يتراوح ما بين ١١ حتي ٨٠سم ، أما الهيئة المستطيلة الأفقية فقليلة وتتراوح مقاساتها ما بين ١١ حتي ٩٠سم للارتفاع ، وما بين ٧٧ حتي ١٩٠سم للعرض [٢٢٢].

وتحققت جماليات الهيئة المستطيلة المقرنصة في الجمع بين جماليات المستطيل المذكورة من قبل مع جماليات حطات المقرنصات ، تلك الجماليات المتمثلة في الطاقات والقواويق والذيول والأخاديد والثقوب ،

---

٢٢١ - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، ص١١٩

٢٢٢ - نفس المرجع السابق ، ص٢٦٦

الأمر الذي جعل منها عنصراً زخرفياً زين معظم العمائر والفنون التطبيقية الإسلامية ، ولولا جمالياته ما تحقق له الانتشار ، وإن كان انتشاره علي شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها محدد بنطاق مكاني وزماني ليس كبيراً (اللوحات أرقام ٩،١٠،١١، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٦٨) (شكل رقم ٢ ، ٦/٢٦).

أما الطراز الإمبراطوري فجمالياته في فخامة شكله المتميز بمصطبته وعقده وإطاره وتفريغاته وهيبة إستطالته مع نعومة وليونة وانسيابية تقوساته ، وإن لم يكتب له الذيوع سوي في الهند في فترة معينة(اللوحتان رقما ١٦ ، ١٧).

وجماليات الهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة في هيئتها العامة التي جمعت بين الخطوط الرأسية في القائمين الأيمن والأيسر ، وفي تقوسات العقود التي تعلوها والتي نيفت علي خمسة عشر نوعاً ، حتي أن بعضها قلد في تدرجه تدرج المقرنصات وحطاتها في المحاريب المعمارية بالمنشآت الدينية ، بما حوت المقرنصات من جماليات ، وبعضها الآخر زاد في تموجاته أو تكسراته أو تقوساته أو رؤوسه في تنوع يزيد من الإبداع والجمال (اللوحات أرقام ٣٩ حتي رقم ٥٠،ومن رقم ٥٤ حتي رقم ٦٦)(الأشكال أرقام ٣،٥،٦).

وجماليات شواهد القبور الإسلامية من طرز الأعمدة والدعامات والمسلات ، في رشاقتها وارتفاعاتها وتنوع أبدانها بين التربيع والإستدارة والقنوات والتفريغات والتضليعات وما يحزمها أحياناً من أحزمة وأطواق ، وفي تباين أنماط قواعدها وتيجانها وقممها المقرنصة أو المقببة أو الهرمية أو المخروطية وغير ذلك (اللوحات أرقام ٧١ حتي ٧٣ ، ومن رقم ٧٥ حتي رقم ٨٣ ، ومن رقم ٨٧ حتي رقم ٩٠ ومن رقم ١٠١ حتي رقم ١٠٥) ونظراً لجمال شكل العمود الإسطواني فقد استعمل كشاهد قبر بنسبة تصل إلي حوالي ٤٨.٤% في مصر في العصر الأيوبي ، بارتفاع يتراوح ما بين ٥٠ إلي ٢٣٣سم ، وبقطر يتراوح ما بين ١٠ إلي ٣٣سم [٢٢٣]. بينما انخفضت النسبة في العصر المملوكي في مصر إلي ١١.١% للعمود وبقطر يتراوح ما بين ١٤ إلي ٥٦سم ، وبارتفاع يتراوح ما بين ٥٢ إلي ١٧٦سم[٢٢٤].

وتتمثل أسمي آيات الفن والجمال في التفاصيل الدقيقة لطيات ولفائف العمائم والطرابيش في الهيئة العامة المعممة من شواهد القبور الإسلامية ، وذلك بما حوته من حزوز وجدائل وشبكيات وفصوص وزجزاجيات (دالات) وقنوات متعددة الإتجاهات ، وتموجات مخروطة ، وألوان رامزة ، وشراريب متدلية

٢٢٣ - نفس المرجع السابق ، ص١١٩

٢٢٤ - نفس المرجع السابق ، ص٢٦٨

كل ذلك ينتصب فوق رقاب روعي في نحتها النسبة والتناسب بين الرأس والرقبة وبدن الشاهد ، إلي حد كبير تلحظه عين الناقد الخبير حتي مع عدم توفر المقاسات الكثيرة المنشورة عنها (اللوحات أرقام ١١٥ حتي رقم ١٢٨ ومن ١٣٣ حتي ١٣٤ ومن رقم ١٣٦ حتي رقم ١٤١) (شكل رقم ١/١٠ حتي ٢٠/١٠ وشكل رقم ١/١١ حتي ٧/١١).

وفي شواهد القبور الإسلامية من طراز الباروك والركوكو يزداد التكلف والأناقة ، والإنسيابية والرشاقة ، والرقة والجمال ، والجمع بين الدنيوي الحسي والقدسي المحلق فيما وراء الطبيعة ذلك أن عناصر ومكونات الباروك والركوكو في الأكاليل التي تتوج شواهد القبور تتناسب في لا نهائية وكأنها تهرب من الفراغ ، كما أنها تشبع أذواق الطبقات الراقية والمتوسطة (اللوحات أرقام ١٤٤ حتي رقم ١٦٠) (الأشكال أرقام ١/١٣ حتي ١٨/١٣).

وجمال هيئة الشرافات في تناغمها الترددي وتقوساتها من تحديب وتقعير ، وتنوعاتها بين الرشاقة والقصر (اللوحات أرقام ١٦٧ حتي رقم ١٧٢) (الأشكال ٢٦/١٤ حتي ٣٥/١٤).

أما الهيئة المخروطة فجمالها في انتفاخاتها واستداقاتها وتصميماتها الفنية المرهفة بما حوت من حزوز وأطواق وقمم كالبابات أو القبيبات الملساء ، أو بتصميمها الصنوبري ذي القاعدة المنتفخة والقمة المسلوبة (اللوحات أرقام ١٧٥ حتي رقم ١٨٢) (الأشكال من ١/١٦ حتي ١٥/١٦).

وجماليات هيئة الفانوس في بدنه المضلع ومكوناته المحددة بقاعدة وبدن ورأس وزوائد ، مع التنوع في شكل تلك المكونات بارتدادات وأطر ، وعدم التقيد بعدد الأضلاع ، وقمم هرمية أو إكليلية ، وزوائد قرنية أو مجعدة (اللوحات أرقام ١٨٤ حتي رقم ١٩٧) (الأشكال أرقام ١/١٧ حتي ١١/١٧ ، و١٧/١٧ حتي ٢١/١٧ ، ١/١٩ ، ٣/١٩).

وهيئة القارورة والجرة توحي في حد ذاتها بالليونة والنعومة خاصة في ثلثها العلوي بما فيه من إنحناءات الكتفين والرقبة والفوهة ، وإن كانت الجرة أو المزهرية بدون رقبة فإن فوهتها أكثر اتساعاً ومقابلة للفضاء الرحب حتي تتسع لباقات الزهور الجميلة في اللون والمعني (اللوحات أرقام ٢٠٩ حتي رقم ٢١٨) (الأشكال أرقام ١/٢٠ حتي ٨/٢٠).

وهيئة القلب المقلوب أو دمعة العين أو قطرة المطر في شواهد القبور جمالياتها في شكلها القائم علي التقعير والتحديب في انحناءات انسيابية مناقضة تماماً للخط المستقيم (اللوحتان رقما ٢١٩ ، ٢٢٠) (الشكلان رقما ١/٢١ ، ٢/٢١).

ويتحقق الخط المستقيم تماماً في هيئة المصحف العمودية المستطيلة ، وتزداد جمالاً إذا ما تحققت فيها النسبة الذهبية ، بأن يكون العرض ثلثي الطول ، أو

يتموج الضلعين القصيرين في تعمد يقلد واقع طيات الأوراق ، فيعطي إيحاء بالليونة والإنسيابية(اللوحتان رقما٢٣٣، ٢٣٤)(الشكلان رقما٣/٢٢ ، ٥/٢٢)

بينما تلتقي الخطوط الرأسية مع نظائرها الأفقية وتتناغم معها الأقواس المنحنية ممثلة في مكونات هيئة السفينة وشراعها وحبالها وساريتها ومرساها ، في جماليات مذكرة بليونة الماء مجراها (اللوحتان رقما ٢٣٦ ، ٢٣٧) (الشكلان رقما ١/٢٣ ، ٣/٢٣).

وشواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة الدائرية جمالياتها في بساطتها ، فالدائرة ما هي إلا سلسلة من المنحنيات المتصلة ، وجمالها في أنها في حالة توازن دائم يسحر العين ويجذب الأنظار ، وهي حرة لا تخضع لقوالب النسب (اللوحتان رقما ٢٤٤ ، ٢٤٦) (الشكلان رقما ١/٢٤ ، ٢/٢٤).

وجمال الهيئة المربعة في تساوي أضلاعها وبالتالي توازنها وبساطة شكلها (اللوحة رقم ٢٥٣ ، والأشكال أرقام ٨/٢٥ ، ٩/٢٥ ، ١٠/٢٥) وجمال الهيئة المثلثة والهرمية في الإحساس بالقوة والرسوخ ، فضلاً عن بساطتها ، ولهذا اعتلت الهيئات المسنمة والهرمية قمم بعض شواهد القبور من طراز الدعائم والمسلات كما سبق القول ، وأسطح بعض هيئات المصاطب في تراكيب القبور الإسلامية ، سواء طراز المصطبة الواحدة أو الإثنتين أو الثلاث أو ما زاد (الأشكال أرقام ٦/٢٧ ، ٧/٢٧ ، ٩/٢٧ ، ٩/٢٨ ، ١/٢٩ حتي ٥/٢٩ ، ٣/٣٣ ، ٧/٣٣ ، ٨/٣٣ ، ٩/٣٣).

يضاف لكل الجماليات السابقة أن كثيراً من الشواهد والتراكيب تم تذهيبها ، وقد زال مع الزمن تذهيب بعضها ، وبقي البعض الآخر (لوحة رقم ١٦١) كما أن بعض الشواهد والتراكيب جمالياته في اللون الطبيعي للمادة الخام المصنوع منها ، والبعض الآخر تم تلوينه كله أو بعضه (اللوحات أرقام ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٤٠) بألوان أخري زادت من جمالياته.

إن كل هذا الجمال المتقن لمنتج هو أقرب إلي الكماليات منه إلي الضروريات لا يمكن أن يصل إلي ذروة الإبداع والتنوع إلا بتوفر مقومات عدة متمثلة في الحالة الإقتصادية التي تمكن المشتري من دفع قيمة الشاهد أو التركيبة ، وحالة المجتمع العامة من الإستقرار السياسي والبعد عن الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، والحالة العامة لصحة المجتمع ، ففي زمن الأوبئة الكبري التي ينتج عنها وفيات بالمئات كالطواعين والملاريا وغيرها ، لا يوجد وقت أو جو عام مناسب لعمل شواهد وتراكيب بمثابة التحف الفنية ، ولما كانت الأوبئة الكبري التي اجتاحت العالم الإسلامي أو أجزاء معينة منه، مثبتة التواريخ بكتب المصادر المعاصرة من جهة ، وشواهد القبور وتراكيبها وثائق مؤرخة في معظمها من جهة أخري ، فإذا عملنا دراسات حصرية مقارنة لخرجنا بنتائج معينة. كذلك يرتبط إزدهار هذه الصناعة

بالخلفية الثقافية للمجتمع وذوقه الفني ، ولما كانت معظم الحرف والصناعات في مجتمع العصور الوسطي يشرف عليها ديوان الحسبة فهي تخضع للإشراف الرسمي من قبل الدولة من حيث جودة المنتج والذوق العام للمجتمع ، ولهذا سادت طرز معينة في أماكن دون أخري وفي زمن دون آخر ، وإن لم يخف أن تلك الصناعة إلي جانب رسميتها فهي شعبية من جهة ثانية ، فالغني والفقير يستطيع أن يعمل له شاهد أو تركيبة حسب ذوقه ودنانيره ، وإن طفي علي السطح احتمال ضعيف وارد باستيراد شواهد قبور مهيكلة بهيئتها العامة وجاهزة للحفر عليها بأي نوع من النصوص ، من مدينة لأخري أو من دولة لأخري لعدم توفر المادة الخام كما سنوضح بعد قليل ، خاصة وأن مضمون الكتابات نادراً ما يذكر مكان الوفاة ، أما عن الأنامل المجودة التي صنعت تلك الروائع ونظم العمل وأدواته فستكون ضمن مباحث الفصل التالي.

الفصل الثالث

يعالج هذا الفصل ثلاثة مباحث هي: توضيح التأثير العقدي والمذهبي علي الهيئة العامة لشواهد القبور وتراكيبها ، وطرق صناعة شواهد القبور وتراكيبها ، والمواد الخام المصنوعة منها ، والأدوات المستخدمة في صناعتها ، وطائفة الصناع ومسمياتهم ، أما المبحث الأخير فيشير للجمعيات العلمية العالمية المتخصصة في دراسة الجبانات بما حوت من شواهد قبور وتراكيب ، ونشاطاتها الحديثة والمتنوعة في ذلك المجال.

أولاً : التأثيرات العقائدية والمذهبية علي الهيئة العامة للشواهد والتراكيب:-

لقد ثبت بالدليل المادي وجود تأثيرات عقائدية ومذهبية علي كثير من شواهد القبور وتراكيبها ، سواء أكانت هذه العقائد والديانات سماوية أم كانت أرضية وضعية ، ذلك أن التصميم العام لشاهد القبر وتركيبته يعتبر في بعض المعتقدات هو لمسة الوفاء الأخيرة للمتوفي ، بعدها ينقطع تقديم المعروف له ، بخلاف العقيدة الإسلامية التي لا ينقطع فيها عمل ابن آدم بعد موته ، حيث يصله ثواب صدقاته الجارية التي صنعها قبل موته ، كذلك علمه الذي ورثه من بعده ، وولده الصالح الذي يدعو له ، وإن كان الأمر كذلك في بعض المعتقدات غير الإسلامية فقد وجب تصميم هيئة عامة لشاهد القبر وتركيبته بحيث تكون هيئة بديعة ومبتكرة لكي تساعد علي أن يبقي من يزور قبر الميت من أقاربه وأصدقائه ساعات طويلة من الزمن بجوار شاهده يتأملون شكله ولونه وزخارفه وكتاباته ، ويقارنونها بشواهد وتراكيب جيرانه ، ثم يكررون الزيارة لإحياء ذكري موتاهم من جهة ، وللترويح عن

الزائرين الأحياء بمناظر الجبانات بما حوته من شواهد وتراكيب مبتكرة من جهة أخري.

بل وصل الأمر أن الشخصيات الهامة والعامة من العسكريين والمدنيين ورجال الدين يختار لإنشاء أضرحتهم مواقع متميزة ليس في الجبانات والمقابر وإنما في الحدائق العامة والميادين الكبري داخل الحياة المدنية التي تعج بالحركة وليس في مدن الأموات الساكنة ، والهدف من ذلك دوام إحياء ذكراهم وترديد أياديهم البيضاء علي مجتمعاتهم.

وزاد الأمر حتي وصل إلي أن البعض كان يشرف بنفسه علي شاهد قبره قبل موته ، وذلك باختيار مادته الخام التي يصنع منها ، وتصميمه العام ، وحجمه ، ولونه ، وزخارفه ، ونقوشه الكتابية تنفذ كاملة ويترك فقط يوم الوفاة وشهره وسنته شاغراً بحيث يوصي ورثته بإتمامه عندما يأتي أمر الله تعالي.

وتأثر المسلمون ببعض المظاهر السابقة المشار إليها ما لم تتعارض مع عقيدتهم ، ثم زادوا علي ذلك من صميم عقيدتهم كما فعل سابقيهم من الحضارات والديانات السابقة ، ولما كان الموضوع متشعباً فقد وجب تفصيله علي النحو التالي:

(أ) المعتقدات غير السماوية :-

عند الحديث عن هيئة الفانوس من شواهد القبور الإسلامية ، سبق ذكر بعض المعتقدات البوذية التي أثرت علي هيئة ورمزية شواهد القبور من ذلك النمط في مجموعة دول جنوب شرق آسيا ، ثم انتقلت هذه التأثيرات من شواهد القبور البوذية إلي نظائرها الإسلامية في الهيئة العامة والشكل دون الرمزية والمعتقد (شكل رقم ١٩).

وعند الحديث عن هيئة القارورة في شواهد القبور الإسلامية ، سبق ذكر الموروث الفني والعقدي لتلك الهيئة العامة ، والمرتبط بعقائد حرق الجثث وحفظ جزء من رمادها في قارورة أو إناء يسلم لأقارب المحروق ليحتفظوا به أو يدفنونه في مقبرة أو يذرونه بنهر غانج المقدس ، وتأثر المسلمون في مجموعة دول جنوب شرق آسيا بالهيئة العامة للقارورة دون رمزيتها ومغزاها (شكل رقم ١/٢٠ حتى ٦/٢٠).

واتخذت الماسونية – البناؤون الأحرار – من الهيئة العامة الهرمية شعاراً لها ولأشكال شواهد قبورها ، هذه الهيئة التي تتكون من تعامد مسطرة المعماري مع فرجار هندسي (شكل رقم ١٣/٢٥) بما يرمز إلي حرفة البناء في الظاهر ، وعلاقة الخالق بالمخلوق أو علاقة السماء بالأرض ، في المغزي الباطن ، لكن القمم الهرمية بأعلي بعض أنماط تراكيب القبور

الإسلامية ، تشابهت في الشكل دون المغزي ، كما أن تراكيب القبور الإسلامية ذات القمم الهرمية تسبق ظهور النحلة الماسونية بعدة قرون.
وفي ديانة الويكا الوثنية القديمة اعتبرت النجمة الخماسية رمزاً لخمسة عناصر مكونة للطبيعة وهي الأرض أو التراب والهواء والماء والنار والروح أو الأثير ، أي أنها اتفقت مع البوذية في ذلك لكن كل من المعتقدين عبر عن مكونات معتقده بهيئة عامة مختلفة تماماً عن الآخر (قارن شكل رقم ٢/١٩ بالنجمة خماسية الرؤوس).
والطوطمية نحلة غير سماوية كانت منتشرة في مجموعة دول جنوب شرق آسيا ، وفي غيرها ، والطوطم هو شعار القبيلة ويتخذ بهيئة حيوان أو كائن حي تنتحل صورته كشعار ، فهو عقدي عندهم ، ولذا وصلتنا شواهد قبور كثيرة لا يزال معظمها منتصباً في مقابرهم (اللوحتان رقما ٣٣٤ ، ٣٣٥)[٢٢٥] صنعت من الأخشاب ومن غيرها ، وشكلت قممها بهيئة جماجم وقرون الماعز والخراف وغير ذلك من الحيوانات والطيور.
وفي الديانة الهندوكية وما يتبعها من عباد البقر ، ما انعكس علي بعض الهيئات العامة لشواهد القبور وتراكيبها ، حتي أن إحداها شكلت بهيئة إنسان بدون ملابس وقد استلقي علي ظهره وهو يرضع من لبن إلهه ومعبوده الذي يغمره من فوقه بالرضا وكنف السكينة (لوحة رقم ٣٣٦) ولا غرابة في ذلك، ففي بعض المذاهب والديانات السماوية تراكيب قبور لحيوانات رامزة كما سيأتي.

(ب) الديانات السماوية :-

تعتبر المقبرة في الديانة اليهودية مكان خاص لدفن المنتمين للدين اليهودي فقط ، كما تعتبر أرضاً مقدسة تقام طقوس دينية معينة عند افتتاحها ، وإنشاء مقبرة يعد من أولويات المجتمع اليهودي في أي مكان في العالم ، وتكتب نصوص شواهد القبور وتراكيبها باللغة العبرية المقدسة مع بعض اللغات المحلية الأخري أحياناً ، والهيئات العامة لشواهد قبورهم وتراكيبها معظمها تندرج تحت الأنماط التقليدية التي سبقت بها الديانتين المسيحية والإسلامية ، كما سبق القول ، كالهيئات العامة الهندسية البسيطة ، والهيئة المحرابية ، وهيئة العمود الإسطواني ، وهيئة الدعامة ، وهيئة المسلة ، وهيئة الكتاب المقدس ، وهيئة الشرافات المسننة وذات الأقواس ، وتراكيب القبور بهيئاتها العامة المختلفة.
لكن الدلالات العقدية والعنصرية اليهودية تتجلي بشكل أوضح في وصول شواهد قبور يهودية قبل وبعد ظهور الديانتين المسيحية والإسلامية بهيئة عامة لنجمة سداسية ، نجمة سيدنا داوود وسيدنا سليمان

225 - www.Superstock.com,www.google.com.sa

(شكل رقم ٢/٣٤ ، ١٥/٢٥) (اللوحتان رقما ٢٦٢ ، ٢٦٣) برمزيتها الظاهرة والباطنة وهي علاقة السماء بالأرض أو علاقة الخالق بالمخلوق.
ووصول شواهد قبور أثرية يهودية بهيئة عامة للشمعدان ذي الأذرع السبعة (شكل رقم ٤/٣٤) وهو يرمز إلي انتصار اليهود علي السلوقيين في ٢٥ يناير عام ١٦٤ قبل الميلاد ، وإعادة بناء الهيكل بعد دخولهم القدس ، واعتبروا ذلك اليوم عيد (الحانوه) أي الأنوار ، وفيه تضاء الأنوار سبعة أيام بعدد أذرع الشمعدان حيث يضاء ذراع كل يوم تخليداً لذكري الانتصار.
أما الرمزية عندهم فيما يخص موضوع الدراسة فقد سبق الإشارة إليها كل في موضعه ، مثل : النجمة الخماسية عند اليهود ترمز لأسفار سيدنا موسي المقدسة ، ولذا وصلتنا شواهد قبور يهودية بهيئة عامة لنجمة خماسية الرؤوس ، وترمز شواهد القبور اليهودية التي بهيئة كتاب مطوي أو مفتوح إلي التوراه ، ومنه يقتبس آيات لتنقش علي الشواهد أيا كانت هيئتها العامة ، وفي ذلك سبق للنظائر اللاحقة في الديانتين المسيحية والإسلامية.
وفيما يخص المسيحية فإن ما نشر من بحوث عن شواهد القبور المسيحية المتأخرة (القرنين ١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ليعد بالآلاف [٢٢٦] ، ما يهمنا منها في هذا الموضع الدراسات التي أشارت للهيئات العامة ومعايير تصنيفها ، ونظراً لاختلاف المعتقد اختلف التنميط ، فمن طرز شواهد القبور المسيحية وتراكيبها الآتي:
١- طراز الصليب ، بمعني أن شاهد القبر يأخذ في هيئته العامة شكل الصليب بأنواعه التي تعددت الأربعين شكلاً (شكل رقم ١/٣٤) منها الصليب اليوناني ، اللاتيني ، وصليب الهلب ، والصليب التاوى ، وصليب مالطة ، صليب أندراوس ، صليب أورشليم ، صليب الشطرنج ، وغير ذلك الكثير.
٢- طراز التماثيل والملائكة ، وعادة ما تكون هذه التماثيل المجسمة والمنتصبة كشواهد وتراكيب فوق القبور ، لأحد أفراد العائلة المقدسة أو الحواريين أو كبار القديسين وآباء الكنيسة.
٣- الطرز الكلاسيكية أو التقليدية وتقسم بدورها إلي سلالات وطرز (الأول ، الثاني ، الثالث.....).
٤- الطرز البسيطة ، وتقسم بدورها لسلالات وطرز كالبسيط المتقن ذي الركن وغيره.
٥- طراز الكتاب المقدس (الإنجيل).
٦- طرز تشير لمهنة المتوفي.
وغير ذلك من تقسيمات وطرز لا يعنينا منها سوي ثلاثة طرز هي : الطراز التقليدي والبسيطة وطراز الكتب المقدس ، وذلك لحدوث التأثير والتأثر فيها

226 - www.Amazon.com

بين الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) بما حملت من معاني ورمزية قد تختلف في الديانة الإسلامية عنها في نظيرتها المسيحية ، فالهيئة المحرابية في شواهد القبور المسيحية تشير إلي قبلتهم في الصلاة كنظيرتها الإسلامية ، وفي كلتا الحالتين تذكر المحاريب بالصلاة ومغزاها وأهميتها في الديانات الثلاث ، وهيئة الأعمدة المكسورة في شواهد القبور المسيحية ترمز للحزن وانكسار القلب خاصة إذا كان المتوفي شاباً أو صغيراً (اللوحتان رقما ٨٤ ، ٨٥) وهيئة الكتاب عندهم مطوي أو مفتوح ترمز للحكمة والمعرفة بصفة عامة والحكمة الإنجيلية بصفة خاصة (اللوحات أرقام ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢) (الأشكال أرقام ٤/٢٢ ، ٨/٢٢، ٩/٢٢ ، ١٠/٢٢) وهيئة السفينة والشراع والمرساة ترمز لسفينة الكنيسة وسفينة الخلاص والأمل والخلود (شكل رقم ٢/٢٣ ، ٤/٢٣ ، ٦/٢٣، ٧/٢٣) والهيئة الدائرية لشواهد القبور ربما رمزت عندهم للشمس التي ترمز للقيامة (اللوحتان رقما ٢٤٩ ،٢٥٠) (شكل رقم ٤/٢٤) كما ترمز أيضاً للخلود وللأرض التي خلق الله منها الإنسان وفيها أقبره ومنها يبعثه ، وشواهد القبور المسيحية ذات الهيئة العامة المثلثة (لوحة رقم ٢٥٨)
(شكل رقم ٧/٢٥) ترمز إلي عقيدة التثليث (الأب والإبن والروح القدس).
وشواهد قبورهم من طراز النجمة خماسية الرؤوس (اللوحتان رقما ٢٦٠ ، ٢٦١) (شكل رقم ١١/٢٥) ترمز إلي جروح السيد المسيح الخمسة ، بينما ترمز النجمة سداسية الرؤوس إلي الأب والخلق والحكمة السماوية ، وشواهد قبورهم من طراز المسلة وشجرة السرو ترمز عندهم إلي الموت والحزن والخلود ، وباقات الورد والزهور التي توضع في طراز الجرار والمزهريات عندهم ترمز للعاطفة والعزاء والحزن ، وإن وضعت زهرة مكسورة فهي رمزاً للوفاة المبكرة ، كذلك يرمز الإكليل الذي يوضع كحلية علي بعض تراكيب قبورهم من هيئات المصاطب إلي الخلود والموت ، ويرمز العقد (القوس) للمرور نحو العالم الآخر ، وهكذا في سلسلة مطولة من رمزية بعض الطيور والأسماك والحيوانات والأشجار والعناصر التجريدية والمعمارية.
ولكن قبل مغادرة ذلك الموضوع المطول ونماذجه الكثيرة نود اختيار أحدها لأنه في هيئته العامة (لوحة رقم ٣٣٧) [٢٢٧] يذكر بالنداء للصلاة والترانيم الكنسية ، وهو مصنوع من ثلاث مواد خام ، فالقاعدة رخامية ، والجرس وحواملة معدنية ، والحشوة العليا خشبية ، وكفي بهذا النموذج ختاماً لموضوع التأثيرات العقائدية المسيحية علي الهيئة العامة لشواهد القبور.

227 - www.agefotostock.com

أما التأثيرات الدينية الإسلامية علي شواهد القبور وتراكيبها فهي من الكثرة في معانيها ورمزيتها لدرجة تشعبت لتمس مذهب الشيعة والطرق الصوفية وعامة المسلمين علي النحو التالي:

وردت المقرنصات علي شواهد القبور الإسلامية من الهيئة العامة المستطيلة المقرنصة (شكل رقم٢) (اللوحات أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١) كما وردت علي تراكيب القبور (شكل رقم ٦/٢٦) (لوحة رقم ٢٦٨) وهي ابتكار إسلامي لها وظيفة إنشائية وزخرفية ، وفلسفة دينية ورمزية ، فشكلها في صميمه يذهب نحو النظرية الأساسية في الفن الإسلامي القائمة علي الوحدانية المطلقة.

والهيئة المحرابية في شواهد القبور الإسلامية لم تنقطع في أي مكان أو زمان من العالم الإسلامي (شكل رقم ٥ ، ٦) وكانت في غاية التنوع والتعدد في أشكال عقودها ، والمحراب في المسجد يشير لقبلة المسلم مكة المكرمة ، والميت المسلم مدفون علي شقة الأيمن ووجهه صوب قبلته التي كان يصلي إليها ، حتي أن بعض شواهد القبور من الهيئة المحرابية المسطحة يوحي بهيئة المسلم القائم في صلاته رافعاً يديه لتكبيرة الإحرام ، فالمحراب يذكر بعماد الدين التي إن صلحت صلح سائر العمل.

وشواهد القبور الإسلامية التي بهيئة عامة لأعمدة أو دعائم أو مسلات ، بعضها له قمة مثل شجرة السرو ، وبعضها له قمة بهيئة قبيبة كالخوذة أو المبخرة أو المخروط أو الهرم أو غير ذلك (اللوحات أرقام ٧١ حتي ٧٣ ، و٧٥ حتي ٨٣ ، ٨٧ حتي ٩٠ ، ومن ١٠١ حتي ١٠٤) إنما تذكر بالمآذن المنتشرة في مساجد العالم الإسلامي من أقصاه إلي أقصاه (شكل رقم ٩) وهي علي الترتيب من اليمين إلي اليسار كالآتي (١/٩) مئذنة من اليمن (٢/٩) مئذنة الجامع الكبير في سيفل بالأندلس (٣/٩) مئذنة جامع سامرا (٤/٩) مئذنة تاج محل بأكرا (٥/٩) مئذنة الجامع الكبير في القيروان (٦/٩) (٧/٩) (١١/٩) مآذن عثمانية (٨/٩) مئذنة مملوكية (١٠/٩) مئذنة من وسط آسيا. والمآذن تذكر بالصلاة عماد الدين ، كما أن شجرة السرو برائحتها الطيبة تزرع في الجبانات لتغطي علي ما قد ينبعث من القبور من روائح غير مقبولة ، وهي في لونها الأخضر الذي لا يتغير علي مدار العام تذكر المسلم بلون وشعار الأسرة النبوية ، وهي في قوامها الرشيق الفارع الممتد في السماء تذكر بصعود الروح إلي بارئها ، كما تذكر بالحرف الأول من لفظ الجلالة (الله) فهي رمز التوحيد والاستقامة والحقيقة.

أما هيئة القبيبات التي تغطي الأضرحة والمنشآت الدينية (شكل رقم ١/٨ حتي ٩/٨) فهي بجانب دورها الوظيفي والجمالي قيل بشأنها أنها تمثل قبة السماء المظللة للأرض بكل ما فيها من سعة وجلال.

وشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها من الطرز المعممة ، إلي جانب دلالاتها علي الطبقية الإجتماعية أو جنس الراقد تحتها ، رمزت للطرق الصوفية المتعددة وفرقت بين طوائفها المختلفة في العالم الإسلامي كله ، وليس في العصر العثماني بنطاقه الزماني والمكاني (اللوحات أرقام ١١٥ حتي ١٢٨) (شكل رقم ١/١٠ حتي ٢٠/١٠) (شكل ١/١١ حتي ٧/١١) ولا يخفي ما للطرق الصوفية من دور كبير في نشر الإسلام في مناطق كثيرة من العالم كجنوب شرق آسيا وجنوب الصحراء الكبري وبعض مناطق شرق أوربا حتي انتشر فكرهم في المجتمع الإسلامي كله.

أما طراز الشرافات (اللوحات أرقام ١٦٩ حتي ١٧٢) (شكل ٢٦/١٤ حتي ٣٥/١٤) في تراصها وتلاصقها فكأنها تؤكد علي معاني الوحدة والسواسية حتي أن شاهد قبر الغني ذي المكانة الإجتماعية يتطابق في سمته مع شاهد قبر الشخص العادي أو الفقير ، فالجميع سواء تحت التراب ، كما أن الشرافات توحي بالارتباط بين السماء والأرض.

وهيئة الفانوس (اللوحات من رقم ١٨٤ حتي ١٩٧) (شكل رقم ١/١٧ حتي ١١/١٧ ، ١٧/١٧ حتي ٢١/١٧ وشكل ١/١٩ ، ٤/١٩) توحي بفكرة النور الإلهي عند الصوفية ، وبفكرة الأنوار الإيمانية في قلب المؤمن وهي التي تنير قبره في حياته البرزخية.

تلك الأنوار الإيمانية محلها القلب ولذا صنعت شواهد قبور إسلامية بهيئة القلب (شكل رقم ١/٢١ ، ٢/٢١) (اللوحتان رقما ٢١٩ ، ٢٢٠) وكلاهما بهيئة القلب المقلوب أو دمعة العين ، بما يحمل كل منهما من تأويل ومعاني، فالقلب موطن الإيمان والعواطف ، ودمعة العين ترمز للحزن والبكاء دونما تفوه بما لا يرضي الله تعالي من أقوال عند فراق الأحبة بالموت.

وهيئة المصحف في شواهد القبور الإسلامية (اللوحتان رقما ٢٣٣ ، ٢٣٤) (الشكلان ٣/٢٢ ، ٥/٢٢) لا تحتاج لتأويل ففي القرآن الكريم العقائد الصحيحة والعبادات المطلوبة والمعاملات والأخلاق ، وفيه صلاح الدنيا والآخرة ، ومن آياته تم الاقتباس لنصوص شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، أيا كانت هيئتها العامة ، وشاهد القبر بهيئة المصحف ربما يذكر الزائر من أهل الميت وأصدقائه بقراءة بعض سور القرآن علي المزور ، علي ما في ذلك من خلاف بين الفقهاء والمذاهب ، وربما يذكر بأن المقبور نفسه كان ممن يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار فهو شفيعه في المقبر والمحشر طبقاً لما ورد في السنة النبوية الصحيحة [٢٢٨].

---

[٢٢٨] - من هذه الأحاديث حديث أبي أمامة عن رسول الله (ص) أنه قال :- " إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه " وحديث أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : " لا حسد إلا في إثنتين ، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار .... "

وهيئة السفينة والشراع في شواهد القبور الإسلامية (اللوحتان رقما ٢٣٦ ، ٢٣٧) (شكل رقم ١/٢٣ ، ٣/٢٣) إلي جانب دلالتها علي موقع صاحب القبر ووظيفته في الأسطول البحري الإسلامي ، فإنه لا تخفي رمزيتها عند الصوفية ، فهي سفينة الخلاص من هموم الدنيا وكبدها إلي الرب الغفور الرحيم ، حتي أنهم صنعوا كشاكيلهم بهيئة سفينة ونقشوا علي بعضها الآية (رقم ٧٩ من سورة الكهف) كما سبق القول.

وشواهد القبور الإسلامية تامة الإستدارة (اللوحتان رقما ٢٤٤ ، ٢٤٦) (الشكلان رقما ١/٢٤ ، ٢/٢٤) تحمل فلسفة الشكل الدائري بأنه كوني ، فكل حركة وكل شكل في الكون دائري أو مشتق منه ، والطواف حول الكعبة في الحج والعمرة دائري ، والدائرة رمز الكمال ، ويحب الصوفي التأمل في نقطة الكمال العليا.

وتركيبة القبر التي تأخذ في هيئتها العامة شكل سرير ومخدة (لوحة رقم ٣٣٢) توحي بالمستقبل الأبدي المأمول في الجنة الموعودة بما فيها من "سرر مرفوعة"[٢٢٩].

ومن المفارقات ألا نلاحظ فروقاً تذكر في اختصاص المذهب الشيعي بطرز معينة من شواهد القبور وتراكيبها دون غيره من مذاهب السنة ، اللهم إلا تشكيل تركيبة قبر بهيئة أسد (لوحة رقم ٣٣٨) [٢٣٠] (شكل رقم ٣/٣٤) في بعض جبانات قبائل اللوري والبختياري والقاشقي غرب وجنوب غرب إيران في الفترات المتأخرة نسبياً ، وهي قبائل مذهبها الرسمي هو المذهب الشيعي منذ قرون طويلة ، وهم يقصدون بتمثال الأسد فوق قبورهم الرمز لحيدر أسد الله وهو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وقد وصلنا من الفنون التشكيلية التي نفذتها أيادي شيعية أمثلة كثيرة تؤكد الرمز المذكور ، منها كتابة علي شكل أسد ، من إيران في القرن ١٢هـ/٨م ، هذه التصويرة بالألوان المائية علي الورق ، وهي عبارة عن كتابة موزعة علي هيئة جسم أسد تحيط به الملائكة المجنحة وهي تحمل مباخر مضيئة ، بينما ينص مضمون الكتابة التي تشكل جسم الأسد علي "نادي عليا مظهر العجائب تجده عوناً لك في المصائب" فالعلاقة بين النص والصورة لا تدع فسحة لشك (لوحة رقم ٣٣٩).

ولا شك في أن الأسد رمز للقوة والشجاعة (والوصاية) والبطولة الشهيدة ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بما يؤكد رمز القوة ، في قوله تعالى "فرت

=وحديث عبد الله بن عمر عن النبي (ص) قال : " الصيام والقرآن يشفعان للمسلم ..... " وغير ذلك كثير .

٢٢٩ - القرآن الكريم ، سورة الغاشية ، آية ١٣ " فيها سرر مرفوعة "

230 - http://www.iranicaonline.org

من قسورة" [٢٣١] ، ويرمز عند المسحيين للقديس مرقص بهيئة أسد ، كما وصلتنا تراكيب قبور مسيحية بهيئة أسد منها تركيبة بإحدي جبانات لندن(abney park) (لوحة رقم٣٤٠) [٢٣٢] واستخدم الأسد كرمز ديني في ديانات وحضارات سابقة ، حيث اتخذ العبريون أسد يهوذا رمزاً لهم ، وكذلك رمز به لبوذا ، وثمة تراكيب قبور ساسانية بهيئة أسدية في أردل بإيران ، تجاورها شواهد قبور إسلامية بهيئة محرابية من القرن ١٣هـ/١٩م[٢٣٣].

ثانياً : طرق الصناعة والصناع:-

من أسف شديد ألا تصلنا وثائق أو مخطوطات إسلامية تشرح لنا دفين سر صناعة شواهد القبور وتراكيبها ، والمواد الخام المصنوعة منها ، وأدوات صناعتها ، وطرق ومراحل الصناعة ، وطوائف الصناع العاملين بهذه المهنة ، وأشهر أعلامهم وصلاتهم الحرفية وأذواقهم الفنية ، وما حدث من تطور في أدوات هذه الصنعة ومنتجها في العصور الحديثة ، وهو ما تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء عليه.

تصنع شواهد القبور وتراكيبها من الأحجار أو الرخام بأنواعهما في المقام الأول ، ثم وصلتنا مواد أخري كثيرة أقل في الإستخدام كاللبن والآجر والأخشاب والخزف وبعض المعادن والزجاج وغير ذلك ، وفيما يلي تعريف بها :

الحجر والرخام:-

الأحجار أنواع كثيرة منها الجيري والرملي والصوان والبازلت والكدان والطراوي ولكل خواصه الكيميائية التي لايتسع المقام إلا للإشارة الموجزة لها ، فالحجر الجيري عبارة عن كربونات كالسيوم مع نسب متغيرة من السيلكا والطفل وأكسيد الحديد وكربونات المغنسيوم ، وكلها نسب قليلة في تكوينه بما يؤثر علي نوعه وصلابته.

بينما يتكون الحجر الرملي من رمل الكوارتز ملتصقاً بنسب صغيرة جداً من الطفل وكربونات الكالسيوم وأكسيد الحديد أو السيلكا.

أما حجر البازلت فهو صخر أسود اللون ، جسيماته ثقيلة مندمجة براقة ، وهو أنواع منه الخشن ومنه الأكثر خشونه ، ومن جزيئاته المعدنية الدولريت وغيره.

ويتكون حجر الرخام من كربونات كالسيوم متبلورة صلبة نتيجة الضغط والحرارة أثناء تكوينه الطبيعي ساعد علي زيادة حجم حبيباته وتجانسها

---

[٢٣١] - سورة المدثر ، آية ٥١

232 - www.Superstock.com

233 - www.ghiasabadi.com

وزيادة تماسكها ، ويتميز الرخام بجماله الطبيعي في ألوانه البيضاء الناصعة أو درجات منها ، أو تجزيعاته الخضراء والسوداء والبنية في الرخام المجزع ، كما يتميز بملمس سطحه الناعم البراق ، وبسهولة تنظيفه مع ثبات اللون.

ويتم تجهيز الرخام قبل استعماله من خلال عمليات ثلاث هي [٢٣٤]:

عملية القطع ، ويتم بمقتضاها تحديد الجهات الأربع للقطعة المطلوب قطعها، ويتم التحديد باستعمال الفحم أو بأي لون آخر ، ثم تجري عملية القطع ، بعدها تدحرج القطعة الضخمة بواسطة العتلة ، ومثل هذه القطعة يطلق عليها اسم (بلاطة غشيم) (لوحة رقم ٣٤١) ثم عملية النشر ، وخلالها يقطع الرخام بمناشير تحرك بالأيدي وتسقي بالرمل والماء حتي يتم النشر.

عملية الصقل ، وتتم بطريقتين ، الأولي عملية الجلي لإزالة الخروق والخطوط التي تخلفت من عملية النشر علي سطح الرخام ، وذلك بحك السطح المطلوب صقله بقطعة من الرخام مع سقيه علي الدوام بالماء والرمل حتي تزول الخروق والخطوط ويصبح سطح القطعة أملساً ولونه واضحاً ، ويمكن صقله بطريقة أخري تتلخص في ملء الخروق بالمعجون ثم تسحق قطعة من الحجر الطراوي ويرش من هذا المسحوق علي قطعة الرخام ، ويمسح بقطعة من القماش ويستمر العمل حتي يظهر سطح الرخام لامعاً.

أما الطريقة الثانية فتتم بحك القطعة بالرخام والماء والرمل ثم تحك بالحجر الطراوي ثم تملأ الخروق بالمعجون وتنعم بقطعة من الحجر ثم تؤخذ كتلة من الرصاص لها يد توضع تحتها صنفرة ثم تدلك حتي يظهر لون الرخام ، ولإظهار البريق واللمعان يعمل بطانة من القماش تبلل بالماء ثم تغمس في دقيق من ملح البارود مع كبريتات الحديد ويحك بها سطح قطعة الرخام حتي تصقل تماماً.

الأدوات المستخدمة في قطع وزخرفة الأحجار والرخام:-

كانت الأدوات في العصور القديمة والوسطي بدائية بسيطة تعتمد علي قوة العضلات ، ومن هذه الأدوات المناشير بأنواعها ، الأزاميل بأنواعها ، العتلات والمرزبات والفؤوس والزوايا بأنواعها (اللوحات أرقام ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤) ثم تطورت معظم تلك الأدوات في العصور الحديثة حتي صارت تدار بالطاقة الكهربائية ، كما تطور شكل الآلة ذاته (اللوحات أرقام ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧) وفي الفترة المعاصرة وصلت التقنيات لاستخدام الليزر في تنفيذ الكتابات والزخارف والتذهيب ، وطبع الصور الشخصية للميت علي شاهد القبر أو التركيبة ، تقوم بذلك شركات عالمية متخصصة ، لها فروع في كل أنحاء العالم ، وهي تنشر إعلاناتها علي شبكة المعلومات

[٢٣٤] - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، ص ٢٦- ٢٨

الدولية (النت) وتقيم المعارض الدولية وتعطي جوائز للفائزين بالتصميمات المب

الصناع العاملون في إعداد الحجر والرخام:-

هم كثر لكن أهمهم الآتي:

شقاق الفرش ، ويتولي شق القطع الكبيرة إلي قطع متفاوتة الأحجام حسب الحاجة إليها بحيث يشق القطعة الواحدة عاملان بواسطة مناشير كبيرة.

النقار ، ويتولي نقر الرخام وصقله بشوكة حادة الرأس ، وقدوم عريض قاطع ، وينقر الرخام عادة بعد نقله إلي محل التركيب للمحافظة علي ما تم نقشه فيه ، ويتعاون النقار والبناء في تهيئة القطع التي تركب.

النقاش ، ودوره نقش الزخارف والكتابات حتي وإن كان أمياً ، فهو ينقش ما يقدم إليه.

الحفار ، ويقوم بحفر الزخارف والكتابات للنقاش ، وقد يقوم بالدورين معاً.

المطعم ، ويتولي تطعيم ما حفر له من زخارف وكتابات برخام أبيض يغاير لون القطعة المطعمة ، وقد يقوم بالنقش والحفر والتطعيم شخص واحد ماهر بعمله.

المركب ، ويسمونه مركب الفرش ، ويتولي تثبيت القطعة الرخامية في الأماكن المعدة لها ، يعاونه البناء في هذا [٢٣٥].

ومن باب الاستئناس مرة أخري بأمثلة من النسب المئوية التي تؤكد أن الغلبة في المواد الخام المستخدمة في صناعة شواهد القبور وتراكيبها كانت للحجر والرخام ، أن هذه النسبة كانت في شواهد القبور وتراكيبها في مصر في العصر الأيوبي كالآتي: ٧٢% للرخام ، ٢٠.٦% للحجر الجيري ، ٤.٥% للبازلت ، ٣% للحجر الرملي [٢٣٦] بينما تغيرت هذه النسبة في مصر في العصر المملوكي إلي :٤٥% للحجر الجيري ، ١٢% للحجر الرملي ، ٣٢% للرخام ، ١٠.٣% للخشب[٢٣٧].

الطوب اللبن والآجر :-

وجهت بعض الأحكام الفقهية إلي تفضيل استخدام الطوب اللبن في ستر جثة المقبور في لحده ، كذلك في بناء القبور ، ولهذا استخدم الطوب اللبن مادة أساسية في بناء القبور والمدافن التي تعلوها [٢٣٨] ، ووصلتنا شواهد قبور نادرة من الآجر [٢٣٩] ، وتراكيب قبور كثيرة جداً من الطمي أو الطوب

---

٢٣٥ - نفس المرجع السابق ، ص٢٨

٢٣٦ - نفس المرجع السابق ، ص١١٨-١٢٠

٢٣٧ - نفس المرجع السابق ، ص٢٦٥-٢٦٨

٢٣٨ - عثمان (د. محمد عبد الستار) :- المرجع السابق ، ص٢٥٥

٢٣٩ - راجع الهامش رقم (٣٠) من هذه الدراسة .

اللبن أو الآجر (اللوحات أرقام ٢٧٨ حتي ٢٨٣ ، ٣٠١) (الأشكال أرقام ٨/٢٦ ، ٩/٢٦ ، ١٠/٢٦ ، ٨/٢٧ ، ١٠/٢٧ ، ١/٢٨).

ويصنع الطوب اللبن من الطين بعد صبه في قوالب خشبية مستطيلة تتفاوت مقاساتها ، ثم يجفف في الشمس ، وإذا تم حرقه بالنار في قمائن خاصة تحول إلي الآجر ، واللبن والآجر هما الأكثر إستخداماً في تراكيب قبور كثير من جبانات الصحاري الجافة من العالم الإسلامي.

هذا وتمر صناعة اللبن والآجر بعدة مراحل ، تنقسم كل مرحلة إلي عدة خطوات ، حتي تصل في النهاية إلي البناء الذي يصمم الهيئة العامة لتركيبة القبر.

الأخشاب :-

وصلتنا شواهد قبور خشبية بهيئات مختلفة منها الأعمدة الإسطوانية (اللوحتان رقما ٨١ ، ١٣٧) أو بهيئة مستطيلة ومغطاة بمعجون الجص الأبيض[٢٤٠] ، أو بهيئة توابيت (اللوحات أرقام ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ١٩٠ وغيرها) أو بهيئة أقفاص (اللوحات أرقام ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦) (الأشكال أرقام ٣/٢٧ ، ٦/٢٧ ، ٩/٢٧ ، ٥/٣٢ ، ٦/٣٢) فضلاً عن أمثلة كثيرة جداً لم تدرج لطاقة لوحات الدراسة ، وسبب الكثرة الكاثرة لاستخدام الخشب في صناعة شواهد القبور وتراكيبها ، أنه إقتصادي بالدرجة الأولي فهو رخيص الثمن ، غير تقليدي ، سهل التشكيل ، مثالي ، سريع التنفيذ للمستعجل من أهل الميت لعمل شاهده أو تركيبة قبره ، لكنه مؤقت لا يبقي علي الزمن ولا يقاوم الحرائق.

وتصنف الأخشاب في عالم النجارة والصناعة بخمسة أصناف : أخشاب قاسية ، وأليافها كثيفة وشديدة المقاومة مع مرونتها في نفس الوقت كالزان والجوز ، وأخشاب طرية وتعرف بالأخشاب البيضاء كالصفصاف والبندق ، وأخشاب صمغية كالأرز والسرو والصنوبر ، وأخشاب قاسية جداً وتقاوم الإحتكاك وحبيبات نسيجها متكاثفة ، ومن أهمها البقس والورد والكمثري ، وأخيراً أخشاب المناطق الحارة وهي صمغية ومموجة وملونة وأهمها الأبنوس حالك السواد.

وتنمو في النطاقات الجغرافية للعالم الإسلامي كثير من الأنواع الجيدة للأخشاب ، مثل سوريا ولبنان وكردستان وتركيا وأرمينية وبلاد القوقاز والهند والهملايا والصين وشمال أفريقية والأندلس وشرق أوربا ، من هذه الأنواع خشب الجوز ، وهو علي نوعين ، جوز تركي لونه أحمر خفيف ،

---

[٢٤٠] - شاهد قبر سيدي حسن الشريف بتربة البايات بتونس العاصمة ، ١١٩١هـ/١٧٧٧م . انظر :- نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور من تربة البايات بتونس العاصمة ، ص٧٦ لوحة ١٨

وجوز (أمريكي) مستورد ، لونه بني داكن ، وخشب الزان وهو نوعان ، أحمر وأبيض ، وخشب القرو وأليافه بريقها فضي لامع ، وخشب البلوط وأليافه بيضاء مصفرة ، وخشب الساج الهندي وغيره.

هذا وتتعدد الأدوات المستخدمة في أشغال النجارة كالأزاميل والمبارد والفارات والمناشير والمخارط ، والمواد اللاصقة كالغراء وغيره ، وأفرخ الصنفرة ، ومواد التذهيب والتلوين ، ونظراً لتعدد طرق الصناعة والزخرفة فقد تعددت معها التخصصات المهنية اللازمة لتلك الصناعات كالمطعم والخشاب والخراط والنقاش والنجار والحفار والدهان وغير ذلك [٢٤١].

الخزف:-

تأتي مادة الخزف في المرتبة السادسة من حيث الكثرة العددية في استعمالها بصناعة شواهد القبور وتراكيبها ، وذلك بعد الحجر والرخام واللبن والآجر والخشب ، فما وصلنا من الشواهد والتراكيب الخزفية ليس بالقليل [٢٤٢] ، من عصور إسلامية كثيرة ، ومن مناطق متعددة في إيران وتركيا ووسط آسيا وشمال أفريقية والأندلس وغيرها ، ومن شواهد القبور الخزفية بهذه الدراسة (اللوحات أرقام ٤١ ، ٤٣ ، ٥٠) ومن التراكيب المغشاة ببلاطات القاشاني (اللوحات أرقام ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣١٢) (الأشكال أرقام ١/٢٦ ، ٢/٣٢ ، ٤/٣٢).

وتمر صناعة الخزف بأربع مراحل ، في كل مرحلة عدة خطوات كالآتي:

١- مرحلة إعداد الطينة أو العجينة للعمل ، ومن خطواتها جمع الطينة وتنقيتها وتخميرها.

٢- مرحلة التشكيل ، وتتم باليد أو بالعجلة (الدولاب) أو بالصب في القالب ، وجميع شواهد القبور الخزفية والبلاطات التي تغشي التركيبات تمت بالصب في قوالب.

٣- مرحلة التجفيف أو الحرق ، وفيها يحرق المنتج مرة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع حسب نوعه.

٤- مرحلة الطلاء والزخرفة ، وفيها تتم خطوات الطلاء والزخرفة والتزجيج[٢٤٣].

هذا وتتعدد الأدوات والوسائل الداخلة في صناعة الفخار والخزف ، من غرابيل وطواحين ومواشير ودواليب وأفران ووقود وأكاسيد وفرش وغير

---

[٢٤١] - عبد العزيز (د. شادية الدسوقي) :- الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص٨١-٨٩

[٢٤٢] - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور خزفية من إيران الصفوية ، ص٧١-١١٠

[٢٤٣] - محمد (د. سعاد ماهر) :- الخزف التركي ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٧٤-٧٩

ذلك ، مما ترتب عليه بالتالي تعدد تخصصات العاملين بصناعة التخزيف كالفخراني أو الخزاف والدهان والعجان والنقاش وغيرهم.

مواد أخري :-

مع تطور صناعة الشواهد والتراكيب في العصور الحديثة والمعاصرة دخلتها مواد خام أخري كالمعادن وخاصة سبيكة البرونز ، والزجاج ، والبلاستيك ، خاصة في الدول المتقدمة بالشمال كاليابان وروسيا وأوربا أمريكا ، وقلدت الجاليات الإسلامية بمجموعة الدول المذكورة جيرانهم من الديانات والحضارات الأخري ، سيما وأن جبانات المدن الكبري كان يخصص بها قسم بنهايتها لدفن موتي المسلمين [٢٤٤] ،فصار التقليد بحكم الجوار والذوق المجتمعي العام.

فالمعادن عامة والبرونز خاصة بدائل متاحة وقوية ورخيصة ، وبدائل للحجر والرخام والجرانيت ، تلك المواد صعبة التشغيل والتشكيل علي العكس من المعادن سهلة الصب والحفر والزخرفة ، بما يساعد علي إبتكار هيئات عامة جديدة ومعقدة حجماً وشكلاً ولوناً ، كما أنها تصمد في أقسي الظروف المناخية بعد معالجتها بالتقنيات الكيميائية الحديثة ، وقد يلبس المعدن مع الرخام مع الخشب في تركيبة واحدة ، فتكون القاعدة رخامية والمصطبة أو المصاطب خشبية (لوحة رقم ٢٨٩ شكل ٦/٢٧) أو تصنع المفصلات والحليات والبابات من المعدن وتركب في التراكيب الخشبية أو الرخامية ، وقد يصنع شاهد القبر من ثلاث مواد ، خشب ومعدن ورخام (لوحة رقم ٣٣٧) والزجاج نقي وصافي فضلاً عن متانته بإضافة مواد أخري معه عند صبه وتشكيله ، كما أنه سهل التنظيف ، وله أفضلية التعامل مع التقنيات الحديثة ، كدمج صورة المتوفي الشخصية بشاهد قبره الزجاجي (لوحة رقم ٣٤٨)[٢٤٥] أو يسر استخدام الليزر وبعض المواد الكيميائية في تنفيذ تصميمات قبره وتفاصيل مبتكرة وأنيقة تقبل الألوان المختلفة ، وإن كان من عيوب الزجاج سهولة كسره فقد تم التغلب علي ذلك بإضافة مواد معدنية معه عند صناعته كما سبق القول.

وشواهد القبور الإسلامية من هيئة القارورة والمزهرية (اللوحات أرقام ٢١٠ حتي ٢١٨) لم تصنع من الزجاج ، وإنما قلدته في الشكل واللون والوظيفة.

---

٢٤٤ - زار الباحث مجموعة كبيرة من جبانات بريطانيا في لندن وبروووكوود واكسفورد ، وفيينا بالنمسا ، ولاحظ علي يمين أو يسار مدخل الجبانة لوحة زجاجية أو بلاستيكية كمسقط عام محدد عليه قسم دفن موتي المسلمين .

245 - http://weburbanist.com

أما قضية أسماء الصناع وأشهر أعلامهم ممن وقعوا علي بعض شواهد القبور وتراكيبها ، فهي تدخل ضمن المنهج العلمي الذي يتناول مضامين النقوش والكتابات[٢٤٦] ، ولا تدخل ضمن منهج الهيئة العامة وطرز تصميماتها ، بمعني دراستهم ضمن الكتاب والخطاطين ، لأن عملهم – علي أهميته – يمثل الحلقة الأخيرة في حلقات صناعة الشاهد أو التركيبة التي من أجلها تمت صناعتها ، وعلي الرغم من الاحتمالية الضعيفة في أن يقوم صانع واحد بعمل جميع مراحل الصناعة وخطوات كل مرحلة ، إلا أنه احتمال وارد ، وفي هذه الحالة يكون الكاتب أو الخطاط الذي وقع علي الشاهد أو التركيبة قد غمط غيره من المشاركين في مراحل الصنعة حقهم في إضافة أسمائهم ، وهي تخصصات متعددة في كل مادة خام ، ففي الأحجار والرخام (شقاق الفرش ، النقار ، النقاش ، الحفار ، المطعم ، المركب ، البناء) وكذلك تعددت تخصصات صانعي اللبن والآجر طبقاً لمراحل الصنعة ، وفي مجال الأخشاب (النجار ، الخشاب ، المطعم ، الخراط ، النقاش ، الحفار ، الدهان ، الصدفي ، الزرنشاني ، الأويمجي) وفي مجال التخزيف (العجان، الفخراني ، الدهان ، النقاش ، وغيرهم) وفي مجال المعادن والزجاج تعددت أيضاً مهن وتخصصات المذهب والمرصع والسنكري والمكفت واللحام وغيرهم.

ثالثاً : الجمعيات العلمية المتخصصة في دراسة شواهد القبور وتراكيبها:-

لقد بدأ العالم المتقدم منذ وقت مبكر نسبياً في تأسيس جمعيات علمية متخصصة في دراسة شواهد القبور وتراكيبها بالجبانات التاريخية ، ففي عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م تأسست جمعية دراسة شواهد القبور (The Association For Gravestone Studies) (AGS) في غرينفليد بولاية ماساشوستش بأمريكا ، بهدف دراسة شواهد القبور من كل العصور التاريخية ومن كل بلاد العالم ، ثم دراسة كيفية الحفاظ عليها بكل الأساليب ، ونشر الوعي بأهميتها لدي الأفراد والجماعات ، وذلك من خلال المنشورات وورش العمل والمعارض والمؤتمرات ، فلها مؤتمر سنوي يعقد بانتظام ، وعقد المؤتمر الأخير في الفترة من ١٩-٢٤/١٢/٢٠١٢م بجامعة مونماوث في نيو جرسي (Newgersy).

زاد أعضاء الجمعية علي الألف عضو من دول أوربا وأمريكا واليابان واستراليا وكندا والبرازيل ، وما زالت العضوية مفتوحة لمن يرغب الانضمام بقيمة اشتراك بسيطة تدفع علي موقعها الالكتروني[٢٤٧].

---

٢٤٦ - راجع المناهج العلمية في دراسة الشواهد والتراكيب بمقدمة هذه الدراسة .

247 - www.gravestonestudies.org

للجمعية نشرة شهرية وفصلية وسنوية ورقية وإلكترونية ، فضلاً عن البحوث والكتب والدوريات حيث بلغت دوريتها السنوية العدد الحادي والعشرين ، وهذا موقعها الإلكتروني [٢٤٨] ونشرت أول دراسة جادة عن شواهد القبور في القرن العشرين في نيوزلندة.
للجمعية مكتبة ثرية في غرينفلد ويجري نقل محفوظاتها إلي إدارة المجموعات الخاصة بجامعة ماساشوستش(Massachusetts).
تعطي الجمعية منحاً دراسية مثل منحة "باربرا رونوندو" التذكارية للطلاب الجادين في دراسة ذلك التخصص ، كما تمنح الجمعية جائزة دورية باسم "أوكلي" ومعها شهادة تقدير ، وجائزة معتبرة باسم "فوربس" (Forbes) من قبل مجلس الأمناء وذلك لتكريم أفراد أو منظمات قدمت خدمات جليلة في دراسة شواهد القبور والحفاظ عليها.
تقوم الجمعية بعمل زيارات ميدانية منتظمة إلي المقابر والجبانات لتدريب أعضاءها عملياً علي كيفية الدراسة والترميم ، بل أنها تحتضن النحاتين المحدثين المتخصصين في نحت وصناعة شواهد القبور الحديثة ، وتعطيهم محاضرات مسائية علي أدوات النحت وأساليبه وطرق التعامل مع المواد الخام المختلفة ، والمحاضرون متخصصون في علم الآثار والأنثروبولوجيا (Anthropology) وتاريخ الفن وعلم الأنساب (لوحة رقم٣٤٩).
تحارب الجمعية بكل الطرق لصوص المقابر الذين ينزعون شواهد القبور ويبيعونها لتجار العاديات ، كما تحارب المخربين الذين يدنسون الجبانات ويشوهون بواباتها وأعمالها الفنية المختلفة ، خاصة مجموعة الوندال (Vandalism) وهي قبيلة توتونية مشهورة بتخريب الآثار القديمة ومنها شواهد القبور [٢٤٩].

جمعية الجبانات الكبري في أوربا:-

(ASCE) (Association Of Significant Cemeteries in Europe)
هذه الجمعية عبارة عن رابطة أوربية كبيرة[٢٥٠] تضم المنظمات العامة والخاصة التي ترعي الجبانات والمقابر ذات الأهمية التاريخية والفنية في أوربا، وهي منظمة أوربية عالمية لا تهدف للربح وإنما تسعي للحفاظ علي التراث الثقافي للبشرية ، وزيادة الوعي بأهمية الجبانات الكبيرة في أوربا ، وتبادل الخبرات في سبيل تحقيق أهداف المنظمة ذات اللائحة القانونية والتنظيمية التي تشرح أهدافها الاجتماعية والثقافية والأكاديمية ،فضلاً عن توضيح علاقاتها بمؤسسات المجتمع الأخري خاصة الجامعات والمحاكم ،تقع هذه اللائحة في ثماني عشرة صفحة تفصيلية توضح أسماء

248 - info@gravestonestudies.org
249 - http://www.franland.pwp.blueyonder.co.uk
250 - www.Sigificantcemeteries.org

الجبانات الأعضاء في الجمعية وعددها اثنتين وتسعين جبانة تنتمي لخمسين دولة أوربية ، بما فيها الدول غير المجمع علي أوربيتها لوقوعها في قارة آسيا مثل أرمينية، أذربيجان ، جورجيا ، أو الدول الأوربية الصغيرة جداً مثل : سان مارينو ، أندورا ، ليختشتاين ، موناكو ، الفاتيكان.

كما توضح اللائحة أساليب العمل ومدته ، واللغة الإدارية وهي الإنجليزية مؤقتاً وسيتم مستقبلاً اعتماد كل لغات الدول الأعضاء ، ومكتب التسجيل ، والمقر ، وهو مجلس مدينة بولونيا بإيطاليا ، والأعضاء المؤسسين وهو مجموعة كبيرة من مجالس المدن الأوربية ومجالس الكنائس الأوربية ومجالس حماية التراث الثقافي وبعض جامعات العلوم التطبيقية في أوربا ، وشروط العضوية وحقوقها وواجباتها وإسقاطها ، ثم الهيكل الإداري للجمعية ممثلاً في الجمعية العامة والرئيس والأمين واللجنة التنظيمية ومجموعات العمل ، ومسئولية كل منها ، وكيفية الانعقاد والتصويت وقيمة الاشتراكات وقبول الهبات والحساب الختامي والنظام التأديبي والعزل عند ثبوت المخالفات.

للجمعية مؤتمر سنوي منتظم ، عقد المؤتمر الأخير في الفترة من ٢٢-٢٣ سبتمبر ٢٠١١م في مدينة فيينا بالنمسا ، والجمعية علي صلة وثيقة بنظيرتها الأمريكية خاصة وأن كثير من الدول الأوربية مزدوجي العضوية بالجمعيتين.

جمعية الجبانات القديمة في فكتوريا:-

(Old Cemeteries Society of Victoria) (OCS) تأسست هذه الجمعية عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م في كولومبيا البريطانية بكندا ، وأهدافها هي نفس أهداف نظيرتيها السابقتين المشار إليهما ، بل هي علي صلة وثيقة بهما، وعلي الرغم من حداثة الجمعية إلا أنها سجلت بيانات وصور (٢٨٠٠٠) ثمانية وعشرين ألف شاهد قبر علي الكمبيوتر ، ولها مشروعات مستقبلية أخري طوحة للغاية[٢٥١].

الاتحاد الوطني لأصدقاء الجبانات (NFCG):-

هم مجموعة من المتطوعين الإنجليز يعملون مع جماعات أخري متشابهة الأهداف مثل جماعة حماية البيئة ، كما تتشابه أهداف الاتحاد الوطني لأصدقاء الجبانات مع جمعية الجبانات القديمة في فكتوريا ، وجمعية الجبانات الكبري في أوربا، ليس في الأهداف فحسب وإنما في التنظيم الإداري والتنظيمي.

251 - www.oldcem.ba.ca

جمعية علم الأنساب (Genealogical Society):-

لما كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة في العصور الوسطي فقد خلفت لنا مجلدات كثيرة في تراجم طبقات المجتمع الإسلامي كله تقريباً ، ولفائف أشجار النسب للقبائل العربية ، ولكن مع تأخر المسلمين أهملوا الكتابة والتأليف في التراجم والأنساب حتي أنه لا يكاد يتبق منه سوي نقابات الأشراف النسابة لآل البيت النبوي الشريف ، وسحبت الدول المتقدمة البساط في هذا الفن من المسلمين ، وأخضعوه للبحث العلمي الدقيق حتي وصلوا إلي تحليل الشريط الوراثي (DNA) وأنشأوا الجمعيات العلمية المتخصصة في علم الأنساب سواء في أوربا أو في أمريكا ، ففي بريطانيا تأسست جمعية علم الأنساب الإنجليزية في العصور الوسطي (medievalgenealogy.org.uk) [٢٥٢] وهي سجلات المواليد والوفيات والروابط الأسرية ، ويمكن الرجوع إليها لنفي أو تأكيد معلومات بعض شواهد القبور الأثرية ، وكان من بين نشاط هذه الجمعية عمل جداول حصرية للعوائل الإنجليزية في تسلسل رقمي باسم العائلة ورمزها ومحل إقامتها الأصلي واللاحق وديانتها ومذهبها ومقابر الدفن الخاصة بها ، ومعلومات إضافية عنها مستخرجة من الوثائق وسجلات الكنائس والتعداد السكاني وشواهد القبور والمصادر التاريخية.

وفي لندن أيضاً تأسست حديثاً جمعية أنساب اليهود في بريطانيا العظمي:- (Jewish Genealogical Society of Great Britain) (JGSGB) تزعم الجمعية أنها غير طائفية مع أن هدفها الوحيد هو دراسة أنساب اليهود في بريطانيا وويلز وإيرلندا وجزرهم ، وتتبع جذور أسلافهم من السجلات القديمة ثم تدوينها وحفظها في قاعدة بيانات بغرض نشرها علي شبكة المعلومات الدولية ، وللجمعية تنظيم إداري ومؤتمرات منتظمة ومكتبة متخصصة ومجلة ربع سنوية ، كما تقوم الجمعية بعمل دورات تدريبية للأعضاء الجدد ، وهي علي صلة وثيقة بالجمعيات العالمية التي تدرس شواهد القبور ، سواء في أوربا أو في أمريكا ، واستطاعت الجمعية تسجيل (٢٩٠٠٠) تسعة وعشرين ألف يهودي بكامل بياناتهم منذ عام ١٨٥١م (١٢٥٨هـ) وهم يمثلون حوالي ٩٠% من يهود منطقة الدراسة.

وفي أمريكا كذلك تأسست الجمعيات العلمية المتخصصة التي أحصت أعداد وأجناس وأعمار المهاجرين الأوربيين إلي أمريكا في تسلسل حولي ، فهم يعرفون أن هذا أمريكي من أصل ألماني ، وذلك أمريكي من جذور هندية ، أو لبنانية ، وهكذا ، وتوصلوا مثلاً في مجال الروابط الأسرية وأصولها أن صاحب شاهد القبر رقم كذا بجبانة كذا في مدينة كذا بولاية كذا الأمريكية

252 - www.Pricgen.com/english-genealogy.html

أصول عائلته هم أصحاب شواهد القبور رقم كذا بجبانة كذا في مدينة كذا بإنجلترا ، وهم يحسبون متوسط الأعمار لكل جيل ، ويتطرقون إلي أدق التفاصيل العائلية ، ثم أنشأوا روابط الكترونية علي شبكة المعلومات الدولية بين هذه العوائل وجبانات دفنها بأوربا وأمريكا.

طرق الكشف الحديثة عن شواهد القبور المطمورة:-

تستخدم الجمعيات العلمية السابقة أحدث التقنيات العلمية الحديثة في الكشف عن شواهد القبور المطمورة تحت الأرض ، ثم ترميمها بأحدث الطرق ، ثم عرضها بالمتاحف أو حفظها المؤقت بالمخازن ، ثم دراستها ونشرها.

ومن طرق الكشف الحديثة علي الشواهد والتراكيب المطمورة نفس طريقة الكشف عن المياه الجوفية بطريقة القضبان المغناطيسية ورد فعلها (لوحة رقم ٣٥٠) بل بإمكان تلك الطريقة التوصل إلي جنس المقبور وعمره دونما نبش قبره.

ومن الطرق الحديثة أيضاً استخدام الرادار الأرضي (Ground Penerating Radar) (GPR) ويقوم بعمل مسح جيو فيزيائي (Geophysics) أيا كان نوع التربة أو المادة الخام المصنوع منها الشاهد أو التركيبة المطمورة تحت الأرض حتي عمق ثمانية أقدام في التربة الرملية وأقل من ذلك بقليل في التربة الطينية لأن قوة التردد تتراوح ما بين ٤٠٠:٩٠٠ ميجا هيرتز (MHZ) (لوحة رقم ٣٥١) ولهذا الجهاز برامج خاصة بالتصوير ثلاثي الأبعاد تحت الأرض (لوحة رقم ٣٥٢) وأضافت معلومات مهمة عن طرق الدفن واتجاه رأس ووجه الميت دون حفر اللحود والفساقي وإزعاج الموتي وانتهاك حرمتهم ، ففي عام ٢٠٠٦م أجروا مسحاً علي جميع جبانات أوربا وأمريكا الشمالية ، وتوصلوا لنتائج مبهرة ، منها أن نسبة ٩٣% من المدفونين في هذه الجبانات وجهتهم للمشرق ، وهو ما يتفق وتعاليم الشريعتين المسيحية والإسلامية ، بينما انخفضت النسبة في الإتجاه إلي المشرق إلي ٧٩% في مدافن محارق الهولوكوست (Holocaust) والنصب التذكارية اليهودية [٢٥٣] ، وربما كان سبب انخفاض هذه النسبة أن من تقاليد يهود الشتات دفن موتاهم وأقدامهم تجاه القدس ، أما تعاليم الشريعة الإسلامية فالإجماع علي أن يدفن المسلم علي جنبه الأيمن وصدره ووجهه تجاه مكة المكرمة ، ويحرم أن تكون رجليه تجاه قبلته ، وحتي كتابة هذه السطور لم يجر مثل ذلك المسح العلمي للجبانات القائمة في النطاق الجغرافي الإسلامي.

253 - www.wiki.answers.com

خاتمة

طوفت الدراسة بجل جبانات العالم الإسلامي في القارات القديمة الثلاث (آسيا،أفريقية،أوربا) من خلال الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، في دراسة مكونة من ثلاثة فصول تسبقهم مقدمة وتلحق بهم خاتمة وملحق ، شرحت المقدمة عدة قضايا متعلقة بالموضوع ، فعرفت شاهد القبر وتركيبة القبر والعلاقة بينهما ، وذكرت مسمياتهما وتاريخ استخدامهما ، وموقف الفقه الإسلامي من البناء علي القبور ، ثم حصرت المناهج العلمية المعتمدة في دراسة شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها.

صنفت الدراسة ولأول مرة الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية إلي نيف وعشرين طرازاً وسلالة وشكلاً ، تنحصر في الهيئة المستطيلة المنتظمة وغير المنتظمة ، والمقرنصة ، والطراز الإمبراطورى (قوس النصر) والهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة ، وهيئة الأعمدة والدعامات والمسلات، والهيئة المعممة ، وهيئة الباروك والركوكو ، وهيئة الشرفات ، وهيئة المخروط والبرمق ، وهيئة الفانوس بسلالاتها الخمس ، وهيئة القارورة ، وهيئة القلب المقلوب (دمعة العين) وهيئة المصحف ، وهيئة الشراع أو السفينة ، ثم الهيئات الهندسية البسيطة ، كالهيئة الدائرية والمربعة والمعينة والمثلثة أو الهرمية ، والهيئات النجمية الخماسية الرؤوس والسداسية.

كما صنفت الدراسة الهيئة العامة لتراكيب القبور الإسلامية إلي نيف وعشر هيئات بسلالاتها التي تنحصر في هيئة المصطبة ذات المستوي الواحد بطرزها الأربعة ، ممثلة في الطراز الخالي من البابات وما شابهها ، طراز البابات وما شابهها ، والطراز ذو السقف المقبي ، ثم ذو السقف الجملوني المسنم، وهيئة المصطبة ذات المستويين ، بطرازيها ، طراز السقف المسطح وطراز السقف المقبي ، ثم هيئة المصطبة متعددة المستويات بطرزها الثلاثة وأخيراً الهيئات النادرة كالقباب الكانوبية وأسرة النوم المريحة وغيرا .

انتخبت الدراسة نماذج لجميع الهيئات العامة المذكورة وسلالاتها وطرزها ، وقارنت بينها من حيث التصميم العام للشكل ، وبين مختلف أنواع العمائر الإسلامية والفنون التطبيقية والمنمنمات الملونة بالمخطوطات الإسلامية.

تتبعت الدراسة أصول وجذور كل هيئة في الديانات والحضارات السابقة علي الإسلام بهدف إبراز سمة التأثير والتأثر.

أظهرت الدراسة بالتفصيل جماليات كل هيئة من هيئات شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، وما حوت من تفاصيل وألوان ، وأسباب ومقومات ذلك الجمال ، وأن ذلك الفن رسمي تشرف عليه الدولة ، وشعبي تتعاطاه العامة بأذواقها الفنية المتعددة ، ومن ثم وصلتنا منه طرز دولية شاعت في

دول كثيرة وفي أزمنة عديدة ، وطرز أخري محلية شعبية محصورة في أمكنة محددة وفترات قصيرة.

فصلت الدراسة القول فيما يختص بالتأثيرات العقائدية والمذهبية علي شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها مع الملل والنحل القديمة والحديثة ما لم يمس صحيح المعتقد الإسلامي ، باعتباره موروث فني بمنطقة معينة ، أو هيئة عامة جميلة تم التأثر بشكلها دون مغزاها في البوذية أو الهندوكية أو الويكا أو الماسونية أو اليهودية أو المسيحية أو غيرها ، ثم أظهرت أثر العقيدة الإسلامية نفسها علي الهيئة العامة لشواهد القبور وتراكيبها ، وأثر المذهب الشيعي علي بعض تراكيب القبور.

جمعت الدراسة ولأول مرة المواد الخام التي كانت تصنع منها شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، قديماً وحديثاً ، والأدوات المستخدمة في تشكيل الهيئات العامة ، وطرق ومراحل الصناعة ، والصناع العاملون في كل مرحلة وخطواتها ، وتتبعت التطورات المستحدثة علي الصنعة وأدواتها.

أضافت الدراسة ما يؤكد أهمية المدروس علمياً وعالمياً ، بأن ثمة جمعيات علمية عالمية تخصصت فقط في دراسة شواهد القبور وتراكيبها ، بعمل مؤتمرات دولية سنوية منتظمة ، ودوريات تنشر البحوث الخاصة ، ومنح وجوائز ، واشتراكات وتنظيمات إدارية ، ومقرات ومكاتب وأعضاء ومجالس وعقوبات ولوائح ، ودروس نظرية وعملية في كيفية الترميم والصيانة والحفظ والتخزين ثم العرض والنشر ، بل وتطبيق أحدث الوسائل التقنية في الكشف عن المطمور منها تحت الأرض ، بالترددات المغناطيسية وبالرادار الأرضي.

فتحت الدراسة المجال أمام بحوث مستقبلية عديدة مثل دراسات حصرية مجدولة للمنشور من مقاسات شواهد القبور من الهيئة المستطيلة وهيئات المصاطب المنشورية ، بغرض التوصل لنتيجة مفادها تطبيق النسبة الذهبية (القطاع الذهبي) من عدمه ، وعموماً جدولة المقاسات نافع في جوانب علمية كثيرة ، أو دراسة العلة والسببية في النواحي الجمالية للهيئات العامة للشواهد والتراكيب والتي هي في معظمها وثائق مادية مؤرخة ، كما أن تاريخ المجاعات والأوبئة في العالم الإسلامي موثق بدقة في المصادر المعاصرة للأحداث ، والربط بينهما سيثبت أو ينفي النسبة الجمالية في صنعه رسمية وشعبية ،أو المسح الجيو فيزيائي بالرادار الأرضي لعموم الجبانات الإسلامية لمعرفة إلي أى مدي طبق المسلمون شريعتهم في كيفية دفن موتاهم. ذيلت الدراسة بملحق عرف نيف وثلاثين مصطلحاً ذي صلة مباشرة بموضوعها.

وإتماماً للفائدة زودت الدراسة بثلاثمائة واثنتين وخمسين لوحة تردف أربعمائة وثمانية وعشرين شكلاً توضيحياً.

ملحق الدراسة

المصطلحات ذات الصلة بالشاهد والتركيبة:-

البيت (Home. House) : الجمع أبيات وبيوت وبيوتات وأبابيت ، ولها معاني كثيرة منها ، المسكن مطلقاً للإنسان حياً أو ميتاً ، وكذلك بيت الحيوان أو الأشياء.

التابوت (Ark Coffin) : جمع توابيت ، وهو صندوق من الخشب يوضع فيه الميت ليدفن ، أو تحرز فيه المتاع ونحوه ، يصنع من الحجر أو الخشب عند الفراعنة وتوضع فيه الجثة ويرسم عليه رسوم وكتابات جنائزية ، وقد يصنع من الزجاج ، وقد تحرق الجثة التي فيه حسب المعتقد ، له طرز وهيئات مختلفة منذ العصور الفرعونية وحتي الآن ، منها ذو الهيئة الآدمية، ومنها بهيئة صندوق وغير ذلك . ورد ذكره في القرآن الكريم في الآية (٣٩) من سورة طه في قوله تعالي :"أن إقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم" كما ورد في الآية (٢٤٨) من سورة البقرة في قوله تعالي :"قال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم....." أي أنه ورد في القرآن الكريم بما يفيد مكان حفظ الجثة الآدمية حية أو ميتة [٢٥٤] وفي أواخر العصر الفاطمي بمصر ظهرت التوابيت أو التراكيب الخشبية أعلي الفساقي المبنية في تخوم الأرض ، وأصبح التابوت في هذه الحالة علامة تحدد موضع الدفن ، ثم توالي بعد ذلك العصر استعمال التراكيب الخشبية.[٢٥٥]

التربة (Mausoleum) : موضع الدفن أو المدفن الخاص الذي تعلوه قبة، ويبني عادة لذوي الشأن والمال [٢٥٦] وشاع إطلاق لفظ التربة علي العمائر الجنائزية في الأقطار العربية خلال العصر العثماني [٢٥٧] ، كما وردت أثرية علي تابوت خشبي يخص أحد الأئمة العلويين في إيران ، مؤرخ بعام ٨٧٧هـ/١٤٧٢م عبارة ".....هذه التربة الشريفة والمرقد المنور....."[٢٥٨]

---

٢٥٤ - الحسيني (محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضي) :- شرح القاموس المسمي تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت) الجزء الأول ، ص٥٣٢

٢٥٥ - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٩٦

٢٥٦ - الشهابي (د. قتيبة) :- المرجع السابق ، ص١٢

٢٥٧ - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية ، ص٢٣٢

٢٥٨ - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٩٧

التشـــريفة (Cenotaph) : هـــي النصـــب التـــذكاري وتعـــرف أيضـــاً بـــالقبر الأجوف ، وتقام تكريماً لشخص دفن في موضع آخر.
الجبانـــة (Cemetery) : الجمـــع جبـــان وجبـــابين وجبانـــات ، وهـــي المقبـــرة والأرض المستوية فـي ارتفـاع ، وهـي المـدفن الـذي يضـم مجموعـة كبيـرة مـن القبور مسورة أو غير مسورة.
الجـدث : الجمـع أجـداث وهـو القبـر ولـه أسـماء كثيـرة منهـا :الجـدف ، الـرمس ، البيـت ، الضـريح ، الـريم ، الـرجم ، الجـنن ، الـدمس ، المنهـال ، الجـاموس ، وردت كلمـة الأجـداث فـي القـرآن الكـريم فـي قولـه تعـالي بالآيـة (٥١) مـن سـورة ياسـين "ونفـخ فـي الصـور فـإذا هـم مـن الأجـداث إلـي ربهـم ينسـلون" وفـي قولـه تعـالي بالآيـة (٤٣) مـن سـورة المعـارج "يـوم يخرجـون مـن الأجـداث سـراعاً كأنهم إلي نصب يوفضون".
الجنن : الجمع أجنان ، وهو القبر والكفن والميت والستر. [٢٥٩]
الحـوش (Yard) : الجمـع أحـواش وحـوش وحـواويش ، وهـو فنـاء أو سـاحة الـدار ونحـوه ، وهـو المكـان المكشـوف المسـور بسـور بسـيط مـن الآجـر ونحـوه، يحيط بمجموعة من القبور العائلية أو غير العائلية.
الـدرابزين (Handrail) : الجمـع درابزينـات و درابزونـات ، وهـي قـوائم مـن حديـد أو حجـر أو خشـب أو غيـر ذلـك تقـام حـول السـلالم والأفنيـة والقبـور ونحوها.
الدكان (Shop) : الجمع دكاكين ، وهو الحانوت ، والمصطبة يقعد عليها.
الـرجم : الجمـع رجـام وأرجـام ، والـرجم القبـر ، والـرجم حجـارة تنصـب علـي القبـر ، والـرجم القبـر وضـع عليـه علامـة أي أعلمـه بـالحجر ، والرجـام هـي حجارة ضخام دون الرضام وربما جمعت علي القبر ليسنم.
الـرمس : الجمـع رمـوس وأرمـاس ، والـرمس القبـر مسـتوياً مـع وجـه الأرض ، وهو التراب الذي يحثي علي القبر ، وهو موضع القبر نفسه.
الروضـة : الجمـع روضـات ورياض ، وهـي المـدفن أو التربـة أو الضـريح المحـاط ببـرك المـاء والجنـائن ، ويكثـر هـذا النـوع مـن الأضـرحة فـي الهنـد والشام. [٢٦٠]
الريم : اسم علم مؤنث عربي ، وهو القبر ، وقيل وسط القبر.
السـياج (Fence) : الجمـع أسـوجة وسـوج وسـياجات ، والمـراد مـا يحـاط بـه من البستان من سور أو حائط أو شوك أو غير ذلك.
الضـريح : الجمـع ضـرائح وأضـرحة ، ويقـال ضـريحة مؤنـث ، وهـو الشـق فـي وسـط القبـر ، وهـو مشـيدة معماريـة تبنـي علـي قبـر أحـد الأشـخاص تخليـداً

259 - www.almaany.com

٢٦٠ - الشهابي (قتيبة) :- المرجع السابق ، ص١٢

لذكراه ، وهي فكرة قديمة منذ عصر الأهرامات ، أهملها العرب في بداية دولتهم ثم أخذوا بها بعد اختلاطهم بالفرس والهنود [٢٦١] ، والضريح معمارياً هو المدفن الذي يضم فسقية للدفن في تخوم الأرض وما يعلو ذلك من بناء علي سطح الأرض عبارة عن ضريح يعلوه قبة ، ويطلق هذا المصطلح علي القباب المستقلة المعدة للدفن أو تلك التي ألحقت بمنشآت أخري كالمدارس والمساجد والزوايا[٢٦٢] ، وهناك فرق في تسميتها بثلاث حالات :
الأولي بناء للدفن كالتربة وما شابه وليس من الضروري أن يكون ذو صبغة دينية ويعرف بالإنجليزية (Mausoleum) الحالة الثانية بناء له حرمته القدسية وفي هذه الحالة يصبح مرادفاً للمزار أو المقام أو المشهد ، ويعرف باسم الضريح المقدس (Shrine) الحالة الثالثة القبر الضخم أو المثوي (Tomb)[٢٦٣].
الطربال : الجمع طرابيل ، وهي كل بناء عال أو برج أو صخرة مستطيلة من الجبل ، ويقال أن أصل كلمة تربة يرجع إلي طربال وقد خففت اللفظة إلي طربا تم تداولتها الألسن فصارت تربة.
الفسقية : الجمع فساقي وهو حوض من الرخام ونحوه ، مستدير غالباً ، في وسطه نافورة توضع عادة في القصور والحدائق ، ويقصد بها في الدراسة مكان الدفن بباطن الأرض ، فهي مساحة مستطيلة مبنية ينزل إليها بمنازل مدرجة ، وتفرش الفساقي بالرمال ، كما يعلوها سقف حجري تعلوه طبقة من الرمال ، تعلوه طبقة ثالثة عبارة عن أرضية الضريح سواء كانت بالحجر أو الرخام ، وهذه الطبقات خاصة طبقة الرمل المتوسطة تمنع تسرب أي روائح تنتج عن تحلل الجثث المدفونة[٢٦٤].
القبر : الجمع قبور وأقبر ، وهو المكان الذي تدفن فيه جثة الميت تحت الأرض مع تمييزه بعلامة ، ورد ذكره في قوله تعالي في الآية (٢١) من سورة عبس "ثم أماته فأقبره" وقوله تعالي في الآية (٧) من سورة الحج "وأن الساعة آتيه لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور" أما المقبرة بفتح الباء وضمها أو القرافة فهي موضع القبور ومكان يدفن فيه الأموات سواء بشكل فردي أو جماعي ، ولا تقتصر علي الاستخدام الآدمي فقط ، بل لبعض الحيوانات كالفيلة مقابر أيضا ، والمقابر أنواع منها المسبلة وهي التي اعتاد الناس الدفن فيها ولم يسبق لأحد ملكها ، ومنها الموقوفة وهي ما وقفها مالك بصيغة الوقف كقرافة مصر التي وقفها سيدنا عمر رضي الله عنه ،

---

261 - www.almaany.com

٢٦٢ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص٢٥
٢٦٣ - الشهابي (قتيبة) :- المرجع السابق ، ص١٢
٢٦٤ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص٤٧

وأكبر مقبرة في العالم هي الخاصة بالشيعة "مقبرة وادي السلام" بالنجف الأشرف جنوب العراق ، ففيها أكثر من خمسة ملايين قبر[٢٦٥] وفي المغرب العربي استخرج لفظ "مقبرية" من مقبرة ، كما استخدموا لفظ "قبرية" تحويراً عن لفظ "قبر" ونحتوا لفظ "مقابرية ، مقبرية" لشاهد القبر منشوري الشكل[٢٦٦].

القبة (Dome) : الجمع قباب وقبب ، وهي بناء مستدير مجوف يعقد بالآجر ونحوه ، لها قاعدة مربعة ومنطقة انتقال ورقبة دائرية بها نوافذ ، وبدن القبة له قطاعات هندسية مختلفة .

القرافة (Grave yard) : هي المقبرة ، وقرافة اسم قبيلة يمنية جاورت المقابر بمصر فغلب اسمها علي كل مقبرة.

الكدية : الأرض الغليظة الصلبة التي لا تعمل فيها الفأس ، وهي الأرض المرتفعة.

اللحد : الجمع لحود وألحاد ، وهو الشق يكون في جانب القبر أو في وسطه لوضع الميت فيه ، ولحد اللحد أي حفره ، ولحد الميت دفنه[٢٦٧].

المدفن (Burying Ground) : الجمع مدافن وهو موضع الدفن وما يحيط به من بناء ، وهو الستر والمواراة ، يقال دفنه وأدفنه فاندفن وتدفن فهو مدفون ودفين ، ودفن الميت واراه[٢٦٨].

المرقد : من معانيها القبر ، ورد ذكره في قوله تعالي في الآية (٥٢) من سورة ياسين "قالوا ياولنا من بعثنا من مرقدنا هذا" ومن معانيها مضجع وسرير.

المزار(Shrine): مصدر زار ، وهو كل ما يزار من أماكن الأولياء والقديسين فله صفة دينية ، وقد يحوي رفاة الشخص المزار أو لا يحويها.

المشهد : الجمع مشاهد ، مرادفا للمزار (Shrine) والمقام ، والمشهد لغوياً يعني مجمع الناس ومحضرهم ومحفلهم ، وهي مشتقة من الجذر اللغوي "شهد" وشهد المكان أي حضره "شهوداً" ومنه قوله تعالي في جزء من الآية (١٨٥) من سورة البقرة "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" ومن الفعل شهد اشتقت الشهادة والشهيد وغيرها ، ويطلق مصطلح المشهد علي البناء المقام فوق أضرحة آل البيت والأئمة ، وكان المشهد في الأصل يقام فوق الموضع

---

265 - www.almaany.com

٢٦٦ - إسماعيل (د. عثمان عثمان) :- المرجع السابق ، ص١٥٩

267 - www.almaany.com

٢٦٨ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص٢٣

الـذي دفـن فيـه الشـهيد فـي موضـع استشـهاده ، وأحيانـاً يوضـع فيـه نصـب تذكاري[٢٦٩].

المصـطبة : الجمـع مصـاطب ومصـطبات ، بالسـين والصـاد (مصـاطب ، مسـاطب) ولهـا معـاني كثيـرة منهـا سـندان الحـداد ، والمجـرة بـالفتح ، ويقـال للـدكان يقعـد النـاس عليـه مسـطبة[٢٧٠] ، وهـي دكـة مرتفعـة قلـيلاً عـن سـطح الأرض ، ينتشـر وجودهـا بجانـب مـداخل البيـوت الريفيـة فـي الـدول العربيـة ، يجتمـع فوقهـا أهـل الـدار وأصـدقائهم للحـديث والتسـامر ، وتبنـي مـن الطمـي أو الخشـب أو الحجـر ، ويـأتي معناهـا فـي المصـطلح الأثـري للدلالـة علـي مـا يشـبه الدكـة خـارج الحوانيـت بامتـداد عرضـها وبارتفـاع متـر تقريبـاً بهـدف الجلـوس وعـرض البضـائع عليهـا ثـم انتقلـت إلـي الأبنيـة الدينيـة والتجاريـة والسـكنية ليتغيـر اسـمها فـي القـرنين (٥-٦هـ/١١-١٢م) إلـي المكسـلة مـن قبيـل اعتيـاد الكسالي ممن لا عمل لهم الجلوس عليها[٢٧١].

اسـتخدمت المصـطبة فـي العصـور القديمـة كمثـوي أخيـر لـبعض الفراعنـة مـن الدولـة القديمـة فـي أبيـدوس بسـوهاج بمصـر ، وشـيدت مـن اللـبن والحجـر بحيـث يكـون الجـزء المبنـي تحـت الأرض مشـيداً مـن الحجـر ، والجـزء الظـاهر مـن الطـوب اللـبن ، وطولهـا يـوازي قرابـة أربعـة أضـعاف عرضـها ، وترتفـع عـن سـطح الأرض بمقـدار ثلاثـين قـدماً ، وتتجـه كـل المصـاطب الفرعونيـة مـن الجنـوب نحـو الشـمال ، ثـم تطـور تشـييد المقـابر الملكيـة إلـي الشـكل الهرمـي المتـدرج ممـثلاً فـي هـرم سـقارة (شـكل ٨/٣٠) ثـم بـدأ كسـاء الأهرامـات بكسـاء نـاعم بدايـة مـن القمـة مثـل هـرم سـنفرو فـي ميـدوم بـالجيزة بمصـر ، ونهايـة بأهرامـات الجيـزة الثلاثـة المشـهورة ، مـع اسـتمرار دفـن النـبلاء فـي المقـابر مصطبية الشكل.

المضـاهي : ضـاهاه شـابهه ، والمضـاهاه بضـم الميم : مشـاكلة الشـيء بالشـيء ، والضـهي بتشـديد الضـاد وفتحهـا وكسـر الهـاء ، جمـع أضـهياء : الشـبيه ، والمضـاهية فـي المصـطلح الأثـري المعمـاري دخلـه غيـر نافـذة أي مسـدودة اعتـاد المعمـار المسـلم – حرصـاً منـه علـي التماثـل والتنـاظر – إحـداثها فـي العمـارة الإسـلامية بكافـة أنواعهـا لتضـاهي أو لتحـاكي أو لتشـابه أو لتقلـد مـا جاروهـا أو مـا قابلهـا مـن دخلـة نافـذة مفتوحـة ، وقـد وجـدت هـذه المضـاهيات فـي الواجهـات وأبـدان المـآذن ورقـاب القبـاب وغيرهـا مـن الأجـزاء التـي اشـتملت

---

٢٦٩ - عثمـان (د. محمـد عبـد السـتار) :- المرجـع السـابق ، ص٤١ ، عبـد الله (د. محمـود سيد) :- المرجع السابق ، ص٢٦ ، الشهابي (د. قتيبة) :- المرجع السابق ، ص١٢

٢٧٠ - ابـن منظـور (أبـي الفضـل جمـال الـدين محمـد بـن مكـرم) :- لسـان العـرب ، بيـروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، الجزء الأول ، ص٤٦٧ .

٢٧١ - رزق (د. عاصم) :- المرجع السابق ، ص٢٨٤

علي الفتحات والنوافذ ، كما وجدت في فنون النجارة من الأبواب والدواليب والكتبيات والكراسي والدكك والمنابر والسقوف ونحوها[٢٧٢]، كما وجد المضاهي مع شاهد القبر لنفس الغرض أي ليحاكي الشاهد وينافره ويقلده ويضاهيه ويشابهه ولكي يحدث التماثل والتناظر(شكل رقم ٦/٣١، ٢٥/٥، ٣٤/٥)

المقام : الجمع مقامات ، وهو موضع الإقامة وزمنها ، وهو الضريح ، وترادف المزار (Shrine) ورد ذكره في القرآن الكريم في الآية (٧٦) من سورة الفرقان في قوله تعالي ".....خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما" وفي قوله تعالي في الآية (٩٦) من سورة آل عمران "فيه آيات بينات مقام إبراهيم" وقوله تعالي في الآية (٤٦) من سورة الرحمن "ولمن خاف مقام ربه جنتان" كما ورد في الدعاء المأثور: "وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته" وقد اصطلح الناس علي إطلاق كلمة المقام علي المكان الذي فيه أثر أو ضريح لأحد الأنبياء صلوات الله عليهم ، أو فيه قبر أحد العارفين أو الصلحاء ، وكان يقصد في مواسم معينة للزيارة والتبرك ، رغم ما في هذه المزارات من بدعة نهي الإسلام عنها. [٢٧٣]

المقصورة (Cabin): الجمع مقاصر ومقاصير ومقصورات ، ومن معانيها حجرة خاصة مفصولة عن الحجر المجاورة فوق الطبقة الأرضية ، واصطلاحاً هي كالسياج المحيط بالقبر أو بالتركيبة.

الميل : هو القطعة من الأرض بين الجبلين ، ومن معانيه في اللغة الذي يكتحل به.

النـاووس (Sarcophagus) : الجمع نواويس ، وهو القبر الحجري ، كما يصنع من الخشب ونحوه ، توضع فيه الجثة ، وهو معروف في الحضارات الفرعونية واليونانية والرومانية والمسيحية وغيرها.

النصب التذكاري (Memorial) : بناء أوهيكل أو تمثال شيد لتخليد ذكري شخص أو حادثة ، والنصب القومية هي الأماكن التي لها أهمية تاريخية وعلمية باعتبارها ممتلكات شعبية تحافظ عليها الحكومة. [٢٧٤]

---

٢٧٢ - نفس المرجع السابق ، ص٢٨٩

٢٧٣ - نفس المرجع السابق ، ص١٧٧

274 - www.almaany.com

المراجع العربية والأجنبية :-

أولا : المراجع العربية :-

- إسماعيل (د. عثمان عثمان) :- دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصي ، دار الثقافة ، ١٩٧٧م .

- أوغر لوايل (طلحة) :- لمسات الجمال في شواهد القبور العثمانية ، مجلة حراء ، العدد العاشر ، مارس ٢٠٠٨م .

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) :- ترجمة جامع صحيح البخاري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، جـ٢ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

- بوبطانة (د. إيناس محمد) :- الخط الكوفي على شواهد القبور في ليبيا بين القرنين ٢-٦هـ/٨-١٢م ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة قار يونس ، ٢٠٠٣م .

- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتى) :- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربي ، بيروت (د. ت) الجزء الثانى .

- بويرتاس (أنتونيو فرناندیز) :- فن الخط العربي في الأندلس .

- جاغمان (فليز) :- مدرسة متطورة للمنمنمات في تكايا المولوية أواخر القرن السادس عشر ، ترجمة تحسين عمر طه .

- جمعة (د. إبراهيم) :- دراسة في تطور الكتابات الكوفية علي الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولي للهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع أخري من العالم الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د. ت) .

- الجوهري (إسماعيل بن حماد) :- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، جـ٢ ، ١٩٧٩م .

- الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، الجزء الأول ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية ، زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

- المدخل إلي دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الآثارية والنصوص الوثائقية والتاريخية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

- حسن الباشا (د. محمود) :- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ، المجلد الخامس ، ١٩٩٩م.

- حسن (د. زكي محمد) :- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٥م .
- الحسيني (محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضي) :- شرح القاموس المسمي تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الجزء الأول (د.ت) .
- خليفة د. (ربيع حامد) :- الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- خير الله (د. جمال) :- النقوش الكتابية على شواهد القبور الإسلامية مع معجم الألفاظ والوظائف الإسلامية ، العلم والإيمان ، دسوق ، ٢٠٠٧م .
- الراشد (د. سعد بن عبد العزيز) وآخرون :- أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
- أبو رحاب (د. محمد السيد محمد) :- العمائر الدينية والجنائزية في عصر الأشراف السعديين ، دراسة آثارية معمارية ، دار القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م
- رزق (د. عاصم) :- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
-رسلان (د. عبد المنعم) :- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا ، تهامة ، جدة ، الكتاب الجامعي – ٤ – ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .
- رياض (د. عبد الفتاح) :- التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
- زبيس (د. سليمان مصطفي) :- نقائش جديدة من القيروان ، القسم الثالث من ديوان النقائش العربية الموجودة في البلاد التونسية ، المعهد القومي للآثار والفنون ، ١٩٧٧م .
- الزهراني (د. عبد الرحمن بن علي) :- كتابات إسلامية من مكة المكرمة (ق١-٧هـ/٧-١٣م) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م .
- شافعي (د. فريد) :- العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .
- الشناوي (د. عبد العزيز محمد) :- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ م .
- الشهابي (د. قتيبة) :- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية ، دمشق ، ١٩٩٥م .
- شيحة (د. مصطفي عبد الله) :- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٨٨م .

- صابان (د. سهيل) :- المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، السلسلة الثالثة – ٤٣ – مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
- عبد الله (د. محمود سيد) :- مدافن حكام مصر الإسلامية بمدينة القاهرة ، دراسة أثرية سياحية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤م.
- عبيد (د. شبل إبراهيم) :- تراكيب القبور الخزفية في آسيا الصغري في الفترة من القرن ٨هـ/١٤م وحتي القرن ١٣هـ/١٩م دراسة آثارية فنية ، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد العاشر ، ٢٠٠٤م .
- عثمان (د. محمد عبد الستار) :- عمارة المشاهد والقباب في العصر الفاطمي ، الكتاب الثاني ، دار القاهرة ، ٢٠٠٦م .
- عبد الحافظ (د. عبد الله عطية) :- دراسات في الفن التركي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
- عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- شواهد القبور الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر (٥٦٧ – ٩٢٣هـ/١١٧١ – ١٥١٧م) دراسة آثارية فنية ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة سوهاج ، ٢٠٠٣م
- عبد الدايم (د. نادر محمود) :- التأثيرات العقائدية في الفن العثماني ، رسالة ماجستير بكلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٩م .
- عبد العزيز (د. شادية الدسوقي) :- الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- علام (د. نعمت إسماعيل) :- فنون الغرب في العصور الوسطي والنهضة والباروك ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- عربش (منير) وآخرون :- مجموعة الشواهد القبورية من وادي الجوف ، المتحف الوطني بصنعاء ، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، الجزء الثاني ، صنعاء ٢٠٠٦م ، الجزء الثالث ، صنعاء ، ٢٠٠٨م .
- علي (د. أحمد رجب محمد) :- تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الآثرية الإسلامية في الهند ، الدار المصرية اللبنانية ، سلسلة الآثار في شرق العالم الإسلامي – ٢ – القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- الكنسوس (جعفر) :- الحكمة والفنون الإسلامية العريقة ، ذكري إبراهيم تيتوس بوخارد ، مراكش ، المغرب ، ٢٠٠٠م .
- محمد (د. سعاد ماهر) :- الخزف التركي ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- العمارة الإسلامية على مر العصور ، الجزء الأول ، دار البيان العربي ، جدة ، ١٩٨٥م .

- محمد (نجاة يونس الحاج) :- المحاريب العراقية منذ بداية العصر الإسلامي إلي نهاية العصر العباسي ، بغداد ، ١٩٧٦م .

- مرزوق (د. محمد عبد العزيز) :- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (د. ت) .

- الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.

- المصري (د. حسين مجيب) :- في الأدب العربي التركي ، دراسة في الأدب الإسلامي المقارن ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢م .

- منصور (د. آمال) :- الكشكول دراسة أثرية مقارنة ، المؤتمر السابع للإتحاد العام للآثاريين العرب (٢-٣) أكتوبر ٢٠٠٤م .

- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) :- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، الجزء الأول .

-مورينو (مانويل جوميث) :- الفن الإسلامي في أسبانيا ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ، د. لطفي عبد البديع ، راجعه د. جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية (د. ت) .

- نور (د. حسن محمد) :- التصوير الإسلامي الديني في العصر العثماني ، سلسلة الدراسات الأثرية – ٣ – كلية الآداب جامعة سوهاج ، ١٤١٩ه/١٩٩٩ .

- شواهد قبور من تربة البايات بتونس العاصمة ، دراسة في الشكل والمضمون ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية ٢٣ ، الرسالة ١٩١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

- الخيام في تصاوير المخطوطات الإيرانية حتي نهاية القرن ١٢هـ/١٨م ، دراسة حضارية فنية ، مجلة كلية الآثار بقنا ، العدد الأول ، يوليو ٢٠٠٦م.

- شواهد قبور عثمانية من طرابلس الغرب ، دراسة في الشكل والمضمون لمجموعة جديدة ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية ٣٠ ، الرسالة ٣٠٩ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

- شواهد قبور خزفية من إيران الصفوية ، مجلة العصور ، دار المريخ للنشر ، لندن ، المجلد ٢١ ، يناير ٢٠١١م .

- أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية – ٤ – شمال شرق أوروبا ، مجلة عالم المخطوطات والنوادر ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، ١٤٣١هـ/٢٠١١م .

- أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية – ١ – غرب أوروبا ، مجلة جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي ، العدد السابع ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م .
- أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية – ٢ – وسط أوروبا ، كتاب مداولات اللقاء السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية (تحت الطبع) .
- أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية – ٣ – جنوب شرق أوروبا ، مجلة جمعية التريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي (تحت الطبع) .
- النووي (الإمام محيى الدين) :- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م . الجزء السابع
- ياسين (د. عبد الناصر حسن) :- الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ، دراسة في ميتافيزيقا الفن الإسلامي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :-

(أ) المراجع :-

Abd Al – Tawab (Abd Ar – rahman . M) :- Steles islamiques de La Necropole D'Assouan . (IfAo) Du cairo . Tome I . 1977 Tome II . 1982 , Tome III . 1986 .

Azlinah & olhers :- " Batu Aceh Typology identification " MARA , Malaysia , I , vol .5 . 2008.

Brohi, AlAhmed (N.D) :- History on Tombstones Sindh and Baluchistan . Jamshoro – Hyderabad : Sindhi Abadi Board.

Grassi (v) :- " The stele Funerarie di Sicilia , provenienze problemi Aperti " 2002 .

Hasan (Mumtaz) :- Chaukhandi Tombs . Artistic Pakistan . 1968

Hasan (sheikh . khurshid) :- Chaukhandi Tombe in Pakistan, Karachi . Royal Book Company . 1996 .

Hawary (Hassan) et Hussen Rached :- Catalogue General Musee Arabe Du Cairo . Steles Funeraires . Tome Premier . Le cairo . 1932

Herzfeld (Ernst) :- Materiaux Corpus inscriptionum Arabicarum . Tome . I . voI. 2 . Le Cairo . 1956

Lifchez (R) :- The Dervish iodge . university of California . press . 1992 .

Perret (D) :- Some Reflection on Ancient Islamic Tombstones Known AS Batu Aceh in the Malay world . I " Indonesia and the Malay world . vol . 35 . issue . 103 . 2007

Rossi (Ettore) :- iscrzioni Arabe E Turche del Museo di Tripoli

(Libya) . 1953 .
Schneider (Madelein) :- Steles Funeraires Des iles Dahlak (Mer Rouge) Le cairo . 1982 .
Wiet (Gaston) :- Catalogue General Du Musee Arab Du cairo
Steles Funeraires . Tome sixeme . Le cairo . 1938 .
Yatim (M . O) :- Batu Aceh – Early Islamic Gravestone in
peninsular Malaysia . kualalumpur . /Malaysia . united selangor press . vol . 25 . 1987 .
Zulfiqar (Ali . Kalhoro) :- Tombstones of Fallen Heroes
(MPRA) Munich personal Repec Archive . 2009 .

(ب) المواقع الإلكترونية :-

WWW.AgeFotostock.com
WWW.Allinistanbul.com
WWW.Almaany.com
WWW.Alt-Arch.org
WWW.Amazon.com
http://Ar.wikipedia.org
http://Archnet.org
WWW.Atos.co.nz
WWW.Azeri.org
WWW.Brookwoodcemetery.com
http://Blogs.Reuters.com
WWW.Blog.une.edu
WWW.Bugbog.com
WWW.Canstockphoto.com
WWW.christies.com
http://Commons.wikipedia.org
WWW.Corbisimages.com
WWW.Damuseum.org
WWW.Digitalgallery.mpl.org
WWW.DiscoveriSlamicart.org
WWW.Dla.library.upenn.edu
WWW.DreamStime.com
WWW.Encyclopedia.com
WWW.Enwikipedia.org
WWW.Excatholicsforchrist.com
WWW.Flickriver.com
WWW.FotoSearch.com
http://www.Franland.pwp.blueyonder.co.uk
WWW.Fredhoogervorst.com
WWW.Gettyimages.i/detail
WWW.GhiaSabadi.com
WWW.Glowimges.com
WWW.Google.com.Sa

WWW.GrahamSFunerals.co.nz
info@GravestoneStudies.org
WWW.Heritagemalta.org
WWW.iaa-conServation
WWW.iaSblog.com
http://www.iranicaonline.org
WWW.iStockphoto.com
WWW.Jameelcentre,ashmolean.org
WWW.Jewishencyciopedia.com
WWW.livius.org/mo.mt
WWW.loneyplanetimages.com
WWW.Malaysianexploror.com
WWW.Mnh.Si.edu
WWW.Onmarkproductions.com
WWW.Oldcem.ba,ca
WWW.Panoramio.com
WWW.Penang-Traveltips.com
WWW.Photographersdirect.com
WWW.PicaSaweb.google.com
http://Pinterest.com/pin
WWW.Pricgen.com/english-genealogy.html
WWW.qtluong/terragaller.com
WWW.Recycleredsaustin.wordpress.com
WWW.RhodesJewishmuseum.org
http://www.Scottiepress.org
WWW.Sgkapi.com/ubin/2001/04
WWW.Shutterstock.com
WWW.Sigificantcemeteries.org
WWW.Skyscrapercity.com
WWW.Spainisculture.com
WWW.Summitpost.org
WWW.Superstock.com
WWW.Terragalleria.com
WWW.Turkishclass.com
WWW.Turkishculture.org
WWW.usatoday.com
http://weburbanist.com
WWW.wiki.Answers.com
http://wn.com/history/of/Jews/of/the/saloniki
WWW.worldhistoryto1500.blogspot.com
WWW.you-are-here.com
WWW.123rf.com
http://10,1,6,10,1587,cgi-bin/blockpage.cgi